جهينة

رواية

الجزء 3





رواية

إسلام عبد اللَّه

جهينة
(توقع ألا تتوقع)

تأليف:

إسلام عبد اللّه

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 978-977-14-5547-9
رقم الإيداع: 16361 / 2017
طبعة: أغسطس 2017

تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938
21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

وما الدنيا إلا متسع عقلك.. وما العالم إلا ما تصنعه أنت

❊ ❊ ❊

إذا عاد أحد أحبابك من الموت.. فهل ستكون سعيدًا؟

❊ ❊ ❊

ما الذي يجعل البشر.. بشرًا؟

❊ ❊ ❊

جهينة اسم لقبيلة من قبائل العرب المعروفة قديمًا،
وفي المثل: وعندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ.

تحت جنح الليل وفي وسـط ظلامـه الدامس.. وقف شـابان يتجـادلان للحظـات.. وفي وسـط انهماكهـما في الحديـث وقـف أحدهمـا وهـو يشـعر بالتوتـر الشـديد تجاهـه.. فأغلـق عينيه للحظـات ثم تنفس بقـوة وفتح عينيه وأخرج من ملابسـه سـكينًا متوسط الحجم وتقدم بـه بسرعة شـديدة، وبدون تردد غرسـه بعنـف في قلب غريمـه.. الذي شـعر بالطعنة تخترق قلبـه لتمتص الحياة منـه.. حـاول أن يفهم ما حدث.. ولكـن سرعة الموقف وغرابته جعلتاه يشـعر بالبلاهة.. جسده هو الذي تحرك بمفـرده.. يـداه أطبقتا على يد زميله التي تحمل السـكين تحاولان أن تمنعاه من النفاذ في جسـده أكثر وأكثر.. وهو يصرخ غير مصدق.

«ماذا فعلت أيها اللعين؟!.. ماذا فعلت؟!».

ظـل زميلـه يغرس السـكين أكثر في قلبـه وهو يحدثه بحنق: «إني أفعل ما أخبرتني به منذ قليل.. أقتل الشيطان لكي أخلص العالم من شروره».

(ك. م)

سراج يقف أمام بعض الجنود المتأهبين المسلحين يلقي عليهم بعض التعليمات السريعة بعزم شـديد، فتحرك الجنود مسرعين جهة الأماكن التـي بها اضطرابات وهـم بأعداد صغيرة يحاولون الانتشـار بأكثر من مكان ومسـاعدة أهالي البلدة بإطفاء الحرائق أو محاولة فض النزاعات، ولكن دون جدوى تقريبًا؛ لأن أعدادهم كانت لا تذكر بالنسبة لأعداد أهل البلدة وعدد الاضطرابات التي تحدث بها.. أخذ عصام يراقبه من بعيد وهو يقف بجوار أميرة ورامي المضطربين ممَّا يحدث بجهينة.. بعد رحيـل آخر جنديـين إلى مكانهما المحدد من طـرف سراج ذهب عصام إليـه مسرعًا، وأخذت أميرة ورامـي يتحركان خلفه ولكن لم يقتربا من جهـة سراج الـذي كان الغضب باديًـا على ملامحه بقـوة.. وقف أمامه عصام وأخذ يحدثه مسـتفسرًا: «ماذا سـتفعل الآن يا سـيد سراج؟».. نظـر سراج إليه بضيق بعد أن رمق رامي وأميرة خلفه بنظرات حارقة: «سـأفعل مـا تمليـه علـيَّ وظيفتي.. سـوف أذهـب بنفسـي لمراقبة تلك الاضطرابـات والإشراف عـلى الجنـود لكـي ننـزع فتيل تلـك الأزمة التـي تحدث بالمدينـة».. أجابه عصام سريعًا: «يا سـيد سراج أرجو أن تتغـاضى عن غضبك قليلًا.. أنا أعي تمامًا حالتك النفسـية التي تمر بها بعـد ما سـمعته من رامـي، وأنا أيضًا مثلـك؛ بل أكثر؛ لأن ما سـمعته

وشـاهدته بجهينة هنـا يتناقض مع كل شيء آمنت بـه وصدقته بحياتي كلهـا، ولكن يجب أن نواجـه الواقع إذا أردنا أن نخرج من تلك المدينة اللعينـة.. يجب أن نتكاتف جميعًا بمواجهة كريم هذا معًا، وألا نسـمح لـه بأن ينجح بـزرع الفرقـة بيننا».. أخـذ سراج يضرب كفيـه متعجبًا وينظر حوله دون وعي منه: «ماذا تريدني أن أفعل؟ أنا أشعر بأني الآن أحلـم، وأن كل هذا سـوف يكون في النهاية كابوسًـا كنـت أحلم به.. نعـم هذا بالتأكيد حلـم.. لا يمكن أن يكون الواقع هكـذا أبدًا..» هنا تدخـل رامـي بالحـوار سريعًا: «يا سراج باشـا؛ ان كل مـا يحدث الآن حقيقي، وان لم نتكاتف جميعًا معًا فسـوف ينتصر كريم وينجح بما أراد أن يفعلـه».. صرخ عليـه سراج حانقًا: «ومـاذا يريد أن يفعل؟ أخبرني لماذا يفعل كل ذلك؟ هيا أخبرني يا عبقري».

أجابه رامي بالحال: «لا أعلم لماذا يفعل هذا بالطبع، ولكني أعتقد..»..

هنا أشار إليه سراج بيده: «توقف.. لا أريد أن أسمع صوتك أو أن أراك مـرة أخـرى أمامـي.. وإلا قسـمًا بربي لـن ينجيك مني أحـد أبدًا ولا عصـام ولا تلك العاهـرة التي تحتمي بها».. شـعر رامي بالغضب الشـديد من سـب سراج لأميرة أمامه، ولكن نظرة عصـام إليه جعلته يتوقـف في الحال حتى لا يزيد الطين بلة بينه وبين سراج المحتقن منه.. فابتلـع غضبـه وأخـذ يتحـدث إلى عصام: «أنـا أرى الحل مـن وجهة نظري لكي نسـتطيع أن نخرج جميعًا من تلك المدينة هو بالتخلص من كريـم، وبـما أنه لا يمـوت إذًا يجب أن نتخلص من مصـدر قوته: تلك الصخـرة البيضـاء الضخمة التـي يمتلكها والتي تمكنـه من فعل ذلك

كلـه.. هـذا هو الحـل الوحيـد.. يجب أن نحطـم تلك الصخـرة أو أن نحصـل عليها ونجرده من قواه تلك.. ولفعـل ذلك يجب أن نتكاتف جميعًـا معًـا حتى وان لم نكـن نرغب بذلك.. فمواجهتـه بمفردك تعني انتحـارك بالتأكيد».. بـدأت ملامح سراج تتغير قليـلًا وهو يفكر مليًّا بـما قاله رامي، فتحدث إليه بـتردد: «إذًا.. إذا قمنا بأخذ تلك الصخرة أو تحطيمهـا سـيتجرد كريـم هـذا مـن قـواه ونسـتطيع أن نخـرج من المدينة».. أجابه رامي بثقة شـديدة: «بالطبـع.. أنا أؤكد لك ذلك.. ان قوة كريم بتلك الصخرة البيضاء بالتأكيد......»..

.. هنـا سـمع الجميـع صوتًـا رقيقًـا قويًّـا يأتي مـن خلفهـم: «لا.. لن يحدث..».

نظـر الجميع خلفهم ليشـاهدوا أميرة التي كانـت مازالت تتحدث إليهم بثقة شـديدة: «لن يحدث هذا أبدًا.. لن تسـتطيعوا أن تجدوا تلك الصخرة البيضاء أبدًا».. شعر الجميع بالقلق وكان أكثرهم رامي الذي صـدم من قول أميرة الذي أطاح بآخر أمـل لهم لهزيمة كريم والخروج من المدينة، فتحدث إليها بحيرة شديدة: «لماذا يا أميرة تقولين هذا؟ هل تعلمين أين تلك الصخرة؟ أليست بالمدينة؟ أليست بداخل جهينة؟».. أجابتـه أميرة بالحال: «لا توجد صخرة بالمدينة أو بخارجها.. لا توجد صخـرة من الأسـاس.. أنت تعتقد أن كريم يمتلـك قواه من الصخرة مثلما حدث معك.. ولكن هذه ليست الحقيقة.. ان تلك الصخرة التي معـك هي التي تمتلـك قوتها من كريم وليس العكـس».. وقع حديث أمـيرة عـلى رأسـهم كالصاعقـة لا تبقي ولا تـذر أي فكـرة بعقولهم..

عقدت الصدمة لسـان رامي، وزاد سراج صدمة فوق الصدمات التي يتلقاها كل بضع لحظات، بينما عصام أخذ يسألها مستنكرًا: «ماذا تعنين بهـذا؟ كيف تكـون تلك الصخرة تمتلـك قوتها من كريـم؟ ماذا تعنين بذلك؟ ماذا يكون كريم هذا من الأساس؟ هل هو بشر أم لا؟»..

تنهـدت أميرة وهي تحـاول أن تشرح لهم: «ان كريـم بشر بالطبع.. ولكنه ليس بشرًا بذات الوقت..».

أخـذ سراج يصرخ وهو يتحرك بمكانه ويمسـك رأسـه: «يا ألله!! سوف أجن.. سوف أجن من حديثكم هذا»..

سـألها رامي: «ماذا يعني أنه بـشر وليس بشرًا؟! وكيف تكون تلك الصخـرة البيضـاء جـزءًا مـن قوتـه؟! يجـب أن تشرحي لنـا كل شيء يا أميرة.. أنا أيضًا أصبحت لا أفقه شيئًا من حديثك هذا..»..

أخذت أميرة تفرك أصابعها بتوتر: «أنا.. أنا.. لن أستطيع أن أشرح لكم ما رأيته بمجرد كلمات.. سـوف ترتبكون أكثر مثلما يحدث الآن.. ولكن الذي يجب أن تعلموه أن قوته وقدراته فوق خيالنا جميعًا»..

سألها عصام مستنكرًا: «ماذا تعنين بهذا؟ أنه لا يوجد أمل لهزيمته؟ أن مصيرنـا سـوف يكون الهـلاك بداخل تلـك المدينة عـلى يديه؟ هل شاهدتِ ذلك عندما لامستيه؟ أننا سنموت هنا جميعًا؟»..

أومأت أميرة برأسـها نافية بالحال: «لا.. هـذا لم أره.. على العكس لقـد شـاهدت نهايـة كريـم بالفعـل.. لقـد كان موجـودًا بداخل شيء غريب ولا يستطيع الخروج منه نهائيًّا.. هذا ما شاهدته، ولكن لا أعلم

أي تفاصيـل أخـرى.. أو كيف حدث هذا».. هنـا صرخ رامي فرحًا: «إذًا يمكـن هزيمتـه.. ان هـذا شيء رائع.. ألا تسـتطيعين أن تتذكري أي شيء آخـر عنـه يفيدنا في مقاتلته؟».. أجابته أمـيرة: «لقد أخبرتكم أني لا أسـتطيع أن أعـبر عـما شـاهدته بكلـمات أبـدًا، سـوف يزيدكم ذلـك إربـاكًا.. ولكنـي أسـتطيع أن أجعلكـم تشـاهدون ما شـاهدته عندما لمسـت كريم، وهنا سـوف تعلمون جميعًا عن كريم».. صرخ بها سراج معترضًـا: «لا.. لا.. لن أجعلكِ تلمسـينني مـرة أخرى أبدًا».. حدثـه عصام سريعًا: «يا سـيد سراج؛ إنها فرصة جيدة كي نعلم ماهية كريـم هـذا.. سـوف نسـتفيد جميعًا مـن تلـك المعلومات لـو واجهناه مرة أخرى»..

«لا.. لـن تلمسـني مـرة أخـرى أبـدًا أبـدًا بعـد ذلـك حتـى لو كانت نهايتي..».

حدثتـه أمـيرة: «لا تقلـق يـا سـيادة العقيد، لن تلمسـني.. سـوف تلمسون الصخرة التي مع رامي، وأنا سوف أمرر خلالها جميع ما رأيته لكم حينها»..

سـألها رامـي مندهشًـا: «هـل تسـتطيعين أن تفعلي ذلك يـا أميرة؟ كيف هذا؟»..

«لقـد أخبرتـك من قبل أنني عندما لمسـت جسـد كريـم أصبحتْ جليـة بعقلي أمور أسـتطيع أن أفعلها بكل سـهولة بقـدراتي التي كنت أمتلكها.. أصبحت أعلم كيف أسـتخدمها بكل سهولة الآن وبإرادتي الحرة وليس اعتباطيًّا كما كان يحدث معي بالعقل.. لا أعلم لماذا حدث

معـي هذا.. ولكـن بالتأكيد هذا أحد أسـباب رفض كريـم أن يقترب مني بالمدينة، وكنت أعتقد أنه خائف مني ولكنه كان خائفًا من أن أرى ماضيه، وهذا علمته عندما شـاهدت ذكرياته حينما لمسته.. أنتم سوف تشـاهدون هـذا كله عندما أشـارككم ذكرياته.. أخـرج الصخرة التي معك يا رامي وضعها بكف يدك..»..

هنـا قام رامـي بتنفيذ أمر أمـيرة بالحال وأخذ يبحـث عن الصخرة بملابسه، وعندما وجدها وضعها بكف يده اليمنى وقام بفرد يده أمام الجميع.. فتحدثت أميرة إليهم: «فليلمس كل شخص منكم قطعة من الصخرة بإصبعه».. اتجه عصام في الحال ووضع سـبابته فوق جزء من الصخرة.. نظر إليهم سراج مترددًا وهو يبلع ريقه فحدثه عصام مطمئنًا: «تقدم يا سيد سراج.. لا يوجد ما يقلق نحن معًا».. أخذ سراج يقترب رويدًا رويدًا ثم اسـتجمع قوتـه ووضع إصبعه هو أيضًا فوق الصخرة البيضـاء وهنا تقدمت أميرة بثقة ووضعت إصبعها الصغيرة فوق أحد أجـزاء الصخرة بجوارهـم وأغلقت عينيها فتبعها رامـي وعصام بينما أخـذ ينظر لهم سراج بتردد وصرخ سريعًـا: «اللعنة!».. ثم أغلق عينيه هو أيضًا.. بتلك اللحظة أخذت أميرة تسـتجمع برأسـها صورة كريم بملامحه وشـكله حتى ظهر جليًّا أمامها فتذكرت جميع ما شاهدت عنه مـن قبل ففتحـت عينيها بالحال لتصبـح بيضاء كاملة وارتفع شـعرها بالحـال إلى أعـلى وأخذ ما يشـبه شرارات الكهرباء الاسـتاتيكية حولها تصـدر واضحة للعـين المجردة بكل مكان، ثم تجمعـت تلك الكهرباء بداخل الصخرة التي امتصتها كالإسفنجة لتخرجها سريعًا إلى أجساد

سراج ورامي وعصام.. تلك الذكريات التي خرجت على شكل نبضات كهربائية عصبية انتقلت من عقل أميرة إلى باقي عقول الجميع وأجسادهم التي انتابتها الصدمة المفاجئة فشعروا جميعًا بالتنميل يسري من بين عقولهم إلى رقابهم وإلى الجزء العلوي من ظهورهم بالحال ثم أخذ ينتشر ببطء شديد إلى باقي أجسادهم من الخلف.. عقولهم كانت بحيرة تتعامل مع المعطيات الجديدة التي طرأت عليها.. ثوان قليلة مرت على هذا الوضع استطاع خلالها عقلهم تحويل تلك المعطيات إلى لغة يفهمها فتحولت الذكريات إلى صور متتالية لتكون فيلمًا غريبًا وفريدًا من نوعه.. فيلم لم ولن يصنع مثله بالسينمات أبدًا.. إنه عن قصة منسية أو متناساة لا نعلم.. شيء سوف يثير اندهاشنا جميعًا سوف يطيح بعقولنا كلما نتذكره.. قصة (ك. م) أو كريم ماهر.. ولكي نعلم القصة كاملة يجب أن نشير إلى أن لها شقين: شق منذ عدة عقود وشق آخر منذ آلاف العقود.. فلنسترخِ ونلقِ جميع ما يشغلنا بعيدًا لنشاهد هذا الفيلم الفريد بعقولنا جميعًا..

* * *

تبدأ حكايتنا منذ عدة عقود بداخل أحد الأماكن المنسية بمصر بكهف غير مكتشف بعد يبعد عن القاهرة مئات الكيلو مترات.. بداخل الظلام الفاحم ووسط برد الليل القارس كان يجلس مدحت فراج يناجي نفسه ويتحسس الجرح الذي بيده اليمنى والقطع الصغير فوق حاجبه الذي تورم بشدة ويؤلمه كلما تحسسه وبجواره صديقه يونس المهدي الذي نام قليلًا بعد أن أخذ يتألم من جرح

قدمه الكبير الممتلئ بالشظايا وبقايا بعض الصخور والرمال التي دلفت إليه بسبب الانفجار الذي تسبب به هانز جرلي وراح ضحية بصحبة دليلهم البدوي سلمان الجهني.. كان الظلام يغلف كل شيء حتى عقل مدحت فراج الذي كان يشعر بأنهما هو ويونس محظوظان بنجاتهما من هذا الموقف الذي حدث ولم يكن على بال أو خاطر أحد منهما من قبل.. لم يتوقعا أن يتحول مجرى رحلتهم هكذا.. تلك الرحلة التي كانت تعدهم بالمغامرة والشهرة والثراء قبل أن تتحول إلى هذا المنحنى الخطير.. عادت سريعًا آهات يونس من جديد بعد أن أفاق من غفوته القليلة وأخذ يصرخ مرتاعًا: «أين أنا؟ ما هذا الظلام؟ أين أنا؟».. فاتجه إليه مدحت سريعًا وهو يطمئنه: «أنا هنا يا يونس.. أنا هنا معك».. تحدث إليه يونس بأنفاس متقطعة وهو يحاول مغالبة الآلام بداخله: «مدحت.. أين نحن؟ هل مازلنا بالكهف؟ لماذا يحيطنا الظلام هكذا؟»..

«نعم يا يونس نحن مازلنا بالكهف.. وهذا الظلام بسبب هبوط الليل.. مكثنا هنا لثلاثة أيام وقد استنفدت جميع الشعلات التي لدينا.. لهذا نمكث بالظلام ولكن بالغد بإذن الله سوف أبحث عن شيء لكي نشعله بالليل».

« آه..آه.. مدحت سامحني.. أنا الذي... وضعتك بهذه الرحلة الملعونة.. آه.. أتمنى أن تسامحني»..

ابتسم مدحت وهو يحاول أن يخفف عنه وأخذ يربت على يديه: «لا تقلق يا يونس.. سوف نخرج من هنا قريبًا أنا وأنت وسوف نتسامر على تلك الأيام على الشاطئ فيما بعد»..

«لا.. لا يا صديقي.. أنا سوف أموت قريبًا.. آه.. أنا أشعر.. بذلك.. أرجو من الله أن تخرج أنت من هنا سالمًا.. وأتمنى أن تسامحني يا صديقي.. أنت.. كنت من أعز الناس إلى قلبي.. ويشهد الله على ذلك».. كلمات يونس الصادقة النابعة من القلب تلمست مشاعر مدحت بالحال فأخذ يذرف الدموع وهو يشد أزر يونس: «أنت أيضًا يا يونس أعتبرك أخي الذي لم تنجبه أمي؛ ولذلك سوف نخرج من هنا معًا.. أعدك بذلك.. وسوف تعزمني على طنجية وطاجين.. لن أتنازل عن تلك الأكلات اللذيذة التي تعدها لنا كل مرة».. وأخذ مدحت يبتسم وهو يزيح دموعه سريعًا من على وجهه.. وهنا استشعر ضحكة خفيفة ضعيفة صادرة من فم يونس.. تلك الضحكة الأخيرة التي سمعها من يونس الذي وافته المنية بعد ذلك بساعات قليلة.. وأصبح مدحت بمفرده بداخل هذا الكهف المظلم ومعه جسد صديقه البارد بجواره.. مرت عدة أيام لا يفعل مدحت شيئًا خلالها إلا النحيب على صديقه وعلى حظه الذي لم يكن يشير إلى تحوله هكذا أبدًا.. كان يظن كثيرًا أنه أصبح من الأموات هو الآخر ولكن حاجات جسده التي كانت تلاحقه من جوع وعطش كانت تذكره بأنه مازال حيًّا ويجب أن يلبي تلك المتطلبات.. كان من حين إلى آخر يدون بعض مذكراته على أضواء النهار الخفيفة التي كانت تتسلل إلى داخل الكهف من فتحة

بأعلاه كانت ترسـلها الشمس على اسـتحياء إذا لم تجد سحبًا أو أمطارًا تعوقهـا عـن ذلك.. وحينـما تختفي تلك الأشـعة القليلـة كان الكهف يتحـول إلى ظلام دامس مع ظلمة الصحراء.. كان مدحت يلجأ حينها إلى النوم وكان يحزن بشدة حين يدرك أنه قد نام خلال النهار واستيقظ خـلال الليـل.. كاد يشـعر بالجنون وهو يـرى أنه يعيش بالظـلام دائمًا ولهذا كان يظل مستيقظًا حتى يرى نور الشمس ولو لساعات معدودة.. تقلبت مشـاعره كثيرًا.. فأحيانًا كان يفكـر بالانتحار ليلحق بزملائه.. ثـم سرعان ما يتمسـك بالأمل للنهاية ويمني نفسـه بأن يعثر أحد على سـيارتهما ويبحـث عنهما لينقذهمـا.. ذلك الأمل جعله يتشـبث بالحياة كرضيـع متعلـق بصـدر أمـه، ولكـن المصاعـب أخـذت تلاحقـه كما يلاحقـك البعوض بالليـالي الصيفية.. رائحة جسـد صديقـه المتحلل لاصقة بسـجنه الإجبـاري حتى بعـد أن قام بدفنه عـلى عجل لاحقته أعضـاؤه المتحللـة لتحيـل حياتـه إلى جحيـم.. مهما كنـت تعتقد أنك لاقيت من مآسٍ فهذا لا يقارن أبدًا بأن تلازم جثة متحللة رغمًا عنك.. موقـف لا تتمنـاه أبـدًا لألد أعدائك.. اكتشـف مدحـت مياهًا جوفية بالصدفـة بداخل الكهـف منذ عدة أيام وهذا كان من الأشـياء القليلة التي كانت تشعره بأنها إشارة له لكي يتشبث بحياته.. ومع ظهور المياه ظهرت أشـكال الحيـاة المختلفة: بعـض الأعشـاب والنباتات ظهرت بجـوار المياه وظهـر الكثير والكثير مـن الفطر المسـمى بعيش الغراب الـذي كان ينمـو بأحجام كبـيرة للغاية وبأعـداد كثيرة بسـبب رطوبة وظلمة الكهف.. هكذا استطاع مدحت فراج أن ينجو حتى بعد انتهاء مؤنتـه من الطعام والـشراب كان يقضي أيامه بالكهـف وحيدًا يصارع

البرد والحشرات التي بدأت تغزو الكهف دون أن يعلم من أين تظهر.. مرات كثيرة حاول أن يتسلق إلى الفتحة الصغيرة التي بأعلى الكهف، ولكن كانت محاولاته تفشل سريعًا نظرًا لارتفاع الكهف لأعلى.. حاول تحطيم الصخور التي كانت تسد مدخل الكهف لكن كانت بلا فائدة، فالركام المنهار ضخم للغاية.. ولكن هذا لم يمنعه من المحاولة كل يوم بذلك حتى بعد أن جرحت يداه لم يتوقف.. حينما وجد بعض رفات سلمان وهانز لم يتوقف.. ولكن توقف فجأة عندما اكتشف أن الركام ينتشر بداخل الكهف فينقص حجمه رويدًا رويدًا.. وبدأت الأتربة تعلو وتتناقص مساحة المياه الجوفية القليلة التي كانت بداخل الكهف.. هنا ترامى إلى عقله أنه يخاطر بردم بركة المياه الصغيرة تلك.. ولكن قد يكون هذا في صالحه بالنهاية، فقد يستطيع الخروج من الكهف، ولكن ماذا سيفعل بعد ذلك؟ حتى لو استطاع أن يزيح كل تلك الصخور والأتربة ونجح بالخروج إلى الصحراء فماذا سيفعل بدون مياه أو طعام أو دليل؟! إنه عاش أيامًا كثيرة بالصحراء وذاق تقلباتها المزاجية وأنها لا ترحم أحدًا.. هنا رأى أن هذا الكهف هو أمله الوحيد؛ فجدرانه السميكة تلك تحميه من برودة الصحراء، فعلى الرغم من أن الكهف يكون باردًا للغاية بالليل ولكنه بالتأكيد أقل بكثير من درجة الحرارة المرتفعة بالنهار والمنخفضة إلى درجة الصفر بالمساء.. توقف مدحت عن محاولاته تلك.. وأخذ يبكي لعدة أيام متواصلة.. فعل كل شيء تخيله ومر برأسه.. كان لأيام كثيرة يرقص ويغني.. يركض بمكانه.. يرسم أي شيء يأتي إلى رأسه.. قرأ جميع الكتب التي كانت بصحبته وصحبة أصدقائه.. أخذ يرسم على

الأرض.. يبنـي قلاعًا ومنازل مـن الرمال حوله.. فعل كل شيء.. كل شيء كان بإمكانـه.. شـعر بأنـه مكـث بالكهـف عدة سـنوات ولكنه بالفعـل قـد مر عـلى مكوثه به مـا يقارب أربعة أشـهر.. ولكن شـعور الوحـدة شيء مقيـت للغاية.. يجعل اليوم الواحد يمر كالدهر بالنسـبة لأي شخص.. لم يستطع مدحت بعد مكوثه بالكهف كل ذلك بمفرده أن يتبـين أن مـن يحادثهم الآن أمامه هم زوجتـه وأولاده، أم أنهم مجرد خيالات نسـجها من عقله؟! كان يسـتمتع كل يوم بعدة ساعات يعيد مـن خلالهـا ذكريات عايشـها هو وأسرته مـن قبل بزيـارة الأهرامات وحديقـة الحيـوان وتناولهم الذرة المشـوية بمسـقط رأسـه بالأرياف.. يبـادل زوجتـه وأولاده الحديـث والضحـكات والطعـام أيضًـا حتى لو لم يكـن حقيقيًّـا فيكفي أن كل ذلك يمر برأسـه حقيقـة وهذا يكفي بالنسـبة له.. هذه التخيلات جعلته يتخطى الشـتاء القارس الذي كاد يفتـك به وهو يرتـدي جميع الملابـس المهلهلة التي كانـت معه وكانت تخص رفاقـه الراحلـين.. ولا تسـمن أو تغنـي مـن جـوع أمام شـتاء الصحـراء.. شـعر بالمرض كثـيرًا وتمزقت معدته لعدة أيـام.. النباتات والأعشـاب أخذت تذبـل بجوار بركـة المياه وبهذا قل مخـزون طعامه فـكان لأسـابيع طويلة لا يـأكل إلا وجبة واحدة كل ثلاثـة أيام.. ظل يعاني ويعاني بسـبب المـرض والجوع والـبرد.. كل شيء بالكهف تغير بفعل الشتاء.. كل شيء.. إلا هي.. تلك الصخرة البيضاء الكبيرة التي يـكاد يجـزم أنها تـضيء أمامـه الآن.. إنها تلـك الصخرة اللعينـة.. إنها السـبب بكل ما يحدث معه الآن.. فلولا بحثهم عنها ما تجشم كل هذا العناء.. ما كان يرتجف بمفرده هكذا كصغير العصفور المبلل.. ما كان

يفارق دفء فراشة وعناق زوجته بالليل.. فقد كل هذا بلحظة بسببها هي.. ذلك الجماد الذي يقف بعيدًا بكل شموخ ليتحداه فلم تستطع المعاول والفئوس تحطيمه ولم يستطع هو أيضًا أن يحطم أي شيء عليها إلا فخره الذي كان يتهشم أمامها كل مرة يحاول تحديها بالقوة.. ظل يرتجف ويرتجف وهو ينظر لها حانقًا مزمجرًا وهو يراها غريمه الذي أمامه ولا يستطيع أن يلمسه.. أي عدو لك يختفي عنك ولو لفترات قصيرة لكن عدوه المزعوم كان يشاطره سجنه الإجباري رغمًا عنه.. طوال ليالي الشتاء الطويلة كان مدحت يتدفأ فقط على نيران الغضب والحقد التي كان يشعلها برؤية الصخرة البيضاء أمامه.. تلك النيران التي لا تخمد هي من أبقته على قيد الحياة في هذا المكان المنقطع عن باقي العالم.. أتى الصيف بعد ذلك.. لقد شعر مدحت به ولم يره.. تحسسه بضوء النهار الذي كان يؤنسه بالكهف أكثر من ذي قبل وبدرجة الحرارة التي كانت ترتفع كثيرًا عن أيام الشتاء ولكن الليل في الصحراء لا يختلف كثيرًا بين الشتاء والصيف فالبرودة هي السمة المشتركة بينهما.. استطاع خلال أيام الصيف تلك أن يمارس قراءة الكتب التي قرأها من قبل كثيرًا ولكن لا يوجد غيرها.. حاول أن يمارس الكتابة لفترة ولكنه كان يشرد بعقله أو يتناسى ما كان يفعله.. أصبح لديه خبرة أكبر بالتعامل مع النباتات، وأخذ يحاول زرع بعض منها بأنحاء أخرى من الكهف ولكنها كانت تنبت ببطء أكثر بكثير من الأماكن التي كانت تصلها أشعة الشمس.. فقام بزرع النباتات بالأماكن المشمسة وأصبحت تلك هوايته المفروضة عليه بمكانه الصغير ذلك.. كان يشغل نفسه بأي شيء متاح أمامه حتى تمر تلك الأيام الطويلة

المملة التي كانت تتشابه مع بعضها.. شعر بالقلق يتسرب إلى قلبه حينما اكتشف أنه بدأ يتناسى ملامح زوجته وأولاده.. لم يتخيل أبدًا أن يحدث هذا معه.. وحينما كانت تتناقص تلك الملامح أكثر فأكثر كان يشعر بالخوف أكثر وأكثر.. حتى ذكرياته مع أسرته التي يتشبث بها لن تكون متاحة له بعد ذلك.. ولهذا بدأ برسم زوجته وأولاده حتى إذا نسي ملامحهم ينظر لهم في رسوماته فيتذكرهم.. انتهى من رسم زوجته وأخذ يتأمل رسمته لها وهو قلق للغاية.. هل بالفعل هذا شكل زوجته؟.. هل لها تلك الغمازات بخدودها؟ هل ابتسامتها هكذا؟ هل رموشها طويلة هكذا؟ لم يدرِ هل هذه زوجته فعلًا أم تلك الصورة التي يحب أن يتذكر زوجته بها.. ولكنه ارتضى بالنهاية بتلك الرسمة سواء كانت حقيقية أم لا، فيكفي أن يشاهدها أمامه.. انتهى من رسم أسرته جميعًا بعد فترة طويلة.. ولكن حدث شيء صادم له للغاية أثناء ذلك.. ابنه الصغير الذي لم يتعد الثلاثة أعوام وأحبهم إلى قلبه.. ابنه الصغير هذا الذي كان يشعر بسعادة العالم بضحكه، وكان يلمس السحاب حين يحتضنه.. ابنه الصغير آخر العنقود لم يستطع أن يتخيل ملامحه أبدًا.. مهما حاول وحاول وحاول.. لا يتذكر وجهه.. لا يتذكر عينيه أو شفتيه الصغيرة أو أنفه الدقيق.. ولا حتى ابتسامته أو صوت ضحكته.. كان قلبه يتمزق عندما اكتشف أنه نسي ملامح ابنه هكذا.. وظل يلوم نفسه بأنه لم يقم برسمهم من قبل.. لم يكن يتخيل أن ذاكرة البشر هشة هكذا.. كان يبكي ندمًا أنه لم يقض جل وقته يشاهد أطفاله يكبرون.. علم بأن اختياره للعمل وحبه للمغامرة أخذه من أعز أحبائه تمنى أن تعود الأيام مرة أخرى ليقضي حياته كلها بين دفء سريره

وحضـن عائلتـه.. وضـع رسـومات أسرتـه حولـه بالكهـف حتـى لا ينساهم أبدًا.. ولم يقم برسم صورة لابنه الصغير حتى لا يتذكر بأنه نـسي ملامـح أحـب أبنائـه إليه مـع أنـه كان يشـعر بذلك حينـما ينظر لرسومات أسرته كل مرة يراهم.. مرت الأيام سريعًا حتى أتم مدحت 9 أشـهر كاملة بمفـرده بالكهف.. واجه خلالهـا صعابًا لم تمر على حياة شـخص تجاوز العقد التاسع من عمره.. فكان كثيرًا يضطر أن يتشاطر الكهـف مع ثعبـان أو أكثر بليالي الشـتاء الباردة.. كان يشـعر بالخوف الشـديد عندما يشـاهد ثعبانًا يزحـف على جدران الكهـف لأول مرة وفكـر كثـيرًا بقتاله ولكنـه كان يبتعد مرغمًا خوفًا من مشـهد الثعبان.. فمشـاهدة ثعبان لا يفصل بينه وبينك إلا بضـع خطوات تختلف كثيرًا عن مشـاهدته من بعيد خلف شاشات التلفاز والحاسوب وأنت تعلم بأنـك بمأمن منه.. تشـارك الثعبان الكهف مع مدحـت لمدة ثلاثة أيام كاملـة لم يـذق مدحت النوم أبدًا خلالها، وتراقص فرحًا عندما شـاهد الثعبـان يزحـف إلى الفتحة التي بأعلى الكهف عائـدًا من حيث جاء.. فيبـدو أنـه لم يفضل مشـاطرة بشر بمكان واحـد، ويبدو أنـه كان أكثر خوفًـا بكثير من مدحت بذلك الوقت.. ومـع تكرار هذا الأمر أصبح مـن العـادي لـدى مدحـت مشـاطرة الكهـف مـع الثعابـين وبعـض الحيوانـات التـي تلجأ إليه خلال رحلتها.. فالانسـان يخـاف من لم يره ولكـن عندمـا تعتاد على رؤية شيء مهما كان غريبًـا فانه يتحول إلى أمر اعتيادي للغاية بعد ذلك.. ولكن الوافد الجديد الذي أتى كان له وضع آخر.. شـاهده للمرة الأولى عندما كان نائمًا ووجد شـيئًا يصدر صوتًا لم يعتد سماعه من قبل.. صوت شيء غير فحيح الأفاعي الذي كان قد

اعتـاد عليـه حينما كان يسـمعه من وقت لآخر.. صـوت نميم لم يخطئه بالحـال.. كان يصـدر من فـأر صغير على بعـد عدة أمتار مـن مكانه.. يقـرض بأسـنانه قطعة مـن الصخـور بالقرب مـن المياه الجوفيـة التي بالكهـف.. كان صغير الحجم لا يتعدى 12 سـم بذيله الطويل وعيونه السـوداء على جانبي رأسـه ويديـه الصغيرتين تحاولان إمسـاك الحجر بقـوة يفتقدهـا وهـو يقضـم بأنيابـه الصخـرة ولا يسـتطيع أن يأكلها بالتأكيد.. كان فراؤه مختلفًا كثيرًا عن الفئران العادية التي بالمنازل؛ لأنه كان فأرًا من النوع الذي يعيش بالصحراء ويسمى بالفأر الشوكي لأن شـعر فرائه يكون بارزًا قليلًا مثل الشوك، ومن هنا اتخذ ذلك الاسم.. شـعر مدحت بالسـعادة الشـديدة حينما وقعت عيناه على هذا المخلوق الصغـير.. بالطبـع لو كان شـاهده بمنزله من قبل فلن يكـون له جزاء إلا الحـذاء، ولكـن في وضعه هنـا كان الأمر مختلفًا، فانـه بوضع يجعله يسـتأنس بمصاحبة أي مخلوق أيًّا كانـت ماهيته، وبالطبع مصاحبة فأر أفضـل بكثير من مصاحبة أفعى صحراوية.. حاول مدحت أن يقترب منـه ففزع الفأر وجزع وأخذ يختبئ مبتعـدًا عنه.. اضطرب مدحت في الحال وشـعر بالشـفقة على الفأر فاكتفى بأن يشـاهده مـن بعيد.. عدة سـاعات انتظرها مدحت بسـكون وبصبر شـجعت الفأر على الظهور مـرة أخرى بأرجاء الكهف.. حينما وقعت عينـاه مرة أخرى على الفأر شـعر بفرحـة عارمـة لم يتوقعها أبـدًا بحياتـه لرؤية فأر.. وظـل يترقبه باهتمام شـديد وسكون أشبه بسكون تمساح نيلي متحفز.. شاهده ينظر لـه كثيرًا بنظرات قلقة فيبـدو أنه لم يرَ جنس البشر من قبل فتوجه الفأر سريعًا إلى الفتحة التي أتى منها ولكنها كانت أعلى الكهف فسقط الفأر

سريعًا ولكنه كرر المحاولة أكثر من مرة ولكنه كان يسقط على الأرض متألمًا بكل مرة.. شعر مدحت بالشفقة تجاهه وقرر أن يساعده بأن يحمله ويلقيه إلى خارج الكهف من الفتحة ولكن مخططه لم يتم حيث أخذ الفأر يصرخ حينما رآه مقبلًا جهته واختفى بالحال بأحد أركان الكهف المظلمة ولم يظهر بهذا اليوم أبدًا.. أخذ مدحت يضحك ويقهقه من فعل الفأر؛ فهو كان يريد أن يساعده ولكنه لم يفهم ذلك.. مرت ثلاثة أيام منذ ظهور الفأر بالكهف لم يره خلالها مطلقًا، ولكن صوت نميمه كان ينتشر بالظلام دليلًا على وجوده.. وفي عصر اليوم الرابع ظهر أخيرًا وهو يتنقل بحرية أكثر بأنحاء الكهف، وقل حذره عن أول مرة كثيرًا.. ظل مدحت يتابعه باهتمام وشغف كبير، وراقبه وهو يحاول أن يخرج من الكهف عدة مرات ولم ينجح.. وبالنهاية يبدو أنه قد استسلم مثل مدحت وارتضى بعيشه بداخل الكهف.. كان مدحت يكتفي بأن يرقب هذا الفأر من بعيد دون أن يقترب منه حتى لا يشعره بالخوف، ويبدو أن الفأر كان أكثر جراءة من مدحت وبادر هو بالاقتراب منه رويدًا رويدًا.. وبعد أسبوع كامل أصبح الفأر لا يشعر بالخوف من ملامسة مدحت بل أصبح له الحرية بأن يدلف إلى أي جهة يريدها حتى ولو كانت ملابسه.. وكان بنطال مدحت هو المكان المحبب له.. شعر مدحت بالامتنان الشديد لرفقة هذا الفأر الصغير الذي كان يتحدث معه بالساعات بكل شيء يدور بخلده بينما الفأر كان يتحرك على يديه وجسده بكل أمان.. كان يشعر بالغبطة الشديدة من ملامسة فرو الفأر المستقيم مثل الشوك فكان يشعر بالراحة بمداعبة أنامله لذلك الفرو الجميل، وكان الفأر يبادله ذلك

الشعور فكان مدحت يلاحظ أنه يأتي إليه ليداعب فروه.. استمرت تلك الصداقة غير التقليدية بينهما لفترة طويلة استمرت لعدة أشهر.. كان مدحت والفأر خير رفيقين.. تغيرت أحوال مدحت للأفضل قليلًا وأصبح هناك سبب لاستيقاظه كل يوم مفعمًا بالنشاط، فالحياة برفيق مختلفة كثيرًا عن حياة الوحدة.. استمر هذا الأمر على ما يرام حتى صباح أحد الأيام عندما استيقظ على صوت نميم قوي للفأر على غير المعتاد فأخذ ينظر حوله مترقبًا ماذا حدث، وخشي أن يكون رفيقه قد انتهى به الحال وجبة لأحد الثعابين الزائرة للكهف كما كان يخشى دائمًا، فحمل حجرًا بيده سريعًا وأخذ يفتش عن تلك الأفعى المزعومة، ولكنه لم يجده بل وجد الفأر بالقرب من أحد أركان الكهف ولا يوجد شيء غير طبيعي نهائيًّا.. فألقى بالحجر من يده وتنفس الصعداء وحمل الفأر بيده وهو يحدثه ويلومه على كل تلك الجلبة التي افتعلها بالصباح.. قام بتناول بعض الفطر وبعض الأعشاب والنباتات التي نبتت بجانب المياه ولا يعلم ماهيتها، وقام بإعطاء الفأر بعضها فتناولها بالحال، وأخذ مدحت يراقبه وهو مبتسم للحظات ثم نظر أمامه مصادفة وهنا وجد أغرب شيء شاهده بالكهف حتى الآن.. الصخرة البيضاء التي يكرهها من كل قلبه وأصبحت مشاهدتها جزءًا لا يتجزأ من روتينه اليومي تلك الصخرة غريبة الملمس بيضاء اللون لقد اختفت من داخل الكهف.. ليس لها أي أثر.. هب مدحت واقفًا مذهولًا وهو يمسح عينيه غير مصدق.. أين ذهبت الصخرة؟ هل يمكن أنه يحلم.. أخذ يتحسس وجهه ويديه.. إنه بالفعل لا يحلم.. أين ذهبت تلك الصخرة الغريبة؟ ظل يبحث حوله بجنون أين

ذهبـت؟ أيـن ذهبـت؟.. قـام بالبحث بكل ركـن مـن أركان الكهف الصغير وهو متعجب للغاية وهو يفكر: هل يمكن أن يكون شـخص قد أتى وأخذها دون أن يعلم؟ لكن هذا شيء مستحيل، ولكن لم يمنعه ذلـك مـن تفقد فتحـة الكهـف المغلقة بالـركام والفتحة التـي بالأعلى ولم يجـد بهما شـيئًا مختلفًا.. إذًا أيـن ذهبت؟ كاد يجن بشـدة وهو يحاول التفكـير بمصـير تلـك الصخرة التـي كانت السـبب بما حـدث له هو وزملائه.. لم ينفك أبدًا عن البحث بكل أركان الكهف.. هو يعلم بأن حجـم الصخـرة الكبيرة نسـبيًّا سـتكون ظاهـرة للعين بوضـوح وأنه سـيراها بكل تأكيد لو كانت موجـودة ولكن لم يمنعه هذا من مواصلة بحثـه عنهـا بداخل الكهـف.. بعد مرور عدة سـاعات شـعر مدحت بالتعـب والجوع فتوقف عن البحـث، وارتكن إلى الحائط، وأخذ ينظر إلى صـور عائلته حولـه محتارًا.. مـاذا حدث؟ كيـف اختفت الصخرة هكـذا؟ وماذا سـيفعل الآن؟ هل لـن يراها مرة أخرى؟ شـعوره كان متضاربًا هنا ما بين الفرح لعدم رؤيتها والغضب أيضًا؛ لأنه لم يسـتطع التغلـب عليها، ولـن يجد أمامه من يلقي اللوم عليه بعد ذلك لما يحدث له من مصائب.. ظل شـارد الذهن يهذي ويحدث نفسه.. هل يستطيع شيء أن يختفـي هكذا؟ شـعر بالخوف يتسرب إلى قلبه لا يعلم سـببه.. هل لأنه سـيفتقد وجود الصخرة أمامه أم بسبب اختفائها هكذا بدون أي مقدمات ولا سـوابق انـذار؟ مرت الأيام سريعًـا وأصبح مدحت يعتـاد عـلى عدم وجـود الصخرة معـه.. بدأ يحـن للحرية مـن جديد، وخروجـه من هذا الكهف، وجلوسـه مرة أخرى مـع أسرته.. لم تمنعه صحبـة هذا الرفيق الصغير من معـاودة حلمه هذا كل يوم وكل ليلة..

كان يبكي كثيرًا قبل نومه، وكان هذا الأمر يشعره بالراحة ويجعل نومه هادئًا مريحًا.. وحينما كان يتسلل اليأس إلى قلبه كان يصنع ورقه يكتب بها ماذا سيفعل عند خروجه من الكهف وأين سيذهب مع أسرته.. تلك الأحلام والخيالات التي كان يصنعها كانت تحل الأمل بدلًا من اليأس بحياته.. بعد عدة أيام لم يحسبها مدحت حدث شيء غير متوقع سيغير مجرى الأمور إلى الأبد.. إذ استيقظ مدحت فجأة بمنتصف الليل بمفرده ليشاهد الكهف مضاء.. هب سريعًا مندهشًا عندما شاهد الضوء يدلف إلى داخل الكهف لأول مرة بالليل منذ مكوثه هنا بالداخل.. كان يريد أن يعلم مصدر هذا الضوء، ولكن أبت عيناه أن تفعلا ذلك؛ فهما لم تلامسا شيئًا بمثل هذا البريق منذ فترة طويلة.. أخذ يضع يده أمام عينيه ليمنع وصول الضوء إليهما، وظل على ذلك الأمر لعدة دقائق حتى أصبحت عيناه تستطيعان أن تتحملا هذا الضوء.. نظر إلى مصدره لثوان يتأمل ماذا يكون ذلك، وهنا شاهد المصدر بكل وضوح.. بركة المياه أمامه تعكس إضاءة أشياء صغيرة للغاية بأعداد كبيرة تغطي بركة المياه بالكامل وبالقرب منها ينمنم الفأر وهو يشاهدها مندهشًا مثل اندهاش مدحت تمامًا الذي صاح بالحال: «ما هذه الأشياء؟!».. قالها وهو يقترب بفضول يسوقه كالبعير وأخذ يدقق بتلك الأشياء التي كانت صغيرة للغاية وتكاد لا ترى بالعين، ولكن أعدادها الكثيرة جعلتها ظاهرة وبقوة.. اقترب مدحت أكثر وجلس بجوار بركة المياه ومد يده إلى تلك الأشياء المضيئة يتلمسها وهنا شعر بشيء غريب للغاية.. أن ملمسها بارد كقطع الثلج الصغيرة.. شعر بذكريات منسية ممتعة.. نسيم الصيف بليالي الإسكندرية عشقه

وهـو صغير.. أخذ مدحت يداعب تلك الأشـياء بيده وهو ممتن لها أن جعلتـه يرى الكهف مضاء لأول مرة منذ شـهور كثـيرة.. اقترب أكثر وأكثـر ليرى ماهية تلك الأشـياء التي كان يرجـح أنها حشرات مضيئة مثل تلك التي كان يشـاهدها بالأفـلام.. اغترف منها غرفة بيده ليراها عـن قرب وظل يشـاهد أنوارها القويـة على كف يـده وحولها، ولكن لم يـدم الأمر أكثـر من ثوان قليلة حتـى وجد أن تلك الأشـياء المضيئة انسحبت من على يده وتوجهت بسرعة إلى قريناتها أعلى بركة المياه بقوة كالمغناطيـس.. هـذا الـشيء جعـل مدحت مذهـولًا وسـعيدًا في ذات الوقت.. فقام بغرف بعض منها بيده مرة أخرى وظلت على يده لثوان معـدودة ثم تكـرر الأمر مرة أخـرى وابتعدت عنه سريعًـا إلى قريناتها فوق بركة المياه.. أعجب مدحت للغاية بهذه الأشياء فغرف منها بيديه الاثنتـين وظل يشـاهدها وهي تطير بالهـواء مبتعدة جهة بركـة المياه.. أعجبـت تلك اللعبة مدحـت فأخذ يغترف منها بيـده ويذهب مبتعدًا لجهـة بعيـدة من الكهف حتى يراهـا تطير في الهـواء منجذبة سريعًا إلى بقيتهـا كالمغناطيـس، ولكنه لاحظ تلـك المرة أن هذه الأشـياء المضيئة أخذت وقتًا أطول كثيرًا عندما ابتعدت عن قريناتها.. فلقد ظلت فوق يـده لما يقـارب الثلاثين ثانية ثـم عادت مسرعة جهة البركـة بالنهاية.. هـذا الضيف الجديد أثار فضول مدحت بالحـال كما يثار الأطفال عند مشـاهدتهم لشيء جديد.. فأخذ يداعبها ويلعب بها طوال الليل بدون كلل أو ملل حتى صباح اليوم التالي.. وهنا بدأ ضوء الشـمس يتسـلل إلى الكهـف، وتوقـع مدحـت أن تختفي أنوار تلك الحـشرات كما يظن ولكن لم يحدث هذا.. فلقد ظلت كما هي فوق البركة وإضاءتها مازالت

مستمرة.. وهكذا تحول الكهف من الظلام الدامس الذي كانت تتخلله بعض أشعة الشمس على استحياء بالنهار إلى مكان مضيء ينبض بالحياة.. شعر مدحت بالسرور يغزو قلبه من ضيوفه الجدد.. فقد تخللت كهفه الكئيب الحياة والضوء الذي بدد ظلام الخوف والكآبة ولو لفترات قصيرة.. ظل الأمر كما هو لعدة أيام، وأصبح مدحت يستطيع القراءة والكتابة والرسم بأي وقت يريده.. وبعد ملاحظه شديدة لتلك الأشياء المضيئة بدا جليًّا له أن تلك الأشياء ليست حشرات فهي لا تطير أو تتحرك أو تأكل مثلها.. إنها متجمعة فقط فوق بركة المياه ولا تفعل أي شيء آخر غير ذلك، وإذا فرقتها عن بعضها تعود سريعًا مرة أخرى.. هذه الأشياء الغامضة حركت فضول مدحت بعد أن كان راكدًا لفترة طويلة.. فضول فاق خوفه من ماهية هذه الأشياء.. في كثير من الأحيان كان يشعر بأن ما يراه أمامه هذا وهم من رأسه، ولكن إضاءة المكان حوله تجعله يتراجع عن هذا التفسير سريعًا.. هؤلاء الزائرون الجدد جعلوا اهتمامه أقل بالفأر عن ذي قبل وأصبح لا يعيره اهتمامه الكلي مثل السابق.. وكذلك اهتمام الفأر توجه بشكل كلي إلى تلك الأشياء المضيئة فكان يظل أغلب وقته بالقرب منها يصدر لها نميمه.. يبدو أنه يحاول التواصل معها فكان مدحت يبتسم من فضول الفأر وهو يفكر متسائلًا: هل تلك الحيوانات لها عقل وتشعر وتفكر مثلنا؟ هذا بالطبع سيكون شيئًا مثيرًا أن يستطيع أن يتواصل مع الحيوانات.. مرت ثلاثة شهور على ظهور هذا الضيف غير المتوقع وأصبح شيئًا طبيعيًّا بالنسبة لمدحت أن يراه فوق بركة المياه.. مر عام بالكامل على وجود مدحت بالكهف و9 أشهر على

ظهور الفأر بالكهف.. الذي لم يره مدحت هذا الصباح.. اتجه مدحت إلى جهة النباتات التي أصبحت تنمو أسرع كثيرًا بحضور أضواء تلك الأشياء، والعكس صحيح مع فطر عيش الغراب الذي أصبح ينمو ببطء عكس السابق.. أخلى بعض النباتات والأعشاب بحذر حتى لا يمزق النباتات التي تنمو بعد، فلقد أصبحت لديه خبرة كبيرة في زراعة واستنبات النباتات الآن بحكم أنها مصدر طعامه الرئيسي.. أخذ ما يريد وشرب بعض المياه من البركة، وهنا شاهد صورة بانعكاس الماء ليجد نفسه يرتدي ملابس مهلهلة للغاية ولحيته وشعر رأسه طويلين ومشعثين بينما أصابعه ويده أصبحت دقيقة للغاية، وعظام وجهه بارزة.. شعر لوهلة أنه يشاهد شخصًا آخر معه بالكهف وليس هو.. كيف أصبح نحيلًا هكذا؟! مد يده جهة بركة المياه ليتلمس صورته التي اختفت مع تبعثر موجات المياه بكل مكان.. تألم بشدة لرؤية نفسه هكذا، وأخذ ينظر إلى صورة عائلته التي عبثت بها الرطوبة والحرارة بشدة وجعلتها كمن أكل عليه الزمان وشرب.. وتحدث إليهم مبتسمًا: «صباح الخير».. وأخذ يتلمس الرسومات بيده باشتياق عظيم.. وهنا حدث شيء غريب للغاية.. لقد تحركت تلك الأشياء المضيئة من الكهف وانتشرت بكل مكان على الحوائط والأرضية ووسط المياه تجمعت بكل مكان حوله.. هنا أخذ مدحت ينظر إلى محيطه مندهشًا ولا يفهم ماهية هذه الأشياء وماذا تفعل الآن.. أخذ يحركها من على الحائط ومن فوق رسومات عائلته.. وهنا حدث شيء مختلف عن كل مرة كان يلمسها بها.. لقد تفاعلت تلك الأشياء معه هذه المرة.. لقد التفت حول يده هي أولًا.. وأخذ يستشعر ملمسها

البارد حول كفه.. ثم فجأة أخذت تلك الأشياء المضيئة بالتجمع حول كامل يده وأخذت تمتد وتمتد إلى ذراعه ثم كتفه ورقبته وظهره.. وخلال دقيقتين كانت تلمس جميع أنحاء جسده.. تسارعت نبضات قلبه بقوة وهو قلق ممَّا يحدث معه، ولكن ملمس تلك الأشياء المضيئة الباردة لم يجعله يشعر بالخوف بل بالراحة التي تحدث لك عندما يلمسك نسيم بارد أثناء قيظ يوم صيفي حار.. كان المشهد رغم غرابته بديعًا.. حيث كان الكهف يشع بكل شيء بداخله حتى مدحت الذي كان يقف وجسده كله لامع مضيء وهو ينظر إلى ذراعه وملابسه وأقدامه تلمع.. ظل يضحك وهو يقلب يديه أمامه مذهولًا مما يرى، وظل هكذا عدة ساعات ولكنه شعر بالقلق يتسرب إليه عندما كان يحاول أن يتخلص من تلك الأشياء المضيئة فتعود إليه مرة أخرى.. وظل على هذا الحال لفترة طويلة شعر بالخوف خلالها أن تلتصق تلك الأشياء به للأبد فأخذ يصرخ عليها غاضبًا وهو يفركها بقوة من جسده ولكنها كانت تعود كلما كان يبعدها بالقوة، وهنا لجأ إلى آخر حيلة بجعبته عندما قفز إلى بركة المياه التي كانت تغطيها تلك الأشياء أيضًا وأخذ يفرك جسده بالمياه وهو يصرخ.. ولمدة دقيقتين أخذ يسكب المياه بعنف على جسده وملابسه وهو يصرخ خوفًا ويريد أن تبتعد عن جسده، وفقد الأمل في أن يحدث هذا، ولكن حدث شيء مغاير لما كان يعتقد حيث تجمعت كل تلك الأشياء في لحظة واحدة من الكهف فوق بركة المياه مرة أخرى كما السابق.. هنا قفز مدحت من البركة وأخذ ينظر إلى جسده المبتل وملبسه ولم يجد أي أثر لتلك الأشياء اللامعة عليهما.. سقط على الأرض وهو يلهث وأسند ظهره بالحائط وهو ينظر

لتلـك الأشـياء اللامعـة الغريبـة أمامـه.. إنـه يجهـل كنههـا وماهيتها والانسان بطبيعته عدو ما يجهل.. هذا ما جعله يتحول من الافتتان بها إلى الخوف منها.. ولعدة أيام لم يقترب مدحت أبدًا من بركة المياه خوفًا مـن أن تنقض عليه تلك الأشـياء اللامعة وأخذ يتحمل العطش الذي دب بـه، وكان لا ينام إلا سـاعات معـدودة خوفًا مـن أن تنقض عليه وتلتبسـه وهو نائم.. ولكن هدأ روعه قليلًا عندما وجد تلك الأشـياء سـأكنة ولا تتحـرك، فأخـذ يشرب ويمـلأ بعض القنينـات ويحفظ بها الميـاه.. مـرت عـدة أيـام أخـذ الفضـول يـراوده خلالهـا لكـي يحاول استكشـاف تلك الأشـياء اللامعة أمامه مرة أخـرى.. حاول أن يكبح جماح فضوله ولم يسـتطع فلم ولن يسـتطيع انسـان بالعـالم أن يروض فضولـه أبـدًا.. اقترب زاحفًا بحـذر جهة بركة المياه وظـل يتأمل تلك الأشـياء اللامعـة عـن قـرب، ثـم رفـع يديـه بحـذر شـديد وحـاول ملامستها.. وهنا فوجئ برد فعل تلك الأشياء التي فعلت مثله بالضبط واقتربت من يده، وهنا شعر بالخوف وزحف مسرعًا إلى الحائط واستند عليـه مرتاعًـا فعادت تلك الأشـياء اللامعة إلى السـكون مرة أخرى.. سـاقه فضولـه مرة أخرى أن يتقـدم جهتها ولم يسـتمع إلى خوفه الذي ألقـاه بأعـماق قلبه وتقدم مـرة أخرى بحذر أقل وسرعـة أكبر من المرة السـابقة وأخـذ يقـرب كف يـده منها مـرة أخـرى، وهنا بـدأت تلك الأشـياء اللامعة بفعل الشيء نفسـه حيث تحرك عدد كبير منها ليشكل شيئًا مثل الكف أمام كف يد مدحت الذي ابتسم بالحال من هذا الأمر ثم حرك كفه جهة اليمين وهنا لم تتحرك الأشياء اللامعة للحظات، ثم بعـد ذلك تحركت هـي أيضًا إلى اليمـين.. ضحك مدحـت هنا وأخذ

يستمتع بتلك اللعبة الجديـدة ومحاكاة حركاته، فحـرك كف يده جهة اليسـار وبالفعل وبعد لحظات فعلت تلك الأشـياء اللامعة ما يفعل.. هنا ضحك مدحت بشدة وقام برفع يديه الاثنتين وأخذ يحركهما لتتبعه تلك الأشياء اللامعة.. وكم كان يضحك كثيرًا عندما يحرك يده بسرعة يمينًـا ويسـارًا فتصبح تلـك الأشـياء اللامعة بحـيرة وتصنع حركات مضطربـة غير منسـقة تجعله يسـقط أرضًـا من الضحـك.. أصبح هذا الأمر شيئًا مسليًا بالنسبة لمدحت يجعله يبتعد قليلًا عن الروتينية والملل الشـديد الـذي يحياه كل يوم.. فأصبح يبدأ يومـه كل صباح بالأكل ثم التوجه إلى تلك الأشياء اللامعة ليعبث معها بحركات جديدة كل يوم بـدأ من التلويح وانتهـاء بحركات الرقص المختلفـة التي كان يصنعها بجسـده ومحاولة تلك الأشياء اللامعة محاكاة تحركاته تلك.. وظل هذا الأمـر لفترة طويلة حتـى صباح أحد الأيام حينما وجد مدحت جسـد الفأر الصغير الذي كان يشـاركه بالكهـف ملقى على جانب بركة المياه ميتًا ولا يوجد به أثر للحياة.. هنا اقترب منه مدحت مصدومًا مشدوهًا وهو يحمل جسـد رفيقـه الصغير وهو ميت لا يتحـرك.. لم يكن يعتقد أبدًا أن دورة حياة تلك المخلوقات صغيرة هكذا.. شعر بالحزن الشديد وأخذت الدموع تنسـاب من عينيه رغمًا عنـه، وحلت ذكريات الآلام كلهـا مـع آلام جسـده فتكالبـت مـع الآلام أحزانـه بفقـدان الأهـل والأصدقـاء.. جميـع تلك الآلام تجمعـت بتلك اللحظـة فانفجر بنوبة بـكاء شـديدة وهـو يصرخ وينـدب حظـه الذي جعـل جميـع مرافقيه يموتون وهو فقط من يتبقي وحيدًا ويتجرع نوبة حزن جديدة على من فقدهـم.. وضع الفأر بالقرب من بركـة المياه وارتكن إلى الحائط يبكي

بحرقة شـديدة.. لم يكن يتصور يومًـا أن يذرف دموعه تلك على فأر..
بعد نوبة بكاء شـديدة شـعر مدحت بالاسـترخاء الشـديد والارتياح، فلقد غسـلت دموعه همومه وأحزانه المكبوتة وظل يحدق بجسد رفيقه الصغير وهو سـأكن لا يتحـرك بجوار بركة المياه لفـترات طويلة وهنا حدث شيء لم يكن يتوقعه أبدًا.. إذا ان الأشياء اللامعة فوق البركة قد تحركـت لأول مرة منذ فترة طويلة بمفردها واتجهت جهة جسـد الفأر وجعلـت تلمسـه للحظات ثم فجـأة التفت حوله وغطتـه تمامًا.. هذا الفعل الغريب أثار انتباه مدحت بشـدة.. ماذا يحدث أمامه الآن؟ لماذا تلمسـت تلك الأشياء جسـد الفأر هكذا؟ ظلت تلك الأشياء اللامعة ملتفة حول الفأر فترة طويلة ولم تتحرك وهنا شعر مدحت بالفضول..
مـاذا يحـدث هنا؟ فتحـرك جهة الفأر ثم سـحبه من بين تلك الأشـياء اللامعة بقوة وهو غاضب فابتعدت الأشـياء اللامعة عن جسـد الفأر وهنا شعر مدحت بالغضب الشديد من فعلهم غير المفهوم هذا، وقرر أن يدفن جسـد الفأر بشـكل لائق حتى لا تعبث تلك الأشـياء به بعد الآن.. فقـام بالحفـر بجهـة بعيدة عن بركـة المياه وحفر تلـك المرة على عمـق كبـير لأنه تعلم مـن الدرس السـابق عندما دفـن صديقه يونس ولاقى الأمرين بسـبب ذلك، ودفن الفأر واتجه إلى مكان أسـفل صور عائلته التي لا يوجد رفيق له هنا غيرها.. ثم حدث شيء جديد أمامه..
كل تلـك الأشـياء اللامعـة التفـت عـلى نفسـها وصنعت شـكل كرة بيضاوية بيضاء ولكن ألوانها تغيرت وأصبحت مثل شيء ينبض بألوان مختلفة أبيض وأزرق وأسود وأحمر وبني.. ألوان كثيرة للغاية تتغير كل لحظة أمام عينيه.. هذا المشهد الغريب العجيب كان يثير شهية مدحت

للرسم وأشعل روح الفنان التي ظلت خامدة بداخله لفترة طويلة، وقفز سريعًا يبحث عن أدواته وكراسة رسمه وهو لا يعلم ماذا يحدث أمامه الآن أو ما يدور، ولكنه يجب أن يسجل هذه اللحظة أمامه بالتأكيد، وظل يرسمها بكل تفاصيلها وباهتمام شديد للغاية.. كانت تنقصه العديد من الألوان ولكنه حاول أن يسجل تلك اللحظة أمامه بأي طريقة.. وبعد عدة دقائق توقفت تلك الكرة البيضاوية عن الحركة، وتوقفت عن إصدار الإضاءة، وعاد الكهف مظلمًا مرة أخرى.. شعر مدحت بالخوف الشديد.. ماذا حدث؟ هل سيعود إلى الظلام مرة أخرى؟ هل سيغوص في أعماق الظلمة مرة أخرى بعد أن أخذ يعتاد العيش بوسط تلك الإضاءة التي صنعتها تلك الأشياء؟ ماذا حدث؟ هل تعاقبه؟ هل فعل شيئًا خاطئًا معها؟ هل حرمته من الضوء عقابًا له على ما فعله معها وسحبه الفأر من بين قبضتها؟.. اللعنة! لماذا فعلت ذلك؟ إنه بالنهاية فأر لعين.. لماذا تصنعت أنه فرد من عائلتي؟ صرخ بها مترجيًا: «لا تأخذوا النور مني.. لا تدعوني بالظلام مرة أخرى.. سوف أعطيكم الفأر مرة أخرى.. أرجوكم أعيدوا النور إلى حياتي مرة أخرى».. ولكن لم يجد رد فعل بأي شكل من الأشكال.. أخذ يتحسس طريقه إلى بركة المياه ووجدها حينما عندما ابتلت قدماه فأخذ يرفع يديه باستماتة يبحث عن الكرة التي كانت مضيئة فلم يجدهالثوانٍ.. ثم ارتطمت يده بها مصادفة.. فوجه نفسه وكل حواسه جهتها ليمسكها بيده وهنا وجد ملمسها أصبح خشنًا ولا تضيء نهائيًّا.. ظل يتوسل إليها مترجيًا: «أرجعوا الضوء أرجوكم لا تتركوني بالظلام، فلتعيدوا الضوء أرجوكم».. وظل يطرق

عليهـا بيده لكي تسـتجيب لـه ولكن لا مجيـب.. ظل يحاول باسـتماتة شديدة وهو يفركها بيده ويحركها يمينًا ويسارًا على أمل أن تخرج النور مرة أخرى ولكن لا شيء يحدث.. تعثر بأحد الأحجار أسفل منه وهو يتحرك فسقط أرضًا وسقطت الكرة بجواره، فظل يطرق الأرض بيده غاضبًا وهو يصرخ بحنق شديد: «لماذا يحدث هذا معي؟ لماذا؟ إذا كنتم ستسـلبون الضـوء مني فلماذا أتيتـم به أصلًا؟ أتريـدون أن تزيدوا من عـذابي؟ لماذا لا أموت وأتخلص من هذا الشـقاء؟ لماذا يحدث معي كل هذا؟ أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا.. أنا لم أسرق أو أقتل أو أؤذي أحدًا طوال عمـري.. فلماذا يحدث كل هذا معي؟ لمـاذا؟ لماذا؟».. لم يجب أحد عن سؤاله هذا إلا صدى صوته وهو يرن بأركان الكهف حوله.. استسلم مدحت لما يحدث ودخل بنوبة بكاء جديدة لعلها تخرجه من الحالة التي هو بها الآن.. ولكن حتى البكاء لم يخرجه من حالة اليأس التي انتابته.. فمرت العديد من الأيام كان لا يتحرك بها من مكانه إلا تحت ضغط ألم الجوع الشـديد والعطش الـذي كان يذبح حنجرته ولـولا هذا ما كان ليتحرك من مكانه أبدًا.. ولماذا يتحرك؟ وأين؟ ولماذا؟.. كان يتمنى أن يزوره الموت لكي يريحه من ألم التفكير به ويستأنس بأرواح الموتى بدلًا من وحدته القاتمة تلك.. ولكن حتى هذه الرغبة بالموت لم تتحقق له.. مرت أعوام كثيرة بحسـابه ولكن بتوقيتنا نحن مرت ثمانية أشهر كاملة منـذ هذا اليـوم.. أصبح خلالها مدحـت هيكلًا عظميًّـا يتنفس بالكاد يقـف منتظرًا على أبواب الموت التي فتحت لـه على مصراعيها بانتظار عبـوره ولكـن أجله لم يحـن بعد.. كم تمنـى كثيرًا أن يتخلـص من هذا العـذاب الـذي كان يمضغه كل يـوم ولن يبصقه أبـدًا إلا عند الموت!

كانت الآلام من البرد والجوع والحرارة الشـديدة تؤلمه ولكن ليس بألم فقدانه النور مرة أخرى.. ذلك النور الذي كان يعطيه الأمل باستنشاقه لنسيم الحرية يومًا ما.. حتى وان لم ينلها فكان يكتفيه أن يمتلك إحدى سـماتها.. أن يسـتطيع أن يشـاهد ما يريد وقتما يريد.. تلك النعمة التي كان يمتلكهـا بـكل لحظة بحياته ولكن لم يقـدر قيمتها أبدًا.. جل يومه كان يقضيـه بالنـوم.. مفاصلـه أصبحت تؤلمـه لعدم تحريكهـا كثيرًا.. رأسه كان يتمزق من الصداع الذي يلازم أسفل رأسه وعنقه.. أطرافه كانـت تشـعر بتنميـل شـديد.. كان يتحدث كل يـوم إلى عائلتـه التي رسـمها خلفه يشـكو لهم حالـه أحيانًا كثيرة وأحيانًـا أخرى يحكي لهم ذكرياته معهم.. تلك الذكريات التي لم ينسها أبدًا على الرغم من نسيان ملامح أصحابهـا.. كاد يمر عامان على وجوده بالكهف بمفرده.. وفي أحـد الأيام عندما كان نائمًا سـمع صوتًا قويًّا بجـواره.. فتح عينيه على مضض ليشـاهد لأول مرة منذ وقت طويل ضـوءًا ينبعث من خلفه.. شعر بالفرح والخوف معًا.. حاول أن يرى ما الذي يحدث ولكن شدة الضـوء منعتـه مـن ذلـك، والصـوت القوي مـازال يصـدر، والضوء يتصاعـد أكثـر فأكثـر.. قاوم شـدة الضوء بيـده، وأخذ يتابـع بفضول شديد ما يحدث.. وهنا شاهد بكل وضوح الكرة التي صنعتها الأشياء المضيئـة بالمـاضي تنكـسر ببـطء ويصدر منهـا ضوء قـوي مثل صوت الغريق الذي انطلق إلى السطح ليتنفس، فانتشر سريعًا بأنحاء الكهف.. تملكتـه رهبـة ورغبة قوية.. رغبة بـأن يعود الضوء ليمـلأ الكهف مرة أخـرى ورهبة من أن يسـلب منـه بعد ذلـك.. ولكنه كان ممتنًّـا للغاية لعـودة النـور لحياتـه مرة أخرى حتـى ولو لثـوانٍ قليلة حيـث انبثقت

الأشياء المضيئة من الكرة وانتشرت بالكهف مرة أخرى.. شعر بالفرح الشديد وهو يركض خلفها يطاردها مثل الأطفال وهم يطاردون الفراشات.. كان يلاحقها وهو يلوح بيديه لها بكل مكان بالكهف تعبيرًا عن فرحه وامتنانه لعودتها إليه مرة أخرى.. شعر بحيوية لم يشعر بها منذ فترة طويلة وأن الحياة تنبثق بجسده من جديد.. هو لا يعلم لماذا انسحبت من قبل ولماذا عادت من جديد ولكنه لاحظ شيئًا مهمًّا هو أنها أصبحت أكثر تفاعلًا من ذي قبل.. عندما بدأ لعبته المحببة بتحريك يديه وجسده أمامها لتحاكي حركته وجد أنها تنجح بمحاكاة حركته بسرعة شديدة مهما كانت تلك الحركات صعبة وغير متوقعة، والأكثر من ذلك عندما وجدها عند اقترابه منها هي من تحرك نفسها بسرعة لتحاكيه هو.. كم شعر بالفرحة الشديدة والاندهاش من هذا الأمر! فلأول مرة كان لا يبادر هو بممارسة اللعبة بل هي من بادرت، ومن تلك اللحظة أصبح الكهف عامرًا بالحركة والنشاط.. بعد عودة الضيوف الغريبين بعد اختفائهم لأشهر عديدة.. حدثت عدة أشياء سريعة وغريبة بذات الوقت.. لاحظها مدحت فراج بالحال حيث كانت تلك الأشياء المضيئة تحاكي أي شيء بعد أن تلتف عليه لفترة قصيرة.. فها هي تصنع أشكال عيش الغراب والنباتات بجانب بركة المياه.. ذهل مدحت عندما رأى ذلك وهو يتساءل: ما كنه هذه الأشياء؟ وكيف تستطيع أن تفعل ذلك؟ وهنا تبادرت إلى ذهنه فكرة وحاول تطبيقها في الحال.. ذهب مسرعًا جهة حاجياته وظل يقلب بها واستخرج منها رسمة صنعها للفأر الشوكي الصغير الذي كان يصحبه ووضعها أمام تلك الأشياء المضيئة وقام بالإشارة والتحدث إليها

كأنها مخلوقات عاقلة ثم وضعها على الأرض بالقرب منها وظل يراقبها بفضول شديد.. لم تحرك ساكنًا بالبداية ثم بعد ذلك تحركت جهة الورقة التي عليها رسمة الفأر وأحاطتها بكل الجهات للحظات ثم حدث شيء مدهش للغاية أمام مدحت.. حيث صنعت تلك الأشياء المضيئة نسخة طبق الأصل من الرسمة وبنفس جودة الورق.. فأمسكها مدحت مصدومًا وغير مصدق وعندما لمسها للحظات قليلة عادت تلك الرسمة إلى الأشياء المضيئة مرة أخرى كما كانت.. فرح مدحت للغاية أن تخمينه كان صحيحًا أن تلك الأشياء تستطيع تجسيد أي شيء.. ولكنها لا تفهم مقصده أنه كان يريد أن يجعلها تجسد الفأر صديقه السابق وليس تجسيد رسمه.. حاول مدحت أن يتحدث إليها ويشير لها إلى الفأر ولكنه لم يجد أي استجابة تذكر منها.. يبدو أنها لا تفهمه أبدًا مهما حدثها وأشار إليها.. استمرت محاولات مدحت للتعامل معها فترة طويلة لا يكل ولا يمل.. وهداه تفكيره بالنهاية لصنع شيء كان يفعله لأولاده الصغار بشبابه فلقد رسم عدة رسومات صغيرة على ورق ثم يقوم بتحريك الأوراق بسرعة فتظهر الرسومات خلف بعضها بسرعة ويظن من يشاهدها لوهلة أنها تتحرك.. صنع مدحت تلك الرسومات للفأر وقام بتحريكها أمامها فظهرت لها كأنها تتحرك.. شعر مدحت تلك المرة بأن هناك شيئًا مختلفًا بردة فعلها فقد تلمست الأوراق هذه المرة أيضًا ولكنها لم تصنع رسمة مثل السابق كما كانت تفعل دائمًا بل وجدها تنضم إلى بعضها البعض مرة أخرى وتصنع كرة مثل السابق.. هنا صرخ بها مدحت خائفًا مترجيًا ألا تفعل وتتركه مثلما حدث معه من قبل.. ولكن سبق السيف العذل؛ حيث

بلحظـة واحدة تكورت تلك الأشـياء على أنفسـها وانطفأت الأضواء التـي صنعتها مثل السـابق وأصبح مدحت بظـلام دامس من جديد.. أخذ يصرخ ويضرب الأرض بقدميه وهو يسـب نفسه بغضب شديد: «أيهـا الوغـد الأحمق.. لماذا فعلت ذلك؟ لماذا فعلـت ذلك؟».. وأخذ يلوم نفسه بشدة ولكنه كان يطمئن نفسه بالنهاية أنها ستعود من جديد كـما حدث من قبل.. كان غـير متأكد من ذلك ولكنه كان يمني نفسـه بهـذا حتى لا ينسـل إليه اليأس مثل كل مرة.. انقبـض قلبه عندما تعثر وهـو يتحرك بالظلام وأخذ يتألم.. هل سـيجلس بالظـلام بمفرده من جديـد مـرة أخرى حتى يعود الضوء من جديـد، إذا أراد أن يعود هذه المـرة؟! ولكنه لم يطلق نفسـه للظنون كثيرًا حيث وجـد أن الكرة تفتح مـن جديد وينسـل الضـوء منها عائـدًا للكهف فـصرخ مدحت فرحًا ومرحبًا بعودتها، وهنا شاهد شيئًا مدهشًا للغاية يحدث أمامه؛ إذ انسل من بين تلك الكرة فأر شـوكي صغير بالضبط مثل الذي كان يصاحبه بالكهـف قديـمًا ويتحرك حركات غير طبيعية.. عقـدت الصدمة عقل ولسـان مدحت، فما يراه أمامه شيء مسـتحيل للغاية. فأر مصنوع من تلك الأشـياء المضيئة! ابتسم مدحت وهو دامع العينين.. هل يعقل أن هـذه الأشـياء فهمت مقصده حتـى ولو بعد فـترة طويلـة للغاية مثلما حـدث؟ أمسـك مدحت بالفـأر الذي كان ملمسـه غريبًـا وليس مثل الفئران الطبيعية أبدًا، وظل يقلب به للحظات قبل أن يختفي ويعود إلى تلك الأشـياء المضيئة.. شـعر مدحت بتلك اللحظة أنه امتلك العالم.. هنـاك الكثير من الأفكار بعقله يريـد أن يتحدث معها بها ولكنه لم يجد أبـدًا أي وسـيلة للتحـدث معهـا أو طريقـة لكـي تفهمه.. حـاول أن

يتواصل معها بكل الطرق الممكنة ولكن تنجح محاولة واحدة فقط من وسط الآلاف من المحاولات، ولكن تلك المحاولة تجعله أكثر إصرارًا لكـي يتواصل معها أكثر.. مرت ثلاث سـنوات كاملة منذ عودة تلك الضيـوف الغريبـة وخمس سـنوات منذ أن أصبح مدحت سـجين هذا الكهف.. اسـتطاع خلال تلك السـنوات أن يجد طريقة لكي يتواصل معهـا مـن خلالها بعـد معانـاة شـديدة ألا وهـي الطريقـة الأولى التي اسـتخدمها بالبدايـة ألا وهـي الرسـم.. كان يرسـم مـا يريـد منها أن تفعلـه.. وبعـد تكـرار كثير اسـتطاعت أن تفهـم أنه يريد تجسـيد هذا الأمر.. فعل شـيئًا كان يدور بعقلـه كثيرًا منذ أن وطئت قدماه الكهف وأصبح سجنه الإجباري.. إنه يريد أن يؤنس وحدته بأحد البشر.. إنه يريد أن يجسد بشريًّا له لكي يتمتع برؤية أحد منهم بحياته.. أخذ يفكر كثيرًا بمن يرسـمه لكي يصحبه بعـد ذلك بالكهف.. لو تم مراده مثلما يرغب فلن يجد إلا ابنه الصغير.. ذلك الطفل الذي نسي جميع ملامحه.. شـعر بأن هذا قد يعوض إحساسـه بالضيق من أنه نسي ملامح طفله، وتعويضًـا لـه.. وبالفعل رسـم طفلًا بملامـح ذكية وبـأدق التفاصيل وبحجـم كبير بعـد أن ضحى بآخر ورقات رسـم يحملها وقام برسـم بورتريه رائع لطفل صغير يبتسـم وهو يجلس عاريًا على الأرض يتكئ على فخذه هو.. لم يكن متأكدًا أن تلك هي ملامح طفله الصغير ولكن هـذا لا يهم.. يكفي أنه يعتقد لوهلة أن هذه ملامحه.. بعد أن انتهى من تصميم تلك الرسـمة التي أخذت ما يقارب الأربعة أشهر وكان يضع بهـا أدق التفاصيل التي يتخيلها.. فهذه سـوف تعتبر رسـمته الأخيرة فلـم يعـد معه أي أوراق، وأدوات الرسـم شـبه نفـدت جميعها؛ ولهذا

كانـت تلـك الرسـمة تمثل مشروع عمـره.. بعد أن انتهـى مدحت من تصميم رسمته ظل يتردد كثيرًا خوفًا من أن يضيع مجهوده هذا ويذهب أدراج الريـاح فمهـما كانت الأوراق بصنع جيد وكـم حافظ عليها لن يسـتطيع أن يجعلهـا تصمـد للأبـد مثلما حـدث مع رسـومات زوجته وأولاده التـي تمزقـت بفعل الرطوبة الشـديدة ولهـذا وضعها مع باقي رسوماته بإحدى الحقائب التي بحوزته ولم يخرجها من هناك أبدًا حتى لا تتلف مثلما حدث لمعظم ما رسمه.. بالنهاية لم يستطع مغالبة فضوله وقام بعرضها على تلك الأشياء المضيئة وبالفعل حدث مثل ما توقعتم جميعًا.. لم تفهم تلك الأشياء المضيئة ماذا تفعل بتلك الرسمة، وبعد أن قام مدحت بالحديث إليها وعرضها عليها كثيرًا نسـختها بنفس الرسم والحجـم وكافة التفاصيل ولكـن لم يكن يريد هذا أبـدًا.. وبعد معاناة كبيرة وبعد عدة أسابيع لم ينجح بالنهاية بمسعاه أخذ يصرخ عليها بعد أن شعر بالعجز وهو ينعتها بالغباء ويصرخ: لماذا لا تفعلون مثلما فعلتم مـع الفأر أيها الأغبياء؟.. ولكن لم يجد أي تجاوب منها.. أراد أن يمزق الرسمة بعد أن يئس منهم ولكنه تراجع بآخر لحظة خوفًا من أن يضيع مجهـوده هكـذا أدراج الريـاح.. وضع الرسـمة بحقيبتـه متحسرًا وهو يسب نفسه لرفع آماله هكذا.. ورقد على ظهره يحدق بالسقف ينظر إلى الفتحة الصغيرة التي تعطيه الأمل أنه مازال بعالم الأحياء وأنه بيوم من الأيام سيستنشـق نسـيم الحرية.. كم يتمنى أن تجعلـه هذه الفتحة يرى النجـوم! ولكنهـا أبدًا لم تحقق له مراده.. انشـغل عقله في تلك اللحظة بالتفكـير العميق ومراجعة ذكريـات الطفولة ولعبه مـع أقرانه بمدينة الزقازيق.. أخذ يسترسـل بذكرياته مبتسمًا راضيًا ثم شعر بشيء غريب

يتحـرك على جسـده.. تحرك ببطء ليجد نفسـه نائمًا ممـددًا على الأرض ويبدو أنه قد سرح بماضيه حتى غط بالنوم.. فتح عينيه نصف المغلقتين ليشـاهد تلك الأشـياء المضيئة تلتف على جسـده من جديد من أخمص قدميه حتى شعر رأسه.. حاول أن يتحرك من مكانه ويصرخ بها ولكنه تذكر ما حدث معه مرتين من قبل وأنه من الممكن ان قاطع ما تفعله أن تغضب وتتركه بالظلام مرة أخرى.. وهذا كان أشد ما يخشاه بمحبسه هـذا.. ترك نفسـه لها خانعًا وهو يبتلع ريقه يفكـر ماذا تفعل به، ولكنه حاول طمأنة نفسـه بأنها لو أرادت أذيته لكانت فعلت ذلك معه طوال تلك الفترة الطويلة التي صاحبته خلالها.. ظل مدحت مسـتيقظًا لعدة سـاعات وأعصابه وجسـده متوتـران للغاية، ولكن بالنهاية استسـلم للنـوم ليسـتيقظ بعد ذلـك في الصباح ليشـاهد شـيئًا مدهشًـا أمامه.. شـخص بملابس مهلهلة وبلحية وشعر أشعثين ونحيف للغاية يجلس بالجهـة الثانيـة من الكهف.. شـعر بالخـوف الشـديد في البداية عندما شاهده ثم بالفرح الشديد وهو يصرخ عليه: من أنت؟ من أحضرك إلى هنا؟ هل جلبتم المساعدة؟ هل سنخرج من الكهف؟ ظل يصرخ فرحًا وهـو غير مصدق لهذا الشـخص أمامـه، ثم اتجه إليه وأمسـكه من يده وسـحبه ناحية أحد الأماكن بالكهف: «هيا سوف نخرج جسد يونس مـن هنا لكـي نعيده إلى أهلـه».. ولكنه لم يجـد أي اسـتجابة من رفيقه هذا.. نظر خلفه سريعًا ليشـاهد الرجل يقف بعيدًا ويده فقط هي التي يمسـكها مدحـت.. ألقى مدحـت يد الرجـل فزعًا وهو مصـدوم ممَّا يحـدث ليجدها طارت بالهواء لتلتصق بالرجل مرة أخرى ويخرج منها بعض تلك الأشـياء المضيئة وتختفي بداخل الجسـد مـرة أخرى.. ظل

مدحــت يحدق بها أمامه للحظات ثم اتجه سريعًا إلى بركة المياه لينظر بها ويـري انعكاســه على الماء.. إنه مشــابه لمـا يراه.. نظـر إلى الرجل الذي بالكهـف وقد تفهم أخـيرًا.. إنها النسـخة التي صنعتها تلك الأشـياء المضيئـة.. ظل ينظر للجسد الـذي أمامه يتأمله بصدمة شـديدة.. هل هذا جسـده الآن؟ هل تلك ملامح وجهه؟ هل الرجل الغريب هو أنا مدحـت فراج.. أخذ يلتف حول الجسـد الذي كان متقنًا للغاية ولكنه لا يتحـرك ولا يصنع أي ردة فعل مشـابهة للبشر.. ظل مدحت يلتف حـول الجسـد أكثر من مرة ثـم توقف أمامـه وصرخ به غاضبًـا: «لماذا صنعت هذا؟ أنا لا أريد هذا.. لا أريد هذا».. ثم ركض سريعًا وأخرج رسـمة الطفل الكبيرة من حقيبته وظل يشير إليها وهو يصرخ عليهم: «أريـد أن تصنعوا هذا.. أريد هـذا.. لا أريد ما فعلتموه.. هذا».. أخذ الرسـمة بيده واتجه مسرعًـا ووقف أمامهم يصرخ بهـم مترجيًا: «أريد هـذا.. اصنعوا هـذا.. أرجوكـم.. أرجوكم.. أريـد أن أرى طفلي مرة أخرى بحياتي».. ظل جسده يقف أمامه مثل الصنم لا يتحرك أو يبدي أي ردة فعـل.. حاول مدحت مرة ثانية معهم وثالثة ورابعة وهو يحرك رسـمته أمامهـم ويحدثهـم مترجيًا ولكـن لا حياة لمن تنـادي.. صرخ عليهـم غاضبًـا: «اللعنـة عليكـم!».. ثـم ألقى بالرسـمة مـن يده على الأرض واتجـه إلى مرقـده وأخذ يصرخ غاضبًا وهـو يلقي بمحتويات حقيبته وحاجياته ويسب تلك الأشياء المضيئة وينعتها بالغباء.. بعد أن هدأت ثورته قليلًا.. أخذ ينظر إلى الجسـد الـذي كان يقف أمامه دون أي حركة بينما باقي تلك الأشياء المضيئة تسبح بالكهف حوله على غير هدي.. أخذ مدحت يحدث نفسه: «ان تلك الأشياء تمتلك قدرة هائلة

على محاكاة أي شيء أمامها ولكنها لا تمتلك ذكاء البشر.. أو من الممكن أنها تمتلك الذكاء ولكن أنا لا أعلم طريقة للتواصل معها.. كيف أستطيع أن أتواصل معها؟.. كيف أستطيع فعل ذلك؟».. وظل يعصر رأسه عن طريقة تمكنه من فعل ذلك، ولكن لم يهده تفكيره بأن يفعل أي شيء مختلف عما فعله من قبل، فهو قد قام بتجربة كل ما خطر بباله في تلك السنوات السابقة.. ثم حدث شيء آخر سريعًا.. لقد تحول الجسد أمامه إلى تلك الأشياء المضيئة ببطء شديد، وكان مشهدًا مثيرًا ومخيفًا بنفس الوقت.. ومرت دقائق قليلة حتى اختفى الجسد تمامًا.. ثم اتجهت تلك الأشياء المضيئة إلى الرسمة الملقاة على الأرض فصنعت رسمة مثلها.. هنا قفز مدحت بالحال وهو يشعر بأنها قد فهمت أنه لا يريد أن يجسد نفسه وأنه يريد أن يجسد تلك الرسمة ولكنها لم تفهم مقصده الكامل بعد.. اتجه سريعًا إلى الرسمة وأخذ يشير إليهم وهو يحدثهم بلهفة: «لا أريد الورقة.. أريد الطفل.. جسدوا الطفل.. الطفل..».. وظل يشير إلى الطفل الذي كان يضحك بالرسمة.. وبالفعل حدث شيء عظيم بالنسبة له.. لقد تجمع عدد كبير من تلك الأشياء المضيئة وبدأت بتكوين الطفل أمامه.. أخذ ينظر إليها وهو يصرخ فرحًا.. ها هي قد فهمته أخيرًا.. أو هذا ما قد اعتقد أنها فعلته.. فبعد أن اكتمل الجسد أمامه ظهر جليًّا بوضوح أنها مجرد رسمة متقنة الصنع مثل المانيكان أو الماكيت بحجم كبير.. التف حول الجسد للحظات ثم أمسك رأسه: «ياللغباء! يا لكم من أغبياء! يا لكم من أغبياء!».. ولكنه توقف سريعًا ثم أخذ يحدثها: «لا..لا.. أنتم لستم أغبياء.. انكم فقط لا تفهمون ما أريد.. ولكن نحن على الطريق

السليم.. سوف أفهمكم ما أريد».. وأخذ يحاول رسم ما يريد على الأرض أمامهم.. وهو يشرح لهم: «أريد أن أصنع جسدًا يتحرك.. مثلما فعلتم بالفأر من قبل.. ومثل ما قمتم بفعله معي منذ قليل.. وظل يصنع نماذج ويرسم أعضاء البشر على الرمال ويتحدث إليهم بدون كلل أو ملل بل بكل حماس وكد حتى بعد المحاولات الكثيرة الفاشلة وبالنهاية وبعد محاولات لثلاثة أسابيع متواصلة.. كان يقف أمامه جسد الطفل مثلما رسمه بالضبط.. ولكم كانت فرحته لا توصف عندما وقعت عيناه عليه لأول مرة.. كان يبكي بفرح شديد.. جسد ابنه الصغير حاضر أمامه لأول مرة منذ سنوات طويلة.. أخذ يدقق بملامحه وبجسده الذي كان غير متقن بالطبع ولكنه أشعره بالراحة.. ظل يلتف حول نفسه ويتحدث إلى الأشياء المضيئة حوله ويشكرها وهو يبكي.. وأخذ يلتف حول الجسد.. ثم قام باحتضانه لتخترق يده الجسد ولتتناثر تلك الأشياء المضيئة حوله ولكن مدحت لم يعبأ وأخذ يحتضن جسد الصغير وهو يبكي بشدة ويصرخ عليه مترجيًا: «سامحني.. سامحني يا صغيري.. أرجوك سامحني يا ولدي.. أحبك أنت وإخوتك.. أحبكم من كل قلبي يا صغيري.. أعز ما أملك أنت يا حبيبي».. وظل يبكي لمدة طويلة بدموع ملتهبة بمشاعر الاشتياق لطفله ولأسرته.. وظل يبكي ويبكي لنهاية اليوم..

في اليوم التالي كان مدحت أصبح معتادًا على وجود هذا الجسد الصغير أمامه ولكنه لم يتحرك ولم يبد أي ردة فعل.. هنا فكر مدحت بأنه ان لم تستطع تلك الأشياء أن تفكر مثل البشر.. إذًا فانه يجب عليه

أن يعلمها ذلك.. وبدءًا من تلك اللحظة تحول مدحت إلى معلم فذ لهذه الأشياء المضيئة.. ولكنه احتار بـمَ يناديها.. ظل يداعب لحيته الطويلة الممتلئة بالتراب والحشرات وهو ينظر لجسد الطفل أمامه: «من أنتم؟ ومن أين أتيتم؟ ولماذا تستطيعون صنع الأضواء هكذا؟ وكيف تستطيعون محاكاة أي شيء؟.. انكم كيان ما مجهول.. امممم.. لقد علمت ماذا سأطلق عليكم من الآن فصاعدًا.. سوف أطلق عليكم (ك. م).. اختصارًا لـ (كيان مجهول).. هيا الآن يا (ك. م) لقد حان موعد تعليمك الأول كيف تتحرك مثل البشر».. وبالفعل أخذ مدحت يبدأ تعليمه كيف يتحرك.. أول شيء صنعه مدحت هو أن وقف أمام (ك. م) ثم رفع يده اليمنى وقام بتحريكها ببطء شديد أمامه جهة اليمين واليسار وظل يكرر الأمر لفترة طويلة أمام (ك. م) ولكن بدون إجابة ولاحظ أنه لا يحرك عينيه أو رأسه.. فأخذ يداعب ذقنه ثم جثا على ركبتيه أمامه ليكون قريبًا منه ثم أشار إلى عينيه الاثنتين وأخذ يحدثه: «تلك العيون نستخدمها لنشاهد بها ما يدور حولنا».. ثم أشار إلى رأسه: «ولكي نرى جميعًا ما يحدث حولنا يجب أن نحرك رأسنا هكذا».. وظل يحرك رأسه يمينًا ويسارًا أمام (ك. م) الذ لم يحرك سأكنا.. ولكن مدحت لم ييأس ثم ذهب مسرعًا وقطف قطعة من فطر عيش الغراب الذي كان ينموا كل ثلاثة أيام واتجه إلى (ك. م) ثم وضع عيش الغراب أمام أنفه واشتمَّه وهو يحدثه: «هذا أنف.. نشم به الروائح حولنا».. ثم أشار إلى فمه: «وهذا يدعى فمًا به أسنان نضع به الطعام وتقطعها أسناننا لتهضمها المعدة بسهولة».. ثم وضع قطعة عيش الغراب بفمه ومضغها أمامه».. ثم وقف سريعًا وهو يشير إلى

قدميه: «أما هذه فتدعى ساقين نتحرك بهما من كان إلى آخر..».. وظل يشير إلى قدمه وهو يرفعها ببطء ويتحرك بها جهة أحد أركان الكهف.. وهنا فجأة اختفى الجسد بلحظة وتحول إلى تلك الأشياء المضيئة التي تكورت مع بعضها البعض سريعًا مثل السابق وتجمعت بمكان واحد.. فشعر مدحت بالخوف من فعلها هذا وصرخ: «لا ترحلوا.. لا ترحلوا».. ولكن بعد فوات الأوان، حيث أظلم الكهف من جديد ولكن لعدة دقائق فقط ثم انشطرت الكرة وانتشرت الأشياء المضيئة مرة أخرى ولكنها تجمعت بسرعة هذه المرة لتكون (ك. م) من جديد، ولكن هذه المرة كان الوضع مختلفًا.. حيث تكونت كرة صغيرة للغاية فوقه تصدر منها إضاءة قوية وتكون (ك. م) من جديد تحتها ولا يوجد أي أثر لتلك الأشياء المضيئة بأنحاء الكهف كما كان يحدث دائمًا بل يبدو أنها قد تجمعت جميعًا بجسد (ك. م) الجديد الذي كان مثل السابق مبتسمًا مثل الرسمة التي صنعها مدحت، ولكن الشيء المختلف تلك المرة أنه كان يرفع كف يده أمام مدحت وفوق كف يده قطعة من عيش الغراب التي تناول مثلها مدحت أمامه.. اندهش مدحت مما شاهد (ك. م) يفعله.. إنه للمرة الأولى يفعل شيئًا محاكيًا للبشر.. ما هذا الذي يقدمه له؟ هل هي هدية أم ماذا؟ اقترب منه مدحت بفضول وأمسك قطعة عيش الغراب التي كانت تبدو مثل أي قطعة عيش غراب طبيعية فحملها بيده وابتسم لـ(ك. م): «شكرًا على هديتك تلك.. ماذا أفعل بها؟ هل آكلها؟».. .. لم يبد (ك. م) أي ردة فعل نهائيًّا.. فأومأ مدحت برأسه إليه مبتسمًا: «حسنًا.. شكرًا يا (ك. م).. سوف أتناولها».. ابتلع مدحت ريقه على مضض ووضعها بالقرب من وجهه ولكنه شعر

بـتردد قليلًا ثم حاول أن يتشـممها ولكنه لم يجد لهـا أي رائحة منفرة.. فتشـجع وهو يحدث نفسـه: «ماذا سيحدث لي أكثر ممَّا أنا به الآن؟!».. فابتسـم سـاخرًا ووضعها في فمـه وكان طعمها غريبًا للغايـة فابتلعها سريعًـا ثـم ذهب ليتناول بعض الماء.. وهنا شـعر بـشيء مريب يحدث بداخله.. لقد شـعر بملمس بارد يجتاح كل جسـده من الداخل.. كان هذا الملمس ينتشر بكل أنحاء جسـده وبوقت واحد وبسرعة شديدة.. شـعر بالبرد يجتاح جسده من الداخل لأن درجة حرارة جسد الانسان داخليًّا تكون 37.5 درجة لا تزيد أو تنقص أبدًا بصيف أو شتاء.. تذكر مدحـت بالحال نفس الشـعور الممتع ذلـك عندما تدلف الميـاه المثلجة الباردة إلى أنحاء جسـدك السـاخن بالصيف فتعطيك الشـعور المريح الممتع ذلك ولكن لم يعتد أن يشـعر به بداخل قدميه أو بمثانته أو بأعلى رأسـه.. هذا الشـعور هو كان ما يدور بجسد مدحت بأكمله.. فسقط على الأرض يحاول أن يحتضن نفسه لا يعلم لماذا يفعل ذلك ولكن هذا ما كان يشـعره بالأمان.. اسـتمر هذا الأمر لعدة سـاعات كان جسـد مدحت تكيف خلالها على ما يحدث بداخله.. يشعر بهذه الأشياء تتنقل بأنحـاء جسـده من جهة إلى جهة ومن طـرف إلى طرف ومن عضو إلى عضـو.. ثم لم تسـتمر حركتها تلك بداخله أكثـر من دقائق.. بعد ذلك شـعر بهـا تتحـرك جهة جهـازه التنفـسي وتخرج مـع زفـيره إلى خارج جسـده.. شـاهد ما بعد ذلك وهي تطوف بسرعة جهـة (ك. م) الذي مـازال لا يحرك سـأكنًا ثم تجمعت جميعًا معًا لتشـكل كـرة أخرى مثلما يحـدث دائمًا واسـتمر هذا الأمر طـوال الليل.. اضطـر مدحت خلال تلـك الليلة أن ينـام بالظلام مرة أخرى وهو يحاول أن يفكر لماذا كانت

بداخله هذه المرة وماذا ستفعل.. استيقظ بالصباح ليجد (ك. م) أمامه ولكنـه بشـكل أكثـر واقعية من الأول بكثـير.. نظر له مدحت مبتسـمًا وهب واقفًا: «صباح الخير (ك. م).. أخبرني لماذا كنتم تعبثون بجسدي بالأمـس؟».. وقام بالتلويح له بيده وكانـت مفاجأة قوية للغاية عندما وجـد (ك. م) يلـوح له مثلما فعـل.. انتابت الدهشـة مدحت من فعل (ك. م) المفاجئ.. وظن لوهلة أنه حدث بالمصادفة.. فلوح بيده اليمنى مـرة ليجـد أن (ك. م) يلـوح له هـو الآخر بيده.. وهنا ابتسـم مدحت للغايـة وقـام بالتلويح بيده اليـسرى ففعل (ك. م) نفـس الأمر.. فقام مدحـت بتحريـك يديه الاثنتـين بسرعة ففعـل (ك. م) ذلـك.. ظلت الدهشـة باديـة على وجهه وهـو يشـاهد (ك. م) يقلد حركاتـه.. وهنا حرك رقبته جهة اليمين واليسار ففعل (ك. م) ذلك.. فضحك بسعادة شـديدة.. ولاحت إلى رأسه فكرة أن يتحرك.. فقام بتحريك قدميه إلى الخلف ففعل ذلك (ك. م)، ولكنه كاد يسقط فضحك مدحت وحدثه سريعًـا: «يجب أن تنظر إلى قدمـك عندما تحركها بالبداية».. ثم أشـار بيده جهة عينيه ثم إلى جهة قدميه وبدأ يحركهما.. فعل (ك. م) مثلما فعل مدحـت بالضبـط أشـار إلى عينيـه ثـم نظـر إلى قدميـه وتحـرك بهما إلى الخلف.. أخذ مدحت يضحك على حركات (ك. م) التي كانت تقليدًا لكل ما يفعله حتى الضحك ولكن بدون صوت.. وهنا شـاهد أسنانه صفراء مسوسـة وليسـت مثـل التي كانت بالرسـمة التي رسـمها من قبل.. لفت هذا الأمر انتباهه وتحدث إلى نفسه وهو يداعب ذقنه وينظر إلى (ك. م) الـذي فعـل مثلـه: «يبدو أن هناك شـيئًا مختلفًـا عن الأمس بالتأكيد.. أنت بالسـابق لم تسـتطع أن تتحرك أو تبدي ردات فعل مثل

الآن.. ماذا حدث؟ يبدو أنك عندما دخلت إلى جسدي على هيئة فطر عيش الغراب قمت بمحاكاة جسـدي من الداخل بالأعضاء والعظام حتى أسـناني الناخرة نسـختها بالضبط مع الفـرق أنك لم تقم بمحاكاة جسدي بالكامل بل قمت بمحاكاة أعضائي الداخلية ولكن على جسد الطفـل الصغير وليس جسـدي كـما أخبرتك من قبـل.. وهذا دل على أنـك تمتلـك ذكاء إلى حد ما.. بمظهرك هـذا الآن وحركات مفاصلك المرنـة تلك أصبحت أكثر شـبهًا للبشر.. أنت الآن بالتأكيد لك شـكل البـشر ولكـن ليـس لديـك طباعهـم وتفكيرهـم.. وهذا مـا يجب أن نغيره..».. ارتسـمت ابتسـامة كبـيرة على وجهه عندما شـاهد (ك. م) يفتح فمه ويقلده ولكن من غير صوت.. استمر مدحت بجعل (ك. م) يفعل كل شيء مثلما يفعل هو.. وكان (ك. م) له قدرة إسـفنجية رهيبة قادرة على امتصاص أي حركة يفعلها مدحت ويقلدها.. شعر مدحت بالفضـول ببـادئ الأمر.. ثم انتابتـه الرتابة عندما يشـاهده يفعل مثلما يفعل هو.. ثم بالغباء وهو يشـاهده يقلـده وهو نائم على الأرض مثله ولكنـه لا ينام بالطبع وأكثر ما كان يشـعره بغبـاء (ك. م) الكبير عندما كان يقـضي حاجتـه ويفعـل (ك. م) مثلـه حتـى بتلك اللحظة.. شـعر بالضجـر بعـد عـدة أشـهر فتقليـدك لشـخص شيء.. والتفاعـل مـع الشـخص شيء آخر.. إنه يريد (ك. م) أن يتفاعل معه وليس أن يقلده فقط؛ ولهذا كان يحاول أن يتحدث معه بأوامر صوتية دون أن يتحرك، وكان (ك. م) لا يفهـم ما يقوله.. كان يأمره بأن يتحرك وأن يأكل وأن يـشرب وأن ينـام وأن يقـف و(ك. م) لم يكن يفعـل أي شيء إلا تقليد ومحاكاة مدحت.. هنا قام مدحت بمحاولة ترسيخ الاسم لدى (ك. م)

أولًا.. فكان لأيام كثيرة لا ينطق أي كلمة إلا (ك. م) ويشير إلى (ك. م) حتى يعلم أنه يتحدث عنه، ولكن (ك. م) كان يشير جهة مدحت ويقلده ويفتح فمه فقط.. ولكن لم ييأس مدحت أبدًا.. كان الأمر أشبه بأن تعلم شجرة حديث البشر.. ولكن مع الفرق أن تلك الشجرة تتحرك وتحاكي أفعالك.. ظل مدحت يحاول أن يتحدث معه ويعلمه لغة البشر خمس سنوات متواصلة.. خمس سنوات كان لا يفعل أي شيء إلا الأكل والنوم ومراقبة سلوك (ك. م) ومحاولة تعليمه.. وخلال تلك السنوات أصبح (ك. م) يفعل أشياء بإرادته الحرة وليس محاكاة مدحت فقط.. بالفعل كان تعليم (ك. م) يسير بوتيرة سريعة للغاية لكن لم يشعر بها مدحت أبدًا لأنه كان يعايشه كل ثانية بالكهف أمامه فكان لا يلحظ التغير الذي طرأ على سلوك (ك. م) الذي كان يحضر الطعام والشراب لمدحت الآن ويدخل إلى الماء بنفسه ويتحمم مثلما كان يفعل.. لم يشعر مدحت بالتغير أبدًا على (ك. م) إلا عندما كان يتحدث إليه ذات مرة وهو يأكل فأخبره أنه كان يذهب للصيد مع والده وهو صغير وأنه كان يذهب مع طفله الصغير ليصطاد أيضًا ولكن ابنه لم يكن يرغب بممارسة الصيد ولكنه كان يفضل لعب الأتاري مع إخوته بالمنزل: «هل تعلم الأتاري يا...».. وهنا قاطعه (ك. م) وهو يشير إلى نفسه.. وينطق أول كلمة بحياته وكانت (ك. م).. ألقى مدحت بما بيده مصدومًا وهو يتحدث إلى (ك. م): «هل تحدثت الآن؟ هل تحدثت؟ أم أني أصبت بالجنون كالمعتاد وسمعتك تتحدث ولكني أهذي؟».. أومأ (ك. م) برأسه وهو يشير إلى نفسه: «(ك. م).. (ك. م)».. شعر مدحت بالفرح الشديد.. لقد نطق (ك. م) أمامه اسمه

بالفعل، ولم يكن يتخيل هذا أبدًا، وكان قد أصابه اليأس من أن يحدث هذا بيوم من الأيام.. فسأله سريعًا: «هل تفهم حديثي يا (ك. م).. هل تفهم ما أقوله الآن؟».. أجابه (ك. م) سريعًا وهو يشير إلى نفسه «(ك. م).. (ك. م)».. أخذت الفرحة الشديدة تدب في قلب مدحت لأنه لأول مرة منذ 8 سنوات قضاها بالكهف بمفرده يستمع إلى صوت شخص آخر غيره.. لم تزد كلمات (ك. م) بالبداية على كلمة (ك. م) التي كان يعرف بها نفسه.. ثم زادت الكلمة إلى اثنتين وثلاث وأربع وهلم جرا.. وأصبح بعد مرور عامين آخرين قادرًا على أن يتبادل الحديث مع مدحت.. ليست محادثة اثنين ناضجين بالطبع ولكن أقرب إلى محادثة شخص بالغ لطفل لم يكمل عامه الرابع.. لم يتوقف سيل أسئلته يومًا عن محاولة معرفة العالم المحيط به شيئًا فشيئًا.. وهكذا أصبح بعد مرور 10 سنوات لمدحت بالكهف له رفيق يشاركه الكلمة بالكلمة والسؤال بالسؤال.. كان (ك. م) يسأل عن كل شيء.. حتى ما معنى كلمة سؤال وما معنى كلمة معنى.. أسئلة لم يفكر أبدًا مدحت بإجابتها من قبل لأنها تعتبر من الأشياء البديهية لنا جميعًا.. ولكن ليست لـ(ك. م) بالطبع.. وكانت أغلب الأيام تسير على وتيرة واحدة.. (ك. م) يسأل ومدحت يجيب.. يجيب عن كل شيء حتى ان لم يكن يعلم إجابته فلا يوجد أحد هنا سوف يكذب ما يقول بالنهاية.. كثرة أسئلة (ك. م) جعلت مدحت فراج يمتلئ بالغرور وينتشي بالفخر فشعر حينها أنه أعلم العلماء وأعظم العظماء.. كل كلمة يقولها دستور.. وكل فعل يفعله هو قدوة.. من لا يتمنى صحبة مثل تلك تقدس قولك وتعظم أفعالك حتى لو كان فعلك هذا كان قضاء حاجتك؟!

في إحـدى المـرات دار بينهـما حديـث من طـرف واحد كالمعتـاد ابتدأه (ك. م) بأسـئلته المعتادة.. كان يصدر صوتًا غريبًا عندما يتحدث ليس سـهلًا وسلسًـا مثل باقي أصوات البشر؛ بل كان أشبه بالنفخ بالآلات الموسـيقية.. كان صوتًا ضخمًا من مقطع واحد ولا يوجد به أي نغمات بـل مجرد صوت يخرج من حنجرة جوفاء فيما يبدو.. كأنك تسـتمع إلى صـوت بـوق يتحدث معك.. ولكن لم يشـغل هذا بـال مدحت أبدًا.. فكان يكاد يطير من السعادة عندما يسمع هذا الصوت الناشز.. الذي سأله مرة أخرى: «لماذا.. تأكل كل يوم؟»..

مبتسـمًا: «هذا شيء ضروري لحياة الانسـان.. هذا ما يمده بالطاقة لكـي يسـتمر بالحياة ولا يموت.. الأمر أشـبه بإعطاء الوقود للسـيارة لكي تتحرك»..

سـألــه ســريعــًا: «ما معنى الانسان؟ ومـا معنـى يمـوت؟ وما معنى سيارة؟»..

أسـئلة سريعة ومتلاحقة أربكـت مدحت الذي تقمص شـخصية مـن أوتي مجامـع الكلم وأجاب سريعًا: «الانسـان هو البـشر الذين أنا منهـم.. إنه لفظ يطلق علينا نحن لكي يميزنا عن الحيوانات مثل الفأر الذي حدثتك عنه من قبل، والنباتات التي آكل منها كل يوم كما ترى.. والسـيارة هي أداة يصنعها الانسان لكي تجعله يذهب إلى أماكن بعيدة بسرعـة كبيرة أكثر مـن أقدامه.. انتظر قليلًا.. لقد رسـمت بعضًا منها سـوف أريك إياها».. ثم التقط حقيبته وأخذ يقلب ببعض الرسومات التـي صنعها حتى وجـد بعضها وأراها لـ(ك. م) الـذي ظل يحدق بها

ثم تحركت بعض أجزائه وتحولت إلى أشياء مضيئة واتجهت لتتلمسها فصرخ عليه مدحت بالحال: «ألم أخبرك من قبل ألا تصنع هذا؟ إذا أردت أن ترى شيئًا فيجب أن تشاهده بعينيك وتلمسه بيدك.. يجب أن تظل بالشكل البشري ولا تصنع هذا مرة أخرى.. أريد أن أراك بشريًّا دائمًا يا (ك. م)».. عاد (ك. م) إلى شكله البشري وأجابه سريعًا: «لماذا؟».

أجابه مدحت متنهدًا: «لكي أكون سعيدًا يا (ك. م).. ألم أشرح لك معنى السعادة والحزن من قبل؟ لا أريدك أن تجعلني حزينًا.. أريدك أن تكون بالشكل البشري هذا لكي أكون سعيدًا.. هل فهمت؟»..

«لقد فهمت قليلًا ولكن لا أعلم ما الفرق بينهما.. سأجعلك سعيدًا.. سأظل بهذا الشكل كما ترغب على الرغم من أنه يجعلني مقيدًا كثيرًا.. أخبرني ما هو الموت»..

ضحك مدحت وهو يجيبه: «اللعنة عليك يا (ك. م)! ألا تنسى أبدًا؟ سأجيبك.. الموت هو أن تنتهي حياة الكائنات الحية وتندثر.. وهو يحدث لجميع الكائنات برمتها: الحية والجامدة.. كل شيء ينتهي ويفنى ويموت.. أعتقد أنك لن تفهم هذا أبدًا حتى تراه بعينيك»..

«لا.. أفهمه.. مثلما حدث للفأر الذي كان معك من قبل.. أنا أعلم الموت وأعلم الحياة، ولكني لم أكن أفهمهما بلغتك تلك»..

أثارت تلك الكلمات فضول مدحت وسأل (ك. م) أخيرًا: «أخبرني يا (ك. م) من أنت؟ ومن أين أتيت؟ وكيف دخلت إلى هذا الكهف

مـن دون أن أراك أول مـرة؟ يصيبني الفضول منـذ فترة طويلة ولكني كنت أخشـى ألا تفهمني.. ولكن أعتقد أنك تفهمني قليلًا الآن.. هل فهمت أسئلتي؟»..

أجابه (ك. م): «نعم.. أفهم.. أنا لسـت من هنا.. أنا لا أعلم كيف أحكي لك عن العالم الذي كنت أعيش به.. إنه لا يشـبه هذا العالم بأي شيء ممـا شـاهدته ومما حكيته أنت لي.. ولا أعلـم كيف أتيت إلى هنا.. أنا في البداية وجدت نفسي بداخل شيء مظلم وأسود كما تطلق عليه.. لا أسـمع أو أري أو أشـعر بـأي شيء بعالمي.. كنت أغـرق بالظلمة.. ظللت هكذا لوقت طويل ثم وجدت نفسي بوسط شيء لا أفهم ماهيته ولكنك تطلق عليه شـيئًا لامعًا.. وظللت هكذا فترة طويلة وأنا أجهل مـا يحدث ثم وجدت نفسي أسـتطيع مشـاهدة ما يحـدث معي ولكني لم أفهمـه أيضًـا لأنـه كان مختلفًـا تمامًا عن طريقـة مشـاهدتنا وطريقتنا بالعيـش بعالمنـا.. أنا سـأشرح لك مـا حدث معي سـاعتها بـما فهمته من لغة البشر الآن.. لقد كنت وسـط شيء لامـع وحار مثل النار التي أخبرتنـي عنهـا ثم وجدت بعـض البشر ولكنهم كانـوا يختلفون عنك اصطحبـوني إلى هذا الكهف وظللت أشـاهدهم لفـترات طويلة جدًّا يأكلـون ويشربون ويقفـون أمامي كثيرًا ويفعلون حـركات لا أفهمهما ثم وضعوا بعض تلك الرسوم على جدران هذا الكهف حولك وظلوا هكـذا لفـترة طويلة ثـم بـدأت النباتات التي تـأكل مثلهـا الآن تختفي وأتـى بشر آخرون للبشر الذيـن كانوا هنا وظلوا معًـا لأيام كثيرة كان الكثير منهم ينامون مثلما تفعل الآن ولكن كانوا لا يسـتيقظون لفترات

طويلة حتى يصبحوا جزءًا من الأرض.. أنا كنت لا أفهم حينها ولكن الآن قد فهمت أنهم ماتوا مثل الفأر الذي كان هنا.. ثم تركني البشر وذهبوا إلى مكان آخر وظللت هنا بالكهف حتى أتى أناس وحيوانات كثيرة ثم أتيت أنت ومعك بعض الرجال وحملتموني.. ثم حدث شيء لامع وحار مثلما حدث لي لأول مرة بالسابق ولكن على حجم أقل كثيرًا جعلني أحاول أن أفهم ما يدور حولي أكثر.. وظللت أراقبك هنا وأنا لا أفهم لماذا أنت هنا أو ماذا تفعل، ثم وجدت أني أصبحت لا أرى الضوء مثل السابق؛ ولهذا صنعت شكلًا آخر مضيئًا وتحسست جميع ما حولي لفهم العالم الذي يحيطني، ثم وجدت أنك تفعل أشياء لا أفهمها.. حاولت أن أصنع مثلك وبدأت أدرك ما تصنع قليلًا حتى استطعت تقليد حركاتك تلك، وعندما صنعت تلك الأشياء التي تختبئ بداخلك وجدت أني أستطيع أن أفهم كثيرًا مما تقول وتعمل وأصبحت أفهم لغة البشر قليلًا».. قاطعه مدحت بالحال وهو مصدوم: «هل أنت تلك الصخرة؟ هل أنت تلك الصخرة البيضاء؟ هل أنت تسكن هذا الكهف من آلاف السنين وشاهدت المصريين القدماء وهم يصنعون تلك الرسومات؟!»..

أجابه (ك. م): «نعم أنا هنا منذ أن أتى بي هؤلاء البشر إلى هنا. ولكني لست صخرة.. لقد حللت تلك الصخرة التي كانت تجاورني ولكني لست مثلها.. أنا صنعت تلقائيًّا حينها نفس الشكل الذي كان بالقرب مني ولكني لم أكن أفهم حينها ما معنى صخر أو بشر

أو نباتـات أو أي شيء آخر مما أعلمه الآن.. ولكني شـعرت بالارتياح لأني أستطيع التواصل مع الجميع بطريقه أسهل حينها»..

«جميع! ماذا تعني بالجميع؟ هل هناك آخرون مثلك؟»..

أجابه سريعًا: «مثلي كيف؟ أنا لا أفهمك»..

«أقصد هل هناك أحد يستطيع فعل ما تفعله الآن؟»..

«لا أعلم.. لكننا نفكر بأن هناك (ك. م) مثلنا ولكننا لم نجد بالقرب منا أي شيء.. ولقد فكرنا أن ننفصل عن بعضنا البعض ونذهب لنرى آخريـن لكـي نعلـم عن العـالم أكثر ونقابل بـشرًا أكثر ولكن سـيكون التواصـل بيننا ضعيفًا لأننا عندما ننفصل لا ندري بما يحدث للآخرين ولهذا نجتمع معًا دائمًا»..

وقـف مدحـت سريعًا وهو يشـير إليـه بيـده: «أنتم.. أنتـم وليس أنت.. أنت مكون من عدة أشياء وليس شيئًا واحدًا.. أنتم عقل جمعي أليس كذلك؟»..

«لا أفهم ماذا تعني.. ما هو العقل الجمعي؟»..

«العقـل الجمعي هو.. لا أعلم كيف أشرحها لك.. ولكن تخيل أني أنـا أمامك وهناك الكثير مـن البشر مثلي نأكل معًا ونتحـرك معًا وننام بوقت واحد ونفعل كل شيء معًا ولا يستطيع أن يقوم أحدنا فعل شيء دون أن يخبر الباقي ويوافقوا.. أنتم مثل هذا أليس كذلك؟»..

«أنا لا أفهم جيدًا.. ما تقول.. ماذا تعني؟».

أخذ مدحت يداعب ذقنه كثيرًا وهو يفكر ثم أجابه: «هل تستطيع يا (ك. م) أن تصنع (ك. م) آخر؟ هل تستطيع أن تصنع الكثير من (ك. م)؟»..

أومأ (ك. م) برأسه: «نعم»..

ابتسم مدحت: «إذًا أفعل على قدر ما تستطيع.. اصنع الكثير من (ك. م)..

هنا وقف (ك. م) ثم انبثق منه الكثير من الأشياء اللامعة وفي ثوان معدودة تم صنع المئات من نسخته أمام مدحت الذي ظل يشاهد ما يحدث أمامه مصدومًا، وعندما وجد أن الكهف سيمتلئ عن آخره بنسخ (ك. م) أشار إليه سريعًا: «يكفي.. لا تصنع المزيد».. فتوقف (ك. م) عن صنع نسخ أخرى مثله.. وأخذ مدحت ينظر إليهم فتحدث إليهم جميعًا ثم خاطبهم: «(ك. م).. فلترفع يديك الآن مثلما أفعل».. ثم رفع يده اليمنى فرفع الجميع يده مثله.. فاتجه سريعًا إلى إحدى النسخ من (ك. م) وأخبره أن ينزل يده فامتثل (ك. م) لهذا الأمر وظلت باقي النسخ رافعة يدها اليمنى ثم تحدث لآخر أن يجلس ففعل وجلس على الأرض بالحال وتحدث إلى آخر وأمره أن يقفز ففعل، ثم تحدث إلى آخر وأمره أن يحمل حجرًا بيده ففعل، وأخذ يأمر الكثير منهم أن يفعلوا أشياء مختلفة ففعلوا، ثم أخذ يتحدث إلى بعضهم أن يتحدثوا بأشياء مختلفة ففعلوا.. فوقف أمام نسخ (ك. م) التي كانت تلهب الكهف بحركاتها.. وهو يحدث نفسه مبتسمًا: «انهم بالفعل لهم عقل جمعي ويستطيع أن يفكر ويفعل أمورًا كثيرة في وقت واحد.. إذًا

هـذه قدرات المادة المضادة التي يبحث عنها جميع العلماء.. انهم يتمنون أن يكونوا مكاني الآن وأتمنى أنا أن أكون خارج هذا الكهف اللعين».. ثـم نظـر إلى أعـلى الكهـف إلى الفتحـة التي بالسـقف.. ثـم تحدث إلى (ك. م) بفـرح: «(ك. م) أريدك أن تخرجني من هنا.. أريدك أن تجعلني أصعـد إلى أعـلى الكهـف.. هنـاك.. إلى ذلـك الضـوء الصغـير الذي بالأعـلى.. نظـرت نسـخ (ك. م) إلى الأعـلى.. فتحـدث إليهم مدحت سريعًـا: «أريـدك أن تحملنـي فوق كتفـك وتصعدني إلى أعـلى هكذا.. ثـم اتجه إلى إحدى النسـخ ورفعهـا على كتفه ولكم كانـت ثقيلة للغاية أو يبـدو أن جسـد مدحت هو الـذي أصبح ضعيفًـا.. فوضعه سريعًا عـلى الأرض مـرة أخرى وأخـذ يضع يده عـلى ظهره متألمًـا.. ففعلت بعض نسـخ (ك. م) مثله فشعر بالغضب للحظات ظنًّا أنهم يسخرون منه، ولكنهم بالفعل كانوا فضوليين لما يفعل.. هنا قامت جميع النسـخ بالامتزاج بالنسـخة التـي حملها مدحت على كتفه للحظـات ثم عادوا جميعًا مـرة أخرى أمام مدحت.. فأخذ مدحت ينظر إليهم وهو يحدث نفسـه: «يبدو أنهم يكتسـبون خـبرات بعضهم البعض عـن طريق هذا الامتزاج.. هذا شيء عجيب»..

اتجهـت إحـدى نسـخ (ك. م) لحمل مدحـت كما فعل.. ثـم وقفوا يشـاهدونه.. فتحـدث مدحـت إليهم: «هيـا جميعًا اصنعـوا مثلما فعل (ك. م) واحملوا بعضكم مثلي لكي تصعدوني أنا و(ك. م) الذي أسـفل منـي إلى أعلى.. فتحركت النسـخ وحمـل بعضها بعضًا بسرعة شـديدة وهنـا وجـد مدحت نفسـه يتجـه إلى أعلى بسرعة شـديدة وهـو يترنح

فتشبث برأس (ك. م) الذي يحمله خائفًا وحمله بعضهم وظلوا يحملون بعضهم ولكن تحت وطأة الوزن ترنح الجميع وسقط (ك. م) بمدحت وسـقطت باقي النسـخ على الأرض.. فـ(ك. م) لا يعلم ماهية التوازن بعد.. سقط مدحت فراج على الأرض سريعًا وارتطمت قدمه اليسرى بإحـدى الصخـور بجـوار بركـة المياه فشـعر بـألم شـديد للغاية وظل يـصرخ متألمًا.. وأخذت نسـخ (ك. م) تتجمع حوله فشـعر بالاختناق فصرخ بـ(ك. م): «عودوا إلى شخص واحد مثل الأول.. سريعًا هيا.. سـأختنق».. امتزج الجميع مرة أخرى وأصبح (ك. م) شـخصًا واحدًا أمامـه ينظر إليه متعجبًا: «ماذا حدث؟ لماذا تصرخ؟ ألا تريد أن تصعد إلى أعلى؟»..

أخـذ مدحت فراج يحمل قدمه وهو يتألم: «لا.. لا أريد.. ان قدمي قد كسرت.. أشعر بها.. آه».

وظـل مدحت فراج يتألم لعدة أيام ولا يسـتطيع الحركة من الآلام، وكان (ك. م) هـو المخلـص لـه هنا حيـث كان يفعل له جميـع ما يخبره بـه بـأن يحضر لـه الطعام والـشراب وحاجياتـه، وتحـول (ك. م) تلك الفـترة إلى خادم مطيع.. مر عام كامل على هذه الحادثة وأصبحت قدم مدحـت اليسرى محطمة منـذ هذه المحاولة ولا يسـتطيع المـشي عليها كالسـابق وأصبح جسـده واهنًا بشـكل كبير وألمت به الآلام والمرض أصبـح ملازمًـا لـه.. كان يشـعر بأنـه لم يصبح مثل السـابق أبـدًا وأنه لـو كان (ك. م) لا يشـاركه الكهف لكان هلك منـذ فترة طويلة.. كان ينتابه الغضب لحظات كثيرة عندما يتذكر بأن (ك. م) كان هو الصخرة

البيضـاء التي كانت سـببًا لمـا يحدث له الآن.. ولكـن صحبته كل تلك الفترة كانت هي ما يشـفع له عند مدحت، فهو لا يسـتطيع الاسـتغناء عنه لدقيقة واحدة، وكان كثيرًا ما يعتقد أن (ك. م) طفل بشري حقيقي خاصـة عندما أصبح يتحـدث بطلاقة الآن مثل مدحـت تقريبًا.. وفي إحدى المرات كان مدحت يحكي لـ(ك. م) عن الأساطير الاسكندافية مـن الكتاب الذي كان يحمله هانز من قبل، ولقد أخذ (ك. م) يسـتمع للقصة باهتمام شـديد دون أن يطرح أي سؤال على غير عادته، وعندما انتهـى مدحت من الكتاب سـأله سريعًا: «أخبرني يـا (ك. م) ما رأيك بالكتاب؟ هل أعجبتك الأساطير التي به؟»..

«هل هذه الأساطير غير حقيقية؟»..

«نعم بالطبـع إنها غير حقيقية.. لا يوجد أي دليل على أنها حقيقية، ولكـن كان يؤمـن بهـا الكثير من سـكان تلك المناطـق.. ولكن الشيء الحقيقـي هـم فقط مقاتلـو الفايكنـج العظام الذين حكيـت لك عنهم من قبل»..

أخـذ (ك. م) يطـرق إلى الأرض قليلًا ثم سـأله سريعًا: «ألم تخبرني بأن الكذب هو أن تقول شيئًا غير حقيقي وأنه شيء خاطئ؟»..

«بلى.. الكذب هو ذلك.. والكذب شيء سيئ بالتأكيد»..

«فـإذا كانت الأسـاطير شـيئًا غـير حقيقي فانهـا كـذب بالتأكيد.. لمـاذا تنـشر بالكتـب ويتداولهـا البـشر عـلى الرغـم مـن أنهـا كـذب وشيء خاطئ؟!».

شعر مدحت بالاضطراب من سؤاله ولم يستطع أن يرد عليه بالحال: «انـه.. انه.. إنـه خاطئ بالتأكيد، ولكـن يجب أن نقرأه لعدة أسـباب: أولهـا أن نعلم بماذا كان البشر يعتقـدون قديمًا، والثاني لكي نعلم البشر الصغار أن تلك الأساطير القديمة كانت خاطئة وكذبًا وغير صحيحة حتى لا يقعوا بالخطأ بها بعد ذلك ويصدقوا تلك الأكاذيب..».

«أنا لا أفهم.. سـتخبر البشر الصغار بالأكاذيب التي صدقها البشر قديـمًا كي لا يصدقـوا تلك الأكاذيـب!! أليس من الأجـدى ألا ننشر تلـك الأكاذيب من البداية حتى لا يصدقها البشر الصغار؟ أنا لا أفهم مـا المغزى من ذلك.. والفايكنج.. ألم تخبرني بأن هؤلاء الفايكنج كانوا بـشرًا يجوبون البحار ويسرقون السـفن ويقتلون الآخرين؟.. أليسـت تلـك الأشـياء خاطئـة؟ ألم تقـل لي أن السرقـة والقتـل همـا ممـا يفعله البـشر الأشرار؟.. إذًا الفايكنج أشرار.. لمـاذا تكتبون عنهم في الكتب وتصفونهم بالعظماء؟! هذا غريب.. أنا لا أفهم»..

اضطرب مدحت من أسـئلة (ك. م).. لأنـه كان يتذكر كل حديث أجـراه معـه من قبـل وكل كلمة ويقارنها بـما يقوله بعد ذلـك.. فابتلع ريقـه وحدثه بثقة غير موجودة: «بالطبع هـؤلاء البشر خاطئون لأنهم ينشرون تلك الأشـياء السـيئة.. ولكن ليس كل البشر جيدين.. فهناك بشر أشرار كما أخبرتك ويجب ألا نفعل مثلهم»..

أخذ (ك. م) يحرك بعض الحصى بيده وهو يستغرق بتفكير عميق.. فأثارت تلك الحالة اهتمام مدحت فبادره بالسؤال: «ماذا يا (ك. م) هل هناك ما يشغل بالك؟ إذا كان لك أي سؤال فأخبرني لأجيبك»..

نظر إليه (ك. م) وأجابه سريعًا: «أنا لا أفهم الكثير من أفعال البشر.. لماذا تحتاج أجسادهم إلى الطعام؟ فأنا لا آكل وأعيش مثلك بالضبط.. لماذا لديكم فتحات لتخرجوا منها بقايا الطعام؟ لماذا تتحركون على قدمين فقط والحيوانات على أربع؟ لماذا تفعلون أشياء خاطئة مثل القتل والسرقة والكذب وأنتم تعلمون أنها خاطئة؟ لماذا يصبح البشر أشرارًا؟.. أخبرني بشيء.. هل الأشرار يأكلون طعامًا مختلفًا عن البشر الجيدين؟»..

«لا.. جميع البشر يأكلون ويشربون من نفس الطعام والشراب تقريبًا ويفعلون نفس الأمور تقريبًا.. ولكن الصفات المختلفة التي يكتسبها البشر هي التي تجعلهم جيدين أو أشرارًا»..

«أنا لا أفهم.. كيف تأكلون نفس الطعام وتفعلون نفس الأشياء وبالرغم من ذلك تتغير صفاتكم.. ما السبب بذلك؟»..

«الأسباب كثيرة.. الطمع والجشع والغيرة والحقد والكثير من تلك الأشياء تجعل الانسان يتحول إلى شرير بالنهاية».

«ولماذا يحدث الطمع والجشع والغيرة والحقد؟ ما الذي يجعل البشر هكذا؟».

أخذ مدحت يبتلع ريقه وهو مضطرب: «احم.. احمم.. آه.. السبب في ذلك هو رغبة الجميع في الحصول على شيء واحد بنفس الوقت.. وهذا يؤدي إلى تولد الصراعات، والصراعات تولد الغيرة

والحقد وغير ذلك من الصفات السيئة التي تحول البشر بالنهاية إلى أشرار»..

«ولماذا يتصارع الجميع على شيء واحد بنفس الوقت؟ ألا يستطيع جميع البشر المشاركة مع بعضهم؟»..

ابتسم مدحت ساخرًا: «لا.. هذا بالطبع شيء مستحيل.. لأن هناك بعض الأشياء الموجودة بالعالم متواجدة بشكل صغير للغاية لا يكفي جميع البشر، ولهذا يتصارعون ليحصلوا عليه.. أتذكر الذهب.. ذلك المعدن اللامع الذي أخبرتك عنه من قبل؟ هذا المعدن مطلوب جدًّا للبشر، وعندما يحصلون عليه يكونون بغاية السعادة وفرحين لذلك؛ ولهذا يتقاتلون عليه لأنه نادر»..

هنا بدا على وجه (ك. م) الحماس الشديد.. وسأله بفضول: «ما شكل هذا الذهب؟ أتستطيع أن تشرحه لي؟ أريد أن أراه»..

أومأ له مدحت حزينًا: «للأسف لن أستطيع أن أرسمه لك كالمعتاد، فالألوان والورق قد نفدت لدي منذ زمن بعيد»..

هنا اقترب منه (ك. م) متحمسًا: «أنت لن تحتاج إلى ورق أبدًا.. افتح يدك أمامك»..

مد مدحت يده إليه متحفزًا.. فوضع (ك. م) بيده قطعة حجر بيضاء لها نفس ملمس الصخرة البيضاء ولونها ثم حدثه بالحال: «خذ هذه.. إنها جزء صغير للغاية من (ك. م).. ولكنه يستطيع أن يصنع أي

شيء تريـده مثـل (ك. م).. احتفظ بها واصنع بهـا ما تريد، ولكن يجب أن تحملها بيدك ومعك دائمًا حتى تعمل»..

أخـذ مدحـت ينظـر إلى الحجـر الأبيـض بيـده بذهول وهـو يقلبه بيـده، ثـم تحـدث إلى (ك. م): «هل أسـتطيع أن أصنـع أي شيء مثلك بذلك الحجر؟»..

أجابه (ك. م): «نعم.. فلتصنع الذهب هذا.. أريد أن أراه»..

أخذ مدحت يقلب الحجر بيده وهو متشكك.. ثم قام بتخيل سبيكة ذهـب أمامـه عـلى الأرض، وبالفعل ظهرت سـبيكة الذهـب أمامه.. فالتقطها بيده غير مصدق وهو يبتسم بشدة.. فالتقطها (ك. م) من يده سريعًا وهو فرح ويضحك: «هل هذا هو الذهب؟ هل هذا الذهب؟».

ابتسم له مدحت وهو يومئ برأسه: «نعم.. إنه هو».. وأخذ يقلب الحجـر بيـده وهو مصـدوم من هذه القـدرة.. وهنا لفـت انتباهه شيء لامـع.. فنظـر أمامه فوجد (ك. م) صنـع المئات من السـبائك الذهبية وأخـذ يحدثه فرحًا: «انظر.. انظر.. أسـتطيع أن أصنـع الكثير والكثير مـن هذا الذهب.. سـوف أعطـي هذا الذهب لجميـع البشر لأجعلهم سعداء جميعًا»..

ضحـك مدحت بالحال سـاخرًا: «يا لك من سـاذج! لن يجعل هذا البشر سعداء بل سيجعلهم تعساء!».

نظر إليه (ك. م) مسـتغربًا: «لماذا؟ ألم تخـبرني أنهم يصبحون أشرارًا لعدم حصولهم على الذهب؟».

أجابـه مدحت: «بـلى بالتأكيد.. ولكـن الأمر ليس سـهلًا هكذا.. ان قيمة الذهب العالية يكتسـبها لأنه عنصر نـادر وغير متوافر بكثرة، ولكنه إذا كان متوافرًا بكثرة فلن يصبح له قيمة ولن يهتم به البشر»..

أجابـه (ك. م)..مسـتاء: «كيف ذلـك؟ كيف إذا كان الـشيء نادرًا يصبـح البشر سـعداء بـه، وإذا كان متوافرًا بكثـرة لا يهتمون به؟! هذا شيء غريـب.. ولكن إذا كان الـشيء متوافرًا فلن يتقاتلوا عليه.. فلماذا لا يهتمون به؟».

«ان البـشر أكثـر تعقيـدًا مـن هذا يـا (ك. م).. لم يسـتطع شـخص بالعـالم أن يجمع البشر أو يوحدهم حتى الإله نفسـه الذي خلقنا جميعًا لم يفعل ذلك»..

أجابـه (ك. م) غاضبًـا: «لمـاذا؟ لمـاذا البـشر هكذا؟ هـذا شيء غير مفهوم.. (ك. م) ليس شخصًا واحدًا بل كثير جدًّا، ولكننا لم نفعل مثل البشر أبدًا.. ان البشر غير مفهومين.. أريدك أن تشرح لي»..

تعب مدحت من مجادلة (ك. م): «لن أسـتطيع أن أشرح لك الأمر جيـدًا يـا (ك. م) الآن.. ولكنك سـوف تتعلم طبيعـة البشر إذا ظللت بالقـرب منهم وتصرفت كأنـك فرد منهم.. يجـب أن تقلد حياة البشر لكي تسـتطيع أن ترى العالم من وجهة نظرهم، وبالتالي سوف تعلم أن البشر هم شيء على الرغم من بساطته فانه بمنتهى التعقيد»..

أخـذ (ك. م) يفكر كثيرًا ثم تحدث إلى مدحت: «هل العالم بالخارج به الكثير من البشر مثلك؟».

«نعـم.. يوجد ملايـين الملايين مـن البشر غيري خـارج الكهف.. هناك مدن وعواصم ودول كاملة ممتلئة بالبشر»..

«هل جميعهم مثلك أم أن هناك بشرًا يعلمون عن البشر أكثر منك؟».

«بالطبع هناك من هم أقل مني علمًا، وهناك من هم أكثر مني علمًا.. فالبشر متفاوتون فيما بينهم»..

«إذًا يجب أن يخرج (ك. م) من الكهف.. لكي يراقب البشر أكثر».

ابتسـم مدحت ساخرًا: «حظًّا سعيدًا.. إذا استطعت أن تفعل ذلك فلا تنسَ أن تأخذني معك».. ثم نظر إلى (ك. م) مفكرًا: «أتسـتطيع أن تخرج من هنا يا (ك. م)؟»..

بثقة شديدة: «(ك. م) يستطيع.. وسوف أفعل»..

أمسـكه مدحت مـن يده فرحًـا: «هل تسـتطيع أن تخـرج؟ كيف؟ أخبرني كيف»..

أشار (ك. م) إلى الفتحة التي بالسقف: «من هنا»..

نظـر مدحـت إلى أعـلى وهـو يحـدث نفسـه: «نعـم بالطبـع.. أنت تسـتطيع أن تحاكي أحد الطيور وتخرج، أو أن تتحول إلى تلك الأشـياء اللامعة وتسبح بالهـواء إلى الخارج.. إذًا حلِّق إلى الخـارج يا (ك. م).. حلِّق وائتِ إلي بالمسـاعدة.. فلتخبر الجميـع عن مكاني هنا.. فلتحاول انقاذي يا (ك. م)»..

أومأ له (ك. م) سريعًا: «سـوف أفعل.. سوف أخبر البشر بمكانك هنا حتى تخرج أنت أيضًا ولتراقب البشر معي»..

أعـادت كلـمات (ك. م) الخرقـاء تلـك عقـل مدحت إليـه.. كيف سيستطيع (ك. م) هذا أن ينقذه؟ إنه شيء خارق للطبيعة ولا يعلم عن البشر شـيئًا.. ونهايته ستكون بأحد المختبرات إذا لم يتم القضاء عليه.. لهذا يجب أن يتعلم التصرف أولًا كالبشر.. فتحدث إليه سريعًا: «انتظر يـا (ك. م).. لن تسـتطيع أن تخرج هكذا إلى البشر.. سـوف يخشـونك ويهابونـك، وسـوف يريـدون القضـاء عليـك».. قفـز (ك. م) سريعًا بمكانـه ونظر نظرة غريبـة إلى وجه مدحت استشـعر خلالها بأن هناك شيئًا خاطئًا فسأله (ك. م): «هل أنا شرير؟ هل فعلت شيئًا خاطئًا؟».. اندهش مدحت من سؤاله هذا وأجابه سريعًا: «بالطبع لا.. أنت لست شريرًا يا (ك. م) ولم تفعل شيئًا خاطئًا أبدًا»..

«إذًا لماذا سيهابني البشر ويحاولون القضاء عليَّ؟!»..

أخـذ مدحـت يتنهد وهو يندم أنـه أخبره الأمر بهـذه الطريقة؛ لأنه توقـع أن يكـون (ك. م) أصبح لديه تفكـير واعٍ مثل البشر، ولكنه كان لا يـزال مثل الأطفال: «(ك. م) أنت ليس بك شيء خاطئ.. المشـكلة لدى البشر وليسـت بك أنت.. ان البشر يخشـون أي شيء لا يعلمونه، ويحاولون تدميره.. هذه صفة أساسية مشتركة لدى البشر»..

«ولكنك أخبرتني أنك لم تخف مني وأنك أصبحت سـعيدًا لوجود (ك. م).. فلماذا البشر سيخشون (ك. م)؟»..

«أنـا سـعيد بوجـود (ك. م) بالطبـع.. ان أسـعد أيـام حيـاتي التي قضيتهـا بصحبة (ك. م) بداخل هـذا الكهف، ولكني لم أخشَ (ك. م) لأني قد قرأت كثيرًا وأعلم بوجود أشـياء لا نعلمها مثل (ك. م)، وأننا

يجب ألا نخاف منها ونخشاها ولكن نحاول فهمها ومصادقتها مثل (ك. م)»..

اتجه (ك. م) وأمسك كتاب أساطير الفايكنج وتحدث إلى مدحت: «إذًا البشر الذين يقرءون الكتب لن يخشوا (ك. م)»..

«بالطبع.. لأن القراءة تجعل البشر أكثر علـمًا وثقافة.. لأن الكتب بها الكثير من العلوم والمعلومات التي تنمي البشر وتجعلهم أذكياء».. أخذ (ك. م) يقلب بالكتاب أمامه وهو ينظر إليه»..إذًا سوف يذهب (ك. م) إلى البشر الذين يقرءون الكتب ويخبرهم بوجودك هنا ليخرجوك ثم يراقب معك البشر.. سوف أذهب الآن»..

تنهد مدحت للحظات ثم حدثه: «انتظر يا (ك. م).. يجب لكي تذهب إلى البشر أن تتعلم كيف يتعاملون ويتكلمون؛ لأنك إذا لم تستطع تعلم ذلك فلن تستطيع مساعدتي أبدًا، وسوف يحدث لك الأسوأ.. استمع لي يا (ك. م) ان البشر أكثر تعقيدًا مما تتخيل.. لن تستطيع التعامل معهم بمفردك».. أومأ (ك. م) إليه برأسه متفهمًا، ثم جلس بجواره يستمع إلى حديثه ونصائحه.. بنهاية ذلك اليوم وعندما خلد مدحت إلى النوم ظل (ك. م) يحدق به متحيرًا ثم فجأة انقسم (ك. م) إلى شخصين، وظلا ينظران إلى مدحت أمامهما فتحدث (ك. م) الذي على يمين مدحت إلى (ك. م) الأصلي: «سأخرج من هنا لأرى ما يقوله هذا البشري صحيح أم لا»..

أجابه (ك. م) الأصلي: «ولكنه أخبرنا أننا غير جاهزين بعد للتعامل مع البشر.. وأنهم قد يخشوننا لأنهم لا يعلمون ماهيتنا»..

أجابـه (ك. م): «أنـا لا أعتقد ذلك.. فنحن نبـدو مثلهم ونتحدث مثلهـم ونتحـرك مثلهـم.. لن يؤذوا شـخصًا مـن البشر هكـذا بدون سبب.. أعتقد أنه من البشر الذين يكذبون»..

نظـر إليـه (ك. م) الأصـلي: «نحـن لم نختلـف أبـدًا بتفكيرنا؛ لأن عقولنـا واحـدة ولكـن يبـدو أنـك اكتسـبت بعـض صفـات التفكير البشرية.. لكننا لم نكتسـب شـيئًا كهذا.. كلنا نعمل من أجل الجميع.. وأنا أعلم أيضًـا أنك تفكر بطريقة مختلفة قليلًا من أجل الجميع؛ ولهذا سوف ندعك جميعًا تخرج من هنا بمفردك.. فلتختلط بالبشر وتراقبهم لفترة طويلة ثم سـنجتمع مرة أخرى معًا لكي نكتسـب الخبرات التي اكتسـبناها معًـا.. ولكن يجب ألا تظهر بشـكلك البـشري الآن.. هذا ما أجمعنـا عليـه جميعًـا.. راقب البشر عـلى هيئة أخـرى.. فلتكن قطعة من الذهب.. لقد أخبرنـا مدحت بأن البشر يحبون الاحتفاظ بالذهب بالقرب منهم.. اسـتمر هكذا لفترة مناسـبة ثم تشـكل إلى بشري حينما ترى الوقت مناسبًا»..

أومأ (ك. م) برأسـه إليه: «سـوف أفعل.. ولكن متى سنجتمع مرة أخرى معًا؟»..

أجابـه (ك. م) الأصـلي: «عندما نخـرج من هذا الكهـف ونراقب البشر لفترة مناسبة سوف نصل إليكم جميعًا عن طريق الذهب أيضًا.. سـوف نصنـع ذهبًا كثيرًا للغاية وذلك سـوف يكون رسـالة لكما لكي تعودا لنا»..

أومـأ (ك. م) إلى (ك. م) الأصلي ثم تحول إلى تلك الأشـياء المضيئة ثـم تحرك جهة فتحة الكهف ليختفي خارجه ويسـبح جهة المجهول.. أمـا (ك. م) الأصـلي فقد ظـل ينظر إلى مدحت الـذي كان نائمًا ولم يدرِ بما حدث منذ قليل.. تحولت أنظار (ك. م) إلى جهة الكتاب الانجليزي الذي بجوار مدحت ثم إلى بعض الأجندات التي كانت أسـفله وكان مدحت يدون بها بعض مذكراته ومشـاعره الخاصة.. فأمسـك (ك. م) بتلك المذكرات باهتمام شـديد وظل يقلب بها لفترة طويلة، ثم تغيرت ملامحـه وهو يقرأ ما خطه مدحت بيده.. ظل مدحت نائمًا لفترة طويلة ثم استيقظ عندما شـعر بحرارة الجـو الخانق تلفحـه بالكهف وتجعل قطـرات العـرق تنتشر ببدنه.. فاسـتيقظ وهو يحرك ملابسـه قليلًا عن جسـده ولوح بيده جهة وجهه ليصنع بعض الهواء الذي يرطبه.. أخذ يمسح عينيه ليزيل بقايا الليل من على أجفانه وتثاءب قليلًا وهو يحرك ذراعيـه بجانبـه واتجـه إلى بركة المـاء التي كانـت باردة قليلًا فأشـعرته بالارتياح الشديد وهو يسكب بعض مائها على جسده ووجهه.. فشعر بالنشاط يدب بجسده من جديد فنظر بالكهف حوله بحثًا عن (ك. م) الذي وجده سريعًا بأحد أركان الكهف يستند بظهره على الحائط خلفه وبيـده مذكراتـه ينظر إليها.. هذا المشـهد أدهش مدحت وعقد لسـانه فنظر بجواره سريعًا جهة حاجياته فلم يجد المذكرات والكتب بجانبه.. شعر بالقلق قليلًا ثم ابتسم وهو يحدث نفسه ضاحكًا: «لا تخف هكذا أيهـا الأحمـق.. إنـه يقلدني وأنـا أقـوم بالقـراءة أمامه.. هـذا شيء غير متوقـع ولكنه عـادي بالتقليد».. ولكن عندما نظـر إليه (ك. م) بعيون فضولية شعر ساعتها بأن هناك شيئًا خاطئًا وتأكد من ذلك عندما وجد

(ك. م) يسـأله سريعًا: «هل أنا شيء شرير يا مدحت؟ هل أنا شر؟ هل تراني هكذا؟»..

اندهـش مدحـت مـن سـؤاله: «بالطبـع لا.. مـا الـذي جعلـك تظن هكذا؟»..

أجابـه (ك. م) بالحال: «أنت كاتب هنا أنـك تخاف مني.. هل أنت تخاف مني؟ هل أنا شرير بنظرك؟»..

قفز مدحت من مكانه بالحال وانقبض قلبه رعبًا وهو يسأله مرتاعًا: «كيف علمت ما هو مكتوب هنا؟ هل تستطيع القراءة؟»..

أومأ (ك. م) برأسه إيجابًا: «نعم أستطيع»..

«كيـف ذلـك؟ كيـف ذلـك؟ أنـا لم أعلمـك القـراءة أبـدًا.. كيف استطعت تعلمها بمفردك؟».

أشـار (ك. م) إلى جهة صدره وأجابه سريعًا: «(ك. م) اسـتطاع أن يصنع جسد البشر.. ألن يستطيع أن يتعلم قراءة لغتهم؟!..

عقدت الصدمة لسـان مدحت ولم يشعر بنفسه إلا وهو يجلس على الأرض دون أن يتحـدث وهـو يحدق بــ(ك. م) الذي نظر إليه شـزرًا للحظـات ثم عـاد إلى المذكرات يقلـب بها باهتمام شـديد.. ومنذ تلك اللحظة بالذات توترت علاقة مدحت فراج بـ(ك. م) ولم تكن كالسابق أبدًا.. أصبح يجيب على كل سؤال يطرحه (ك. م) بحذر شديد للغاية، ويدقـق بكل رد فعل يبديه (ك. م) على حديثه، ودب الرعب بقلبه فلم يكـن ينام ملء جفنية كالسـابق أبدًا.. ولأنـه ولأول مرة منذ أن حظي

بمصاحبة (ك. م) يكتشـف أنه يفكر بأشـياء أخرى لم يطرحها مدحت عليه، ويتعلم مهارات أخرى لم يتعلمها منه.. شعر بأنه يجلس مع شيء يجهلـه تمامًـا حتى ولو كان يقنع نفسـه من قبل بعكـس ذلك.. وحينها تحـول مدحـت مثل كل البـشر إلى عدو.. عدو ما يجهـل.. مرت الأيام و(ك. م) يسأله عن صفات البشر وطباعهم ولكن مدحت كان يتهرب دائمًا من سؤاله ذلك وكان يرى بعيون (ك. م) أنه يعلم بأنه يتهرب منه.. فكر مدحت فراج كثيرًا بأن يجعل (ك. م) يخرج من الكهف ليحضر له المساعدة وكان الأمر سهلًا للغاية؛ يخبره بأنه أصبح جاهزًا للتعامل مع البشر.. يرسـله برسـالة خطها بيده إلى إحدى المدن أو ما شابه ويصف له مكانه ويكتب أسـماء أصدقائه ومن صاحبـوه برحلته.. وكان يتردد كثـيرًا في فعل ذلك.. حيث إذا أرسـل (ك. م) بتلك الرسـالة فسـوف يبعـث لـه بأمل مـن جديد بأنه سـينقذ ويـرى عائلته مـرة أخرى، وفي المقابل سـوف يحرم من وجود الإضاءة بالكهف عند مغادرة (ك. م).. وهناك أيضًا مخاطرة بألا يستطيع (ك. م) توصيل الرسالة لأي سبب.. أن يُقبـض عليـه أو يُعـرف أنه غير بـشري، أو أن يُفتـن بالمدن وغيرها ويتناسـى أمر مدحـت وبالنهاية يكون بمفرده بالكهف وسـط الظلام للأبـد.. تلـك الأفكار ظلت تـتردد كثيرًا برأسـه لعدة أشـهر.. ولكن عندمـا كان يظهـر الأمل له بأنه مـن الممكن أن ينقذ ويعـود إلى عائلته كانت تطغى عليه أفكاره السـوداء السـلبية.. وبالفعـل اتخذ قراره بأنه سوف يرسـل (ك. م) إلى الخارج ومعه رسـالة الأمل لعودته لعائلته.. كان يكتـب مسـودة تلو مسـودة ولكـن كان يعاني مـن شيء غريب أن خطه أصبح سـيئًا للغاية.. لدرجة أنه هو نفسه لا يستطيع أن يقرأه مرة

أخرى.. فأخذ يستخدم الصخرة التي أعطاها له (ك. م) من قبل لصنع العديـد من الأوراق والأقلام ليعاود الكتابـة عليها من جديد.. وكان يصنـع بعض الطعام أيضًا الذي كان يشـتهيه ولكـن كان حينما يتناوله يجـد طعمه غريبًا للغايـة؛ لأن (ك. م) لا يعلم مـذاق ذلك الطعام بعد فلا يسـتطيع محاكاتـه، ولكن لم يمنع ذلك مدحت مـن أن يصنع المزيد كل يـوم حتـى وإذا لم يكن الطعم جيدًا فيكفي أنه يقنع نفسـه بأنه جيد وسـيجده جيـدًا.. كانت الأشـياء المصنوعـة بتلك الصخرة بواسـطة مدحـت تفيد (ك. م) لدرجة كبيرة للغايـة؛ لأن مدحت كان يمنع عنه المعلومـات بكلماتـه، ولكـن رغباته كانـت لا تبخل عليـه بمعلومات دائمة ومسـتمرة.. تحسـن خط مدحت تدريجيًّا مع مـرور الأيام ولكن سـاءت صحتـه بالتـوازي أيضًـا.. فلقـد بدأ يشـعر بأن صـدره يحرقه للغاية والسـعال صار لا يبرحه، وزاد السـعال أكثـر وأكثر وأصبحت تصاحبه دماء من فمه.. وزاد تعرقه بالليل وانتفخ بطنه بدون سـبب.. وزادت آلام مفاصلـه عن السـابق كثـيرًا وأصبح يتألم ليـل نهار وصار ضعيفًـا للغاية.. وظلت تلـك الأعراض تصاحبه لمدة ثلاث سـنوات كاملـة كانت حالته تسـوء أكثـر وأكثر يوميًّا.. وظـل الأمر هكذا حتى أخـبره (ك. م) في أحد الأيام أنه سـيذهب إلى خـارج الكهف ليحضر له من يسـاعده، ولكن مدحت رفض هـذا الأمر نهائيًّا وحدثه بصوت ضعيف: «(ك. م).. لا تتركني أبدًا.. أنا أشـعر بدنو نهايتي.. أنا أشـعر بأني سـوف أمـوت وأغيب عـن هذه الحياة.. لقد عشـت فـترة طويلة بمفردي بهذا الكهـف اللعين.. ولا أريد أن أموت بمفردي أيضًا.. أنا شعرت بالفرح الشديد عندما وجدتك وصاحبتك.. لا أخفيك سرًّا..

أنا أشـعر كثيرًا بأنك غير حقيقي وأنك مجرد شيء غير حقيقي اختلقته من رأسي لكي يؤنس وحدتي.. فهل أنت حقيقي أم لا؟»..

أجابه (ك. م) سريعًا: «بالطبع أنا حقيقي بالتأكيد.. لا تقلق يا مدحت»..

ابتسـم مدحـت وهو يسـعل دمًا: «حمـدًا لله.. لقد كنت أخشـى أن تكون غير حقيقي.. فهذا سـيكون سيئًا للغاية.. لأني قد نسيت ملامح عائلتـي.. وإذا كنت أتخيل أشـياء غير موجـودة مثلك برأسي ولم أتخيل عائلتي فبذلك أكون خائنًا لهم مرة أخرى»..

ظـل (ك. م) يحـدق به دون أن يـدري ماذا يقول أو يصنع.. فشـعر مدحت بحيرة (ك. م) فتحدث إليه:

«ابتسـم يا (ك. م).. أحب أن أراك مبتسـمًا.. لقد كنت مبتسـمًا أول مـرة رأيتك بهـا، وأحب أن أراك مبتسمًا بآخـر مرة سـوف أراك بها.. أريـدك أن تغادر هـذا الكهف بعد أن أموت.. إذا لم أسـتطع أن أجعل عائلتي تراني وأنا حي فأريد أن يشـاهدوني وأنا ميت.. أريدك أن تعثر على أي شخص وتدله على مكاني بالكهف.. لا أريد أن أُترك هنا منسيًّا بحياتي وبوفاتي.. عدني يا (ك. م).. عدني بأنك ستفعل ذلك..».

أومأ (ك. م) برأسه: «أعدك يا مدحت.. أعدك بذلك..

«عـدني أنك لـن تتركني أبدًا حتـى أموت.. عدني أنـك لن تدعني أموت هنا بمفردي..».

«أعدك بذلك يا مدحت.. لن أتركك وحيدا أبدًا حتى تموت»..

«أشكرك يا (ك. م).. أشكرك للغاية أنك صاحبتني كل تلك السنوات التي عشتها هنا.. ولهذا سوف أكافئك بأن أخبرك باسم جيد بدلًا من (ك. م).. سوف أسميك كريم.. كريم ماهر.. كريم هو اسم ابني الكبير وماهر هو اسم طفلي الأصغر.. وابنتي الوسطى اسمها مي.. ولذلك لن أستطيع أن أعطيك اسمها.. ههههه.. أنت من الآن سوف تسمي نفسك بهذا الاسم: كريم ماهر بدلًا من.. كيان مجهول.. أرأيت كم أنا ذكي؟!»..

ابتسم كريم وهو يحدثه: «بالطبع أنت ذكي.. أنت علمتني كل شيء أعرفه حتى الآن.. ولكنك لم تخبرني بعد...»..

وهنا وجد كريم مدحت مبتسمًا والدماء تسيل من فمه وينظر إلى الفراغ بالأعلى وعيناه دامعتان وروحه قد رحلت عن هذا العالم..

شعر كريم بشعور غريب لم يدرِ كنهه أبدًا وهو يري جسد مدحت أمامه فأمسك يديه وهو يحدثه: «لم تخبرني بعد ما معنى كريم وما معنى ماهر.. لم تخبرني معنى اسمي بعد يا صديقي»..

وهكذا أسدل الستار عن قصة مدحت فراج؛ هذا الشخص الذي قاده قدره بأن يحبس بالكهف لمدة خمسة عشر عامًا كاملة ويرحل عن الدنيا بمرض السل ولين العظام الذي صاحبه بسبب عدم تعرضه للشمس كل تلك الفترة.. وهكذا ولأول مرة منذ وطئ هذا الكهف يتخلص من معاناته..

أما بالنسبة لـ (ك. م) -الذي أصبح كريم ماهر- فانه ظل بالكهف بمفرده لمدة عام يحدق بجسد مدحت فراج الذي تحلل أمامه.. وهكذا ظل مدحت يعلمه حتى بعد وفاته.. والكهف أصبح خاويًا ساكنًا مرة أخرى.. الرمال طمرت بركة المياه منذ لم تجد من كان يبعد عنها الرمال دائمًا ويضع الصخور حولها.. والنباتات ذبلت وماتت بعد أن لم تجد المياه أو من يرعاها.. وظل فطر عيش الغراب هو الذي ينمو بمفرده بالكهف.. كان كريم يريد مغادرة الكهف ولكنه كان يخشى على وعده مع مدحت حيث أخبره من قبل بأن أعظم الأمور عند البشر هي الوفاء بالوعد.. وهكذا انتظر لفترة طويلة أن يمر أي شخص جهة الكهف ولكن لم يحدث ذلك قط.. ظل كريم يفكر ماذا سيفعل بمفرده لأنه ولأول مرة منذ أن ظهر مدحت أصبح وحيدًا لا يسأله ومدحت لا يجيبه.. ولكن لاحظ أن بعض الهواء يتخلل من جهة ما بالكهف فاتجه إلى تلك الجهة سريعًا ليجد أنها منطقة صخرية بها بعض الرمال المنسلة وتحمل معها بعض الهواء.. فقام كريم بلكم تلك الصخور بقوة فصنعت فتحة صغيرة امتلأت بالرمال.. فقام مرة أخرى بلكمها ثم ثانية وثالثة ورابعة.. وظل يلكم ويلكم وتتوسع الفتحة وتتفتت الصخور وتدلف الرمال إليه وظل يحطم الصخور حتى لاح ضوء النهار أمامه، فظل يحطم الصخور حتى استطاع أن يصنع فتحة كبيرة ولكن غمرت الرمال نصفها بالحال.. فأخذ كريم يسبح بنصف جسده بالرمال حتى استطاع الخروج من الكهف لأول مرة منذ بداية عمره الطويل الذي تجاوز عشرة آلاف عام.. عندما غادر كريم الكهف لأول مرة انتابه شعور غريب للغاية.. كان

للمرة الأولى يستشعر بجسده البشري شعور ملامسة أشعة الشمس لكامل جسده.. والرياح وهي تمر بمسام جلده وتتخلل شعر رأسه.. حركة الرمال أسفل قدميه مختلفة عمَّا كان يشعر به بداخل الكهف.. نظر حوله مستغربًا مما يشاهد.. النور حوله بكل مكان ولا يحتاج أن يصنع إضاءة ليرى مثلما كان يفعل من قبل.. كل ما نفعله كمسلَّمات بحياتنا الطبيعية كان يختبره كريم للمرة الأولى بحياته خارج الكهف.. لم يكن يدري بأن الحياة بالخارج مختلفة هكذا.. الرمال الصفراء على مرمى البصر بكل اتجاه.. كثبان رملية وصخور بكل مكان.. لاحت منه نظرة خلفه ليشاهد الكهف الذي كان يمكث به كل تلك السنين من الخارج، وكم كان هذا غريبًا بناظره؛ فلقد وجده عبارة عن شيء مرتفع عما يحيطه ومغطى بالرمال ولا يفصله عما يحيطه إلا ظهور فتحة متوسطة هي التي خرج منها منذ قليل.. من يشاهد هذا المشهد في تلك اللحظة لا يتوقع أبدًا أنه كان بداخل هذا المكان شخص يعيش لمدة 15 عامًا وكان لديه ماء وطعام وسط كل تلك الصحراء الشاسعة.. أخذ كريم يتحرك إلى الأمام على غير هدًى لعدة ساعات.. كانت شمس الظهيرة قد أوقدت حرارة الصحراء وأنضجت الكائنات التي بداخلها.. لم يكن أي شيء يتحرك في ذلك القيظ الملتهب سوى كريم الذي كان يشاهد كل شيء حوله بانبهار شديد للمرة الأولى.. وظل بطريقه لا يكل ولا يمل.. ثم فجأة ترامت إلى أذنيه أصوات غريبة من إحدى الجهات غير المعلومة.. فاندهش كريم من تلك الأصوات وساقه الفضول جهة مصدر تلك الأصوات.. ظل يركض جهة يساره بسرعة حتى رآها أمامه.. سيارة دفع رباعي بيضاء تُقل ثلاثة أشخاص

وقف أمامهم مندهشًا.. وهنا توقفت السيارة بركابها وظلوا ينظرون إلى كريم وهو على هيئة طفل عاري الجسد إلا من قطعة قماش حول وسطه وهو يقف أمامهم بالصحراء.. صرخ أحد الركاب عليه بالإيطالية فلم يفهم كريم ما يقولونه.. فتحدث بعضهم إلى بعض قليلاً ثم تحدث شخص ثالث كان بالمقعد الخلفي بالسيارة وسأله باللغة العربية: «هل أنت تائه بالصحراء؟ أين والداك؟ هل تفهم العربية؟».

فهم كريم بالحال ما يقوله هذا الشاب، وأومأ برأسه وهو ينظر إليهم بفضول شديد؛ لأنه أول مرة يرى بشرًا آخرين غير مدحت، وأيضًا أول مرة يرى بها سيارة من تلك التي أخبره عنها.. وظل يردد بداخله أن مدحت لم يخبره بأن السيارات تصدر أصواتًا.. أخذ الشاب يحدث مرافقيه بالإيطالية ثم تحدث إلى كريم: «أنا أدعى أحمد المستكاوي؛ مصري مثلك.. وهذان اللذان بجواري عالمان إيطاليان اسمهما massimo & jacopo foggini .. تعال معنا؛ سوف نصطحبك إلى والديك.. أخبرنا أين تسكن وسنصطحبك إليهما»..

هنا لم يكن يدور برأس كريم إلا وعده مع مدحت، فحاول أن يتحدث إليهم ولكنه تراجع سريعًا خوفًا ممَّا أخبره به مدحت عن البشر وأنهم قد يخشونه ويخافون منه.. أشار إليهم جهة الكهف حيث يمكث ما تبقى من جسد مدحت فراج.. فنظروا جهة ما أشار كريم فتحدث إليه أحمد المستكاوي: «هنا.. هل أهلك يمكثون هنا؟».

هنا ركض كريم بسرعة شديدة جهة الكهف.. فاندهش أحمد والإيطاليان ماسيمو وجيكوب من فعله، ولكنهم قرروا أن يتبعوه

بالسيارة خوفًا من أن يهلك بالصحراء بمفرده.. انطلق كريم سريعًا أمام السيارة التي كانت تلاحقه بصعوبة وركابها مندهشون من سرعة هذا الصبي الصغير.. توجه كريم سريعًا إلى داخل الكهف.. وتبعه أحمد المستكاوي ورفيقاه بالقرب من مدخل الكهف.. فنظر بعضهم إلى بعض بتعجب شديد، ثم ترجلوا من السيارة وتوجهوا جهة الكهف ليجدوا نصف المدخل مطمورًا بالرمال.. فقاموا بسرعة باستخراج المجاريف من سيارتهم وقاموا بإبعاد الرمال وبعض الصخور فوجدوا أن المدخل قد توسع بشكل كبير، فقاموا بالدخول جهة الكهف وأشعلوا مصابيحهم وهم ينادون على كريم ولكن لم يجدوا له أثرًا... وهنا أشار أحد العلماء جهة الحائط وهو مندهش فتوجه أخوه والمستكاوي جهته ليشاهدوا أمامهم رسومات الكهف التي لم يرها أحد من العامة من قبل، وفتنوا بها رأوه وأخذوا يلتقطون الصور لبعضهم البعض. وهنا كان ماسيمو مفتخرًا بنفسه وهو يخرج أحدث هاتف بذلك الوقت نوكيا 7650 وأخذ يقوم بتصوير الرسومات التي على الحائط بكاميراه الخارقة حينها والتي كانت بجودة 0.3 ميجابيكسل. وتناسى الجميع وجود كريم الغريب هذا، وفرحوا باكتشافهم الجديد الذي سيخلد اسمهم بالتاريخ.. وهنا شاهد أحدهم بقايا جسد مدحت فراج ومتعلقاته، فقاموا بلفه بقطعة قماش ووضعوا الجسد وحاجياته بسيارتهم وتحرك الركب سريعًا مبتعدين، وتركوا جيكوب بمفرده بالكهف يعاينه ويستكشفه بعناية.. بعد عدة دقائق وقف كريم خلف جيكوب دون أن ينتبه، ثم حاكي ملابس وشكل وملامح جيكوب الوسيمة وتحرك بروية إلى خارج الكهف

بعـد أن أوفى بوعده مع مدحـت، وحان وقت مراقبة البشر الآن.. ظل هائـمًا بالصحـراء ولكن هذه المـرة كان يتتبع أثر إطارات السـيارة التي انطلقت من الكهف.. وظل بالطريق لعدة كيلومترات وحينها شاهده أحـد البدو الموجودين بالمكان فأخـذ يصيح عليه ويحييه ويتحدث معه بالانجليزيـة تارة وبالفرنسـية تارة وبالعربية: «يا أهـلا يا رفيق.. يبدو أنك سائح تائه.. سوف نوصلك إلى أصدقائك.. أخبرني باسم الفندق الذي تمكثون به».. هنا أخذ كريم يفكر وهو يتردد كثيرًا بأن يجيبه ولكن بالنهاية أجابه بالعربية وبصوته الغريب: «أريد أن أذهب إلى المدينة»..

أجابـه البـدوي سريعًا: «أنت تتحـدث العربية.. جيـد.. جيد.. أنا وأولاد عمي سوف نذهب إلى الفرافرة.. أترغب بأن تأتي معنا؟».

أومأ كريم برأسه لهم: «نعم.. سأذهب معكم»..

ابتسـم البدوي الـذي كان بصحبة اثنين آخرين وهو يشـير له جهة السـيارة: «رائع.. رائع.. هاي اركب معنا أيها الغريب.. أنت ضيفنا.. سـوف نوصلك إلى ما تريد».. وركب معهم كريم بالسيارة وهو يحمل حقيبة كالتي حملها جاكوب على ظهره عندما حاكاه.. ثم انطلقوا جميعًا مسرعـين يضحكون ويتسـامرون مع كريم الـذي كان يحاول مجاراتهم وهو مبتسـم ويستمتع باندفاع الهواء السـاخن حوله بداخل السيارة.. بينـما أخذ البدو يغنون بدورهـم أغانيهم المعتادة ويتناولون بعض قطع التمـر بالسـيارة وأعطوا بعضهـا لكريم الـذي تناولها وشـعر بطعمها السـكري الـذي كان مختلفًا كثـيرًا عن الطعم المعتاد الذي كان يشـارك مدحـت بتناوله بداخل الكهـف.. انتابه الفضول الشـديد لماذا أصبح

الطعـام لـه مـذاق مختلف هكذا؟ وسـأل البـدو عن أسـباب اختلاف طعـم تلك المأكـولات، وهنا ضحك البدو على حديثـه وهم يعتقدون بأنـه يمازحهم.. وظلوا يتضاحكـون ويمرحون حتى حل الليل عليهم فركنوا السـيارة وقاموا بإشـعال النيران وصنع مخيم صغير بالصحراء، وأخذوا يتناولون الطعام والشاي طيب المذاق، وكان كريم يتذوق هذه الأطعمـة والمشروبات للمرة الأولى بحياته، وكان يشـعر بلذة التجربة الأولى التي يشـعر بها كل البشر عنـد تناولهم لأي شيء جديد عليهم.. وكان يشـعر بالسرور الشـديد من تلك المواقف؛ لهذا شـعر بأن هؤلاء البدو أشخاص جيدون للغاية، وكان يريد مكافأتهم لفعلهم معه، وهنا قـام بـأول درس وأهم درس كان يخـبره به مدحت دائـمًا وهو ألا تدع البشر يشـاهدونك وأنت تصنع أي شيء؛ ولهذا قـام بفتح الحقيبة التي صنعهـا محاكاة لحقيبة جاكوب فوجيني.. ووضـع يده بداخلها وصنع سـبيكة ذهب وأخرجها أمـام البدو وأعطاها لأحدهم وهو مبتسـم.. أما البدو فكانوا مصدومين من فعل كريم الذي أعطاهم سبيكة ذهب كاملة وكانت كبيرة الحجم لا تقل بأي حال من الأحوال عن 5 كجم.. وهـذا جعل البدو ينظرون إليه متحيرين وهم يتبادلون النظرات بينهم وأخذوا يتحسسـون السـبيكة بين أيديهم.. فتحـدث أحدهم إلى كريم مصدومًا: «ما هذا؟!»..

أجابه كريم مبتسمًا: «هدية.. لأنكم تساعدون كريم ماهر»..

أخذ البدو يضحكون وهم غير مصدقين لتلك الهدية المفاجئة وغير المتوقعة.. وظلوا يشكرونه للغاية وهم يعتقدون أنهم يحلمون.. فسأله أحدهم بلهفة: «هل لديك سبائك أخرى مثل هذه؟»..

أجابه كريم سريعًا ومبتسمًا: «نعم.. كريم لديه الكثير والكثير من هذا الذهب»..

فضحك البدو وهم ينظرون إليه مندهشين.. استمرت الليلة بالكثير من الضحك والسمر وأغدق البدو على ضيفهم الكريم ولم يبخلوا عليه من كرم الضيافة بشيء نهائيًّا.. استمر السهر والسمر وشد الصباح الزمام من الليل، وبدأ القمر يشمر عن ساعديه ليهم بالمغادرة لتحل الشمس بدلًا منه في الشفت الصباحي.. وهنا بدا الإرهاق على البدو واستأذنوا ضيفهم بالنوم قليلًا قبل شروق الشمس حتى يستطيعوا أن يكملوا رحلتهم السعيدة، وأومأ لهم كريم بالموافقة، وأخذ يغلق عينيه مقلدًا إياهم ويتصنع النوم حتى لا يكشف نفسه أمام البدو كما أخبره مدحت بأحد دروس الكهف اليومية.. لم يمر وقت كثير وشعر كريم بحركة خفيفة حوله ولكنه تغاضى عمَّا يحدث حتى لا يحرج مضيفيه.. ولكنه شعر بشيء غريب يحدث له وشيء يشد وثاقه.. ففتح عينيه سريعًا ليجد مشهدًا غريبًا جدًّا يحدث له.. أحد البدو يقبض بيديه بقوة على ساعدي كريم ليمنعه من الحركة، وبدوي آخر يقبض بيديه على عنقه بقوة شديدة وهو يرتعش.. بينما البدوي الثالث يقلب بحقيبته بسرعة شديدة.. هذا الموقف جعل كريم يضطرب بشدة؛ فهو لا يدري ماذا يحدث له.. وماذا يصنع مضيفوه

بـه.. حاول أن يسـألهم ولكنه وجـد أن صوته لا يسـتطيع الخروج من حنجرته، وشعر بقبضة البدوي تشتد أكثر وأكثر على رقبته.. حاول أن يخلص يديه من البدوي الذي خلفه فلم يستطع.. صرخ البدوي الذي يخنقـه بالآخـر الذي خلفـه: «اللعنة عليـك! فلتنتهِ سريعًـا.. إنه يقاوم بشـدة كالثور».. فأجابه البدوي وهو يلقي بالحقيبة غاضبًا: «لا يوجد ذهب.. الحقيبة فارغة»..

فأجابـه البـدوي الآخر غاضبًا: «مـاذا تقول؟ فارغـة؟ كيف؟ لقد أخبرنا أنه يحمل الكثير من الذهب»..

صرخ بـه البـدوي: «يبدو أنـه كان يكذب.. يجـب أن نتخلص منه حتـى لا يفتضح أمرنا.. اقتلـوه بسرعة لكي ندفنه بالصحراء ولا يعلم أحد بمكانه»..

فـصرخ البـدوي وهـو يعصر رقبـة كريـم بغضب شـديد تصاحبه ارتعاشـة قويـة: «إنها غلطتك.. إنهـا غلطتك أنك أخبرتنـا بالذهب.. نحـن لم نفعل ذلك من قبل.. أنت السـبب بأن تحمـل كل هذا الذهب بمفردك بالصحراء.. أنت السبب بكل هذا»..

أثـارت تلك الكلـمات اندهاش كريـم للغاية.. فهـو لا يعلم كيف أخطـأ بحق هؤلاء البدو كما يقولـون.. إنه قام بمكافأتهم على ما فعلوه معه كما أخبره مدحت بأن يشـكر من سـاعده ويكافئهم إذا اسـتطاع.. فكيـف يكـون هذا خطـأ؟!.. أراد أن يسـألهم بشـدة عن ذلـك ولكنه لم يسـتطع.. حرارة جسـده ارتفعت بشكل كبير.. حاول أن يحرك يديه من خلف ظهره فلم يسـتطع.. وجد أن الهواء الذي يدخل ويخرج من

جسـده أصبح لا يدخل، وأن الدماء تجمعت برأسه وعيونه تحولت إلى اللـون الأحمر.. تلك الأشـياء التي تحدث بجسـده لم يحاكها من قبل.. شـعور المـوت كان ينتابـه للمـرة الأولى بحياتـه.. أخذ يحـاول تحريك جسـده ليخلص نفسـه مـن أيديهم فلم يسـتطع.. ظل يحاول باسـتماتة شـديدة، ونجـح بالفعـل في تخليـص يـده مـن البـدوي الـذي خلفه، وأمسـك بسـاعدي البـدوي الـذي يعتـصر رقبتـه، ولكن مـع دخول البـدوي الثالث في الصراع ومسـاعدته زملائه بالإحاطة بجسـد كريم لم يسـتطع الخـلاص من براثن الموت.. وفي تلـك اللحظة مات كريم.. هذا بالطبع ما سـيحدث لأي بشري، ولكن كريم كان مختلفًا.. جسده المحاكي للبشر توقف عن العمل بحالة الموت كما يحدث طبيعيًّا، ولكن مـع كريـم شـعور الاضطـراب هـو الـذي كان مسـيطرًا.. كان يحاول تحريك الجسـد فلـم يسـتطع.. أخذت العقـول الجمعيـة التي صنعت جسـد كريـم تضطـرب فيـما بينها.. مـاذا يفعلـون؟ ومـاذا يصنعون؟ الجسـد لا يسـتجيب لهم أبدًا.. وظلوا على ذلك الوضـع لفترة طويلة، وفي النهاية اتجه تفكير العقل الجمعي لهم بمحاكاة الجسد مرة أخرى.. مـرت عدة دقائق: مـا يقارب 14 دقيقة تقريبًـا وأصبح كريم يقف على قدميه مـرة أخرى.. عقله الجمعي لم يفكر بشيء نهائيًّا بعد تلك الفترة، ولم يصـل إلا لنتيجـة واحدة.. أنه مات.. لقد قتـل على يد مضيفيه منذ قليـل ولكنه لا يدري لمـاذا.. لماذا.. تلك الكلمـة دارت بعقولهم جميعًا وظلـوا يبحثون عن الإجابة التي تمكث مع البـدو فقط.. هؤلاء البدو الذيـن اختفـوا مـن على وجـه البسـيطة.. لم يرهـم بجـواره أو حوله، والسـيارة أيضًا لم يرها.. لم يعلم أين اختفوا وإلى أين، ولكنه كان يعلم

شـيئًا واحدًا فقط أنه لم يحصل على إجابة لماذا فعلوا معه هكذا.. ويجب أن يعلم إجابة هذا السـؤال.. وهنا لمح آثار السـيارة على الرمال.. نظر إلى الآثار سريعًا وهو كله إصرار وعزيمة على معرفة إجابة سؤاله.. أما على الجهة الأخرى بتلك اللحظة فكان البدو الثلاثة على متن السـيارة وهـم يولون الأدبـار.. وأحدهم يحمل سـبيكة الذهـب بشراهة كبيرة والآخر بجواره يقود بسرعة جنونية والثالث ينظر إلى يديه المرتعشـتين أمامه ويحاول أن يمنع تلك الارتعاشات بيده الأخرى، ولكن دون أي فائدة.. حاول أن يخرج خوفه الشديد مما حدث عن طريق التنفيس عن غضبه وهو يصرخ بصديقه الذي يحمل السبيكة: «لماذا لم تقم بدفنه مثلما قلت انك ستفعل؟ ألن يجعلنا هذا في خطر إذا وجده شخص ما؟»..

أجابه صديقه بهدوء شـديد وبابتسامة الظفر على وجهه: «هل أنت أحمق؟! لن تترك الذئاب ودواب الصحراء شيئًا من جسده، وإذا تبقى شيء من جسـده بعد ذلك فسـوف ينطمـر تحت رمال الصحـراء التي تطمـر أي شيء أسـفلها، ومنها نحـن.. وهذه فرصتنـا التي لاحت لنا لكـي ننفض رمال الصحراء من فوق رءوسـنا ونعيش حياتنا كما يحلو لنا.. بتلك السـبيكة التي نحملها بين أيدينا سـوف تتغـير حياتنا نهائيًّا من الآن»..

أخذ البدوي الذي يقود السـيارة يبتلع ريقه وهو يقسِّـم نظراته بين السـبيكة بيـد صديقه وبين الطريـق أمامه، وتحدث إليـه بقلق: «ولكن ألم يكـن هناك حـل إلا قتل هذا الأجنبي؟ نحن لم نقتـل من قبل أبدًا..

وأيضًا أخشى أن يفتعل أصدقاؤه أو أهله جلبة ويحضروا الشرطة إلى هنا ويعثروا علينا»..

أجابه صديقه وهو يمسح السبيكة بيده: «أيها الأحمق.. كيف سيعثرون علينا.. لم يره أحد معنا.. ولن يجد أحد مكانه.. فكيف سيتوصلون لنا؟!».

«امممم.. لا أعلم.. أنا أشعر بالقلق.. ألم تكن هناك طريقة أخرى لكي نحصل عليها بدلًا من قتله؟».

نظر له صديقه مستنكرًا: «الآن.. تتحدث عن طريقة أخرى بعد أن مات.. حسنًا.. إذا كان الأمر يؤرقك هكذا فدع لنا السبيكة ونحن فقط من سنتحمل أوزارها».

صرخ به البدوي خائفًا: «لا بالطبع.. أنا معكم.. أنا معكم.. سوف نقتسمها جميعًا بالتساوي».

«فلتصمت إذًا ولتقُد السيارة جيدًا حتى نصل إلى البلدة.. وحذارِ أن ينطق أحد منكم بما فعلنا أو بما نحمل.. هل فهمتم؟»..

أومأ الجميع له برءوسهم متفهمين.. وقام البدوي بنزع غطاء رأسه ووضع سبيكة الذهب بداخله.. وظل صديقه يقود السيارة بسرعة والبدوي الثالث أخذ ينظر إلى ضوء النهار الذي ظل يتسلل إليهم لحظة بعد لحظة، وظل يقبض على يديه المرتعشتين يحاول نسيان ملمس أصابع يده على رقبة الأجنبي الذي صاحبهم منذ قليل.. أثناء تلك اللحظة شعر بوجود شيء خلفه فنظر جهته مسرعًا ليشاهد مشهدًا

مستحيلًا يحدث أمامه.. الأجنبي الذي قتله منذ قليل وآثار ارتعاش يديه وآلام مفاصل أصابعه التي كانت تطبق على عنقه يركض أمامه بسرعة شديدة والرمال تصنع غبارًا كبيرًا خلفه.. أخذ يمسح عينيه للحظات وهو غير مصدق، ويعتقد أنه يهلوس بالتأكيد.. ولكن الغبار لم يختفِ والأجنبي الذي قتله لم يختفِ بل اقترب منهم أكثر فأكثر.. أخذ ينظر إلى كريم الذي يركض خلف السيارة مصدومًا مشدوهًا.. ثم أخذ يربت على كتف صديقه الذي كان يتحسس سبيكة الذهب بسرور شديد فنظر إليه غاضبًا: «ماذا تريد؟».. فأشار إليه صديقه جهة كريم.. فنظر جهته مسرعًا وصعق بشدة عند مشاهدة كريم: «اللعنة! ماهذا؟!».. نظر البدوي الذي يقود السيارة بالمرآة فشاهد كريم وهو يعدو تجاههم فصرخ خوفًا: «يا ألله! يا ألله! إنه هو.. إنه هو».. وكاد يختل مقود السيارة من تحت يده ولكنه تحكم به سريعًا.. صرخ البدو خائفين مرتاعين من مشهد كريم وهو يركض بقوة شديدة وبسرعة رهيبة جعلته يلحق سيارة دفع رباعي بعجلاتها الأربع المؤهلة للسير فوق الرمال وهو يلحقهم بساقيه العاديتين.. كان المشهد مخيفًا لهم بالتأكيد.. ملاحقتهم من قبل شخص قتلوه منذ قليل بالصحراء ويركض لاحقًا بسيارتهم.. وزادهم خوفًا أكثر وأكثر عندما صرخ بهم بصوت جهوري: «توقفوا.. توقفوا.. أخبروني لماذا.. أخبروني لماذا»..

صوته القوي ظل يدوي بآذانهم كالرعد وهو يأمرهم بأن يتوقفوا.. أخذ البدو يحوقلون ويصرخون ويقرءون آيات من القرآن ويطلبون منه أن يسامحهم.. كان السائق يضغط بقدميه على الوقود كالمجنون

ليبتعـد قليلًا عـن ملاحقة كريم الذي ظل يـصرخ عليهم وهو يقترب والدماء تضخ من قلبه الذي كاد ينفجر: «لماذا؟ أخبرني لماذا.. توقف.. أخبرني لماذا..».

أخـذ الشـابان يصرخـان بالسـائق: «أسرع.. أسرع بالسـيارة إنـه شـيطان.. سيلحقنا.. إنه شـيطان».. وانطلقت السيارة تمزق بإطاراتها الصحـراء وتقفز إلى الأمام تحاول الابتعـاد براكبيها عن عاصفة الغبار التـي تلحقهم، ولكن هيهات! فلقد كان كريـم يركض تقريبًا بالقرب منهم وكان كلما حاول أن يمسـك السـيارة بيده يجد جسـده سـيتمزق فيتراجع قليلًا ثم يطاردهم مرة أخرى وهم ينكمشون بداخل السيارة يقـرءون آيـات القـرآن ويتمنـون أن يحـترق أو أن يختفي مـن أمامهم، ولكن هذا لم يحدث.. وفي النهاية أمسك كريم بأطراف السيارة وتعلق بهـا.. فقام البدوي بوضع السـبيكة على المقعد بـدلًا منه وأخذ يقترب مـن كريم الـذي تعلق بيديـه بالسـيارة وقدماه وجزؤه السـفلي أصبح مسـحولًا فـوق الرمال ولكن هذا لم يمنعه من سـؤالهم وهـم يركلونه بأقدامهم ليسقطوه بعيدًا عنهم: «لماذا؟ لماذا؟ لماذا فعلتم هذا؟ لماذا؟».. فـصرخ عليه أحدهم وهو يركله بوجهه بشـدة لتخـرج الدماء من أنفه وفمـه: «اللعنة عليـك! لقد فعلنا ذلك من أجل الذهـب.. لقد قتلناك من أجل الذهب»..

تلك الإجابة أشـعرت كريم بالدهشـة وهو يحاول التفكير بما قالوه وهم مازالوا يحطمون وجهه بأقدامهم ليبعدوه عن السـيارة.. أمسـك بقدم أحدهم على غرة وتوجه إليهم بسـؤال آخر: «هل فعلتم ذلك من

أجـل الذهب؟ ولكـن لماذا؟ أنـا أعطيتكم هذا الذهـب مكافأة لكم.. أعطيته لكم.. لماذا قتلتموني؟ لماذا؟»..

نظر البدويان إلى بعضهما.. فأخرج الشـاب الذي يحتفظ بالسـبيكة خنجـرًا من ملابسـه وقام بوضعـه بعنف بالجانب الأيـسر لكريم وهو يصرخ عليه: «لقد قتلناك من قبل وسـنقتلك مرة أخرى الآن».. شـعر كريم بشـعور غريـب جهة معدته، وأمسـك جانبه جهة السـكين بيده اليمنـى، فقـام البدوي بـركل يده الأخرى فسـقط كريـم على الأرض مضرجًا بدمائه.. وملابسه أصبحت ممزقه بفعل سحله بالرمال، وسقط بعيـدًا عن السـيارة التي شـقت طريقهـا بداخل الصحـراء لتغيب عن عينيه.. شـعر بجسده لا يحتمله ليجد نفسه لا يستطيع التحكم بجسده مـرة أخرى.. وهنا علم بنفس الشـعور السـابق أنه شـعور الموت لهذا الجسـد.. اسـتغرقت محاكاة الجسـد من جديد عدة دقائق.. وعاد كريم من جديـد يقف وحيدًا بالصحراء لا يعلم مـاذا يفعل وإجابة مضيفيه السـابقين زادته حيرة.. لم يعرف سبب فعلهم هذا.. حل الصباح عليه وهـو يتتبع آثار السـيارة التـي لم يعلم سـبيلًا أبدًا غيرهـا بالصحراء.. كانت تشغل عقله الجمعي فكرة واحدة؛ أنهم يجب أن يعلموا أكثر عن البـشر؛ لأنهم يبدون مختلفـين تمامًا عن مدحـت، وأفعالهم غير منطقية أبـدًا بالنسـبة له، تحـرك كريم مخترقًا الصحـراء الملتهبة وهـو يتتبع آثار السـيارة لعدة سـاعات، وعندما انتصـف النهار وجد شـيئًا أمامه على مرمـى البـصر يخرج دخانًا أسـود فاتجه إليه مسرعًا ليجد سـيارة الدفع الرباعي التي كان يسـتقلها مضيفـوه البدو منذ قليل وكان يطاردها قد

انقلبت فوق صخرة ما وسط الصحراء.. ظل كريم ينظر إلى هذا المشهد متعجبًا.. هو لم يرَ سيارة منقلبة من قبل.. أخذ يتفحصها بعناية ويراقب النيران وهي مشتعلة بجزء منها، والدخان الأسود يعلن عن وجوده وحيدًا وسط الصحراء.. شاهد خلف مقود السيارة السائق رقبته محطمة أسفل منه وجسده معلق بمقعد السيارة، وعلى مسافة قريبة من السيارة وجد آثارًا لشيء يزحف بعيدًا عن السيارة، وبعض الدماء على الرمال.. لاحق كريم الآثار لعدة أمتار ليجد بعض الذئاب تقف فوق جسد أحد البدو الذي كان يزحف مبتعدًا عن السيارة وتسيل الدماء من قدمه والذئاب تمزق رقبته وأنحاء من جسده وتلتهمها بسرعة شديدة.. شاهد كريم هذا المشهد مستغربًا أيضًا؛ لأنه أول مرة يشاهد ذئابًا، وكان لا يعلم أنها تأكل البشر.. تراجع سريعًا عندما وجد أحد الذئاب ينظر شزرًا ويزمجر بقوة.. فابتعد إلى جهة السيارة مرة أخرى.. وظل يقف أمامها ينظر إلى الوضع الذي يراه ولا يدري ماذا حدث.. وجد بعض الآثار لشخص يركض مبتعدًا عن السيارة.. فيبدو أن هناك ناجيًا.. ولم يجد سبيكة الذهب.. وسط غرابة هذا المشهد بقلب الصحراء فعل كريم شيئًا آخر جعله أغرب حيث انسلَّ من كريم في تلك اللحظة مئات الأشخاص يحملون نفس ملامح ووجه كريم، ووقفوا أمام كريم الأصلي فتحدث إليهم بكلمات مقتضبة: «اذهبوا إلى أماكن البشر لنجمع معلومات أكثر عنهم ثم سنتقابل جميعًا بعد ذلك ونشارك ما جمعناه لنرى كيف سنتعامل مع البشر بعد هذا.. عندما تصلوا لمدن البشر اختلطوا معهم بأشكال مختلفة على هيئة حيوانات، وعلى هيئة بشر، وعلى هيئة ذهب؛ لأنهم يجمعون الذهب بالقرب

منهـم.. لكم حريـة أن تجمعوا المعلومـات بأي طريقـه تريدون ولكن يجـب ألا يعلم البشر عن وجودنا أبـدًا».. لم يحرك أحد من تلك المئات من النسخ سـأكنًا ثم أعطوا كريم ظهورهم وانطلقوا بالصحراء كأنهم جراد منتشر.. كان مشهدًا لا يغيب عن عيون من رآه أبدًا وسط حطام السـيارة المشـتعلة وبالقرب مـن تجمع للذئـاب التي تفـترس بشريًّا.. كان المئات والمئات من شـخص واحد بنفـس الملابس ويحملون نفس الملامـح ويهيمون جميعًـا بالصحراء المحرقة.. ظل كريـم يراقبهم قليلًا وهم يبتعدون عن ناظريه، ثم انطلق هو الآخر بطريقه دون أن يعلم إلى أين يذهب وإلى أين يسوقه القدر.. بعد مسيرة أيام طويلة وصل كريم إلى أحد الأسواق المكتظة بالبشر، وكان مشهدًا غريبًا عليه تمامًا أن يري الكثـير من البشر بمـكان واحد يبتاعـون ويتحركون بأفعـال مختلفة.. ملابسه الممزقة المغبرة وملامحه الأجنبية كانت تلفت أنظار الجميع إليه بالسوق، وكانوا ينظرون إليه مندهشين، ويبادلهم كريم نظراته المندهشة هـو أيضًـا، ولكن لم يقترب أحد منه أو يحدثه إلا شـيخ كبير اقترب منه وهـو يحمـل قنينة مياه أعطاها لكريم، وأشـار إليـه أن يشرب.. نظر له كريم للحظات ثم حمل القنينة وهو يتفقدها متعجبًا، ثم وجد بداخلها مياهًا.. أشار العجوز إليه أن يضع القنينة على فمه ليشرب، ففعل كريم ذلك ليجد أن المياه الباردة تنعش جسـده من الداخل.. شـعر بالراحة تعم جسـده فابتسـم للعجوز الذي حاول أن يتحدث معه بعدة لغات ظنًّا منه أنه أجنبي، فأجابه كريم بالعربية: «اسمي كريم ماهر».. ابتسم العجوز فرحًا وسـأله بشـغف: «مـاذا؟ أنت تتحـدث العربية.. ويبدو من اسـمك أنك مصري.. هل أنت مصري؟».. أومأ له كريم برأسـه:

«لا.. أريـد أن أذهـب إلى بشر يقرءون الكتـب».. اندهش العجوز من حديث كريم غير المفهـوم: «بشر يقرءون الكتب؟ لماذا تريد أن تذهب إليهـم يا صغـيري؟».. أجابـه كريم سريعًا: «لكي أسـألهم عن أشـياء لا أفهمهـا.. أريد أن أعلم كل شيء عن البشر».. ابتسـم العجوز وهو يظن أن كريم به خلل بعقله فشـعر بالأسـى عليه نظرًا لملامحه الوسيمة فابتسـم له وحدثه سريعًا: «حسـنًا.. حسنًا.. سـوف نفعل هذا.. لكن أخـبرني أين أهلك؟ ومن أيـن أنت؟ أنت أتيت من جهـة الصحراء.. هـل ضللـت الطريق؟».. أجابه كريم: «أنا لسـت من هنـا.. ولا أعلم أين أنا الآن.. أريد أن أذهب إلى البشر الذين يقرءون الكتب.. أرشدني إليهم».. ابتسـم العجوز: «حسنًا.. حسنًا.. سوف أفعل.. ولكن يجب أن نبحـث أولًا عـن أهلك لأنهم قلقـون عليـك.. فلتصحبني الآن.. سـوف أذهب بعد غد إلى مصر لزيارة ابني، وهناك سـوف نبحث عن أهلك.. إنه يسـكن بمدينة جهينة.. هـل تعلم جهينة؟».. نظر له كريم بفضول: «جهينة؟!»..

أجابـه العجوز مبتسـمًا: «نعم جهينة.. صاحبة المثل الشـهير: وعند جهينـة الخبر اليقين.. ألم تقرأ عنهـا؟ ألا تحب الكتب؟».. أجابه كريم: «بلى أحب الكتب.. وهل جهينة هذه بها بشر يقرءون الكتب؟»..

ضحـك العجوز سـاخرًا: «بالطبع بهـا الكثير والكثير مـن القراء، حتى الأطفال هناك يقرءون»..

ابتسـم كريم فرحًا: «حسـنًا.. فلتأخذني إلى جهينة تلـك.. أريد أن أمكث هناك»..

ابتسم العجوز وأشار إليه بيده أن يتبعه: «حسنًا.. هيا بنا.. اتبعني.. سوف تجد ما يسرك بجهينة.. أنا أكون سعيدًا عندما أمكث مع عائلة ابني هناك.. فكما أخبرتك: عند جهينة الخبر اليقين..

بالطبع كان العقل الجمعي للمادة المضادة التي تمثلت بكريم بعد ذلك له إمكانيات خارقة بالنسبة للبشر، ولكن السؤال هنا: كيف استطاعت المادة المضادة أن تفعل ذلك؟ وهذا يقودنا إلى سؤال آخر:

ما الذي يجعل البشر بشرًا

إجابة هذا السؤال تتلخص بشيء واحد وهو.. الوعي.. الوعي الذي يجعل البشر بشرًا ..الوعي الذي يجعلنا نحيط بهذا العالم ونتلمسه.. الوعي الذي لا يجعلك مثل الحشرات تذهب للكهرباء والنيران لتحترق بإرادتك.. الوعي هو الذي لا يجعلك مثل الحيوانات تركض وتأكل وتتزوج فقط.. الوعي هو الذي يفرقنا عن الجماد والحجر والشجر.. هذا هو الوعي الذي يترجم لك العالم من حولك عن طريق شفرة اللمس وشفرة التذوق وشفرة الشم وباقي الحواس لدينا.. الوعي هو ما يجعلنا نحن أنا وأنت وهو وهي.. الوعي هو البشر.. نعلم جميعًا أن لدينا وعيًا، ولكن معظمنا لا يدري كيف يعمل.. وهذا ما سنطرحه بالسطور القليلة القادمة .. الوعي هو الأداة التي تمكننا من إدراك الواقع حولنا وعالمنا الذي نعيشه، وبالطبع الوعي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقل.. هذا العقل البشري الذي يزن قرابة الكيلو ونصف جرام، ويتكون من أكثر من مليار خلية عصبية هو أكثر الأشياء تعقيدًا في العالم، وهو أفضل من أفضل كمبيوتر

تمـت أو سـتتم صناعته في يـوم من الأيـام، وعلى الرغم مـن مدى دقة وصعوبـة وعظمة العقـل البشري، إلا أنه بالحقيقة ليـس له قيمة تذكر بـدون وجود الوعي.. ولنعلم ما مـدى أهمية هذا الوعي وكيف يعمل ننظـر نظرة سريعة إلى ما يحيطك الآن بالعالم وأنت تقرأ هذه الكلمات، إذا كنـت بغرفة ما سـوف تجـد أنه يحيط بك بعض قطـع الأثاث وأنت تجلس بمكان ما على مقعد تحمل الكتاب بأناملك وتقرأه، أما إذا كنت بالخارج فسوف تسـتمع إلى أصوات الضوضاء التي تسببها السيارات وحركـة المارة بالشـارع، وكل ذلـك الزحام الذي يحاوطـك.. هذا هو العـالم الذي تعيش به الآن، ولكني سـوف أفاجئك بعكس هذا فلتقرأ بتمعـن، وإذا كنـت منشـغلًا بأي شيء آخـر فاتركه، ولتعـرني تركيزك الكامل بنسـة 1000٪..؛ فإن الكلمات القادمة سـتكون صعبة وصادمة أيضًـا عـلى الرغم مـن أنها حقيقية تمامًـا! ألا وهي أن جميع ما تشـاهده وتشـعره بالعالم من حولك الآن ليس حقيقيًّا.. هو وهْم وغير موجود على هذا الشـكل نهائيًّا..العالم ما هو إلا وهـم كبير وغير موجود، وأن جميع ما نراه حولنا ونلمسـه بالكون حولنا هو نتاج من رأسنا وعقلنا.. بالعالم الحقيقي ليس هناك زمان أو مكان.. لا يوجد ما يسـمى بالطعم واللون والرائحة ولا صوت ولا ضوء ولا غيره.. كل ما اعتقدت أنك تـراه بالحقيقـة حولك من منـازل وبيوت وطـرق ومواصلات وحجر وشـجر ليس هكـذا بالحقيقة، وأن مـا تراه هذا كله من داخل رأسـك وليس حقيقة ما يحدث فعلًا.

أنـا أعلم الآن أنك تسـبني أنا والعائلة الكريمـة بأكملها.. أنا أعلم ذلـك بالطبـع، وألتمـس لـك كل العـذر وأنت تنعـت ما تقـرأه الآن بأنـه هـراء وترهات فقـط لاغير.. أنا كنـت أفعل ذلـك عندما علمت بهـذا الأمر لأول مـرة، ولكن بعـد أن علمت وبحثت جيـدًا عن تلك الحقائق المجردة.

أصبح الأمر أكثر منطقية وعقلانية بالنسبة لي.. نحن الآن لن نطلق انطباعـات مسـبقة لدينـا، كل مـا سـنفعله سـوف نحاول معًا بشـكل مبسـط معرفـة طريقة عمل الكـون حولنا، وما علاقـة الوعي بذلك.. أولًا لكـي نتطـرق للأمر مـن البداية سـوف نتعرف على ما هو شـكل الكـون.. الكـون الذي نعيش بـه الآن أجمع العلماء جميعهـم أنه مكون مـن طاقة.. وتلـك الطاقة على هيئة موجات بـترددات مختلفة.. أي أن الكـون كله هو موجـات فقط تسـبح بالفراغ، موجـات مثل موجات الراديـو والميكرويف وغيرها، وهذا على سـبيل المثـال وليس الحصر.. مهمة العقل تتمثل أنها تسـتقبل تلك الموجـات جميعها من حولنا، فهو كجهاز الاستقبال، وهو المختص بالجزء المادي، أي استقبالها وتحويلها إلى شـكل مادي أو ما يطلق عليه عند العامة باللفظ الشـائع هاردوير، ومن ثم يأتي هنا دور الوعي الذي يقوم بتحويل تلك الموجات إلى مادة أو لغـة يفهمها العقل، ويجعلها تعمل بسلاسـة، والتـي من الممكن أن نطلق عليه أيضًا لفظ سوفت وير.. وعند دمج السوفت وير والهاردوير أي الوعـي والعقـل معًا يصبـح البشر أداة اسـتقبال لتلـك الموجات، ونرى العالم الذي حولنا ونتلمسه ونعيش بواقعنا، مثل ما تفعل أجهزة

استقبال البث الفضائي ببيوتنا الآن.. أيضًا نستقبل تلك الموجات التي تحيطنا وتتحول إلى أشـياء ملموسـة ومسـموعة ومرئية وبشكل ثلاثي الأبعـاد، أو مـا نطلق عليه: عالمنا أو واقعنـا.. ولولا وجود هذا الوعي الـذي يترجم تلـك الموجات إلى الدماغ ما كنا رأينـا العالم الذي يحيطنا هكذا أبدًا.. هذا هو الوعي، ووظيفته بطريقة مبسطة للغاية لم ولن ترى أبسط من ما قلته لك الآن، وعن تجربة مارستها لسنوات طويلة. حان الوقـت لنغوص بشـكل أكثر بداخل عقلنا، ووعينا، وبطريقة مبسـطة أيضًـا، حتـى يفهمها الجميـع.. الآن وبعد أن علمنـا وظفية الوعي مع الدماغ، ننتقل إلى كيف نرى السحاب غازيًّا على هذا الشكل والأرض عـلى هيئة صلبة هكذا والميـاه على هيئتها السـائلة.. معظمنا يرى العالم عـلى هذا الشـكل؛ لأن الله خلق عقلنا وبداخله شيء يسـمى النموذج الداخـلي، أو ما يطلـق عليه علميًّا المولد الداخلي للواقع.. أي أن دماغ الانسـان يكون مجهزًا مسـبقًا بشكل مهيأ للعالم الذي سيراه بعد تكوين الوعـي أو بشـكل أبسـط عندما تشـتري هاتفـك النقال وعليـه برمجة مسـبقة تسـتطيع تحديث هـذه البرمجـة دائمًا، ولكـن الهاتف لـن يعمل بـدون تلـك البرمجة.. أيضًـا دمـاغ البشر يكـون مجهزًا ببرمجـة بداخله تـرى المـاء على هيئته السـائلة والأرض بكتلتها الصلبـة والهواء بحالته الغازيـة.. وعندما يصبح البشر أطفالًا فإن تكوين الوعي لديهم يكون بطيئًـا قليلًا، ثم يتسـارع أكثر وأكثـر مع مرور الأيـام، ويصبح الوعي قـادرًا على مطابقة ما يلتقطه من تـرددات موجية مع النموذج الداخلي للواقع بداخل الدماغ، وبهذا ينتج شـكل العـالم الذي نعيش به الآن.. ولهـذا سـنلاحظ شـيئًا نقع به دائـمًا بـدون أن نعلم، وهو حالة تسـمى

الباريدوليا.. وهي بشكل مبسط أيضًا كما اعتدنا أن نفعل.. قيام العقل بتفسير بعض الأشكال غير المنتظمة على أنها أشكال معروفة، فمثلاً قد يحدث وتنظر للقمر وتظن أنه على هيئة وجه يبتسم، أو أن تنظر لبقعة زيتية وتظن أنها مشكلة على هيئة ديناصور أو سمكة دولفين، أو أن تنظر لتجمعات السحب وتراها على أنها مشكلة على هيئة حصان أو شخصية معروفة أو رمز ديني.. الذي يحدث هنا بكل بساطة أن الوعي يذهب سريعًا للدماغ، ويبحث عن أقرب نموذج داخلي لهذا الشيء الغامض الذي لا يعرفه، ويقارنه بهذا النموذج الداخلي، فترى مثلًا كل شخص له شارب صغير أسفل أنفه أنه يذكرك بهتلر أو أي شيء دائري، فتتذكر شكل الكرة أو عندما أخبرك ألا تتخيل شكل الفيل.. ماذا يحدث تتخيل شكل الفيل في الحال؛ لأنه عندما طابق وعيك الكلمة بالنموذج الداخلي للعقل ظهرت له صورة الفيل بالحال.

ولكن على الرغم من أهمية الوعي بحياتنا، ولكنه ينقل لنا العالم بشكل مبسط للغاية؛ لأن وعي الانسان يترجم فقط الترددات الموجية التي بين ترددات 375 و 775 جزءًا من المليار من المتر الواحد.. أي أننا لا نرى أي شيء أقل من تلك الترددات أو أكثر.. فمثلًا البشر لا يستطيعون التقاط الأشعة تحت الحمراء أو الأشعة فوق البنفسجة على الرغم من أننا أثبتنا وجودهما الآن.. تخيل العالم إذا كان يستطيع الانسان أن يلتقط تلك الترددات بالتأكيد سيكون الكون مختلفًا تمامًا عما نعيشه الآن.. ولتأكيد ضآلة الوعي لدينا سوف نذكر معلومة سريعة عن الكون؛ فالكون يتكون من المادة الباريونية، وهي مادة

تشبه المادة المتكونة من البروتونات والنيترونات والإلكترونات التي تميز الكون بجميع الأشياء التي بداخله مثل المجرات والكواكب والنجوم النيترونية والثقوب السوداء والكويكبات والمذنبات، وكل تلك الأشياء لا تمثل إلا 4 ٪ فقط من الكون.. أي أن جميع ما نشاهده وندركه بوعينا البشري لا يمثل 4٪ من الكون.. فلك أن تتخيل كم ضآلة وضيق وعينا.. هذا الوعي البشري الذي نفتخر به وبأنه أفضل وعي لدى جميع المخلوقات، وهذا بالطبع تفسير خاطئ أيضًا؛ لأن الوعي البشري يختلف تمامًا عن وعي فراشة مثلًا، تلك الفراشة التي يكون عمرها من أسبوع إلى أسبوعين تقريبًا بالوعي البشري، ولكن من الممكن أن تكون تلك الفراشة تعيش حياة كاملة تمتد إلى المئات من السنوات من مفهوم الوعي الخاص بها، وأن ما نراه تافهًا وغير مهم من وجهة نظر وعينا قد يكون شيئًا مهمًّا وعظيمًا لوجود المخلوقات الأخرى من جهة وعيهم.. هذه كانت صورة سريعة ملخصة لمحاولة فهم كيف نرى العالم وما يحيط بوعينا.. نعود مرة أخرى كيف استطاع ك.م هذا الكيان المجهول.. هذا العقل الجمعي الذي لديه وعي مختلف تمامًا عن وعي البشر.. كيف استطاع أن يصنع كل ذلك.. ان الأمر للأسف سهل للغاية؛ فالوعي البشري من السهل التلاعب به، وحينما يترجم وعيك أي شيء إلى العقل فإن العقل سيحوله بالحال لشيء تصدقه وتراه وتتلمسه بيديك.. أبسط مثال على ذلك.. الكلمات.. تلك الأشياء المكونة من عدة حروف مبعثرة، عندما نجمعها مع بعض بوعي الانسان تفعل الأفاعيل.. فالكلمات هي التي تكون الفكرة.. وهي التي تكون الكذبة.. هي التي تكون الحالة العقلية للجميع؛ فاني

ببضع كلمات بسيطة أستطيع أن أجعلك تضحك.. أن أجعلك تبكي.. أجعلك ترقص.. أجعلك تقتل.. أجعلك تفعل أشياء لا تتخيلها أبدًا.. ولنلقِ مثالًا على ذلك..

موت طفل رضيع.. هل تأثرت.. لا.. لم تتأثر قليلًا.. ولكن فلنقل: انك وجدت طفلًا رضيعًا أسفل منزلكم قد تم نزع بعض أعضائه وجسده مفرغ وضلوعه محطمة ومفتوحة وملقى بكتلة مشتعلة من النيران والدماء حوله بكل مكان، وأنت كنت واقفًا تشاهد كل ذلك..

هنا هل تألمت.. هل شعرت بالقشعريرة تدب بجسدك.. هل هناك فرق بحديثي.. لا.. بالنهاية أخبرتك أن طفلًا رضيعًا قد مات.. ولكن الفرق أتى من مدى تقبلك أنت لحديثي وتحويل وعيك إلى صورة بذهنك حركت تلك المشاعر والآلام بجسدك.. فالكلمات سواء كانت فكرة أو كذبة أو أغنية هي بالأصل مجرد كلمات بلهاء جوفاء ليس لها قوة.. إلا عندما تتوارى بعقل معتنقيها ومصدقيها من هنا تكتسب القوة من مدى قابلية تقبلها وتصديقها من البشر.. هكذا أيضًا كان يفعل الكيان المجهول (ك.م) أو كريم ماهر، فكان يستمد قوة من عقول من حوله يصدقون ما يصنعه، ويستقبلونه بوعيهم، فيصبح بالنسبة لهم واقعًا.. ان ك. م ليس له كيان مادي، ولكنه كان يستطيع التأثير على وعي البشر، فيتمثل على هيئة البشرية؛ فالبشر ليس لهم القدرة على التفرقة بين ما هو حقيقي أو غير حقيقي إلا عن طريق الوعي.. فنحن لا نعلم أن أحلامنا غير حقيقة إلا عندما يعلمنا وعينا أننا استيقظنا، وأن ما كنت تعيشه منذ قليل هو مجرد حلم غير حقيقي،

وأن هذا الآن هو الواقع الحقيقي.. فكيف ستعلم أن أي شيء آخر غير حقيقي إذا كان وعيك لا يعلم ذلك؟

فما الدنيا إلا متسع عقلك.. وما العالم إلا ما تصنعه أنت

بهذه الأثناء كان يتابع سراج ورفاقه رحلة كريم من داخل الكهف إلى وسط الصحراء وهو يتجه بالقرب من إحدى المدن التي كانت تدب بها الحياة كخلية النحل النشطة، وبصحبة الرجل العجوز، ولكن شيء غريب حدث هنا.. حيث نظر كريم خلفه فجأة، وظل ينظر إلى السماء بتمعن للحظات، ثم ابتسم وتحدث بصوت عالٍ «ألم تتعلموا أن التلصص على حياة الأشخاص شيء سيئ؟! أنا أتوقع هذا من شخص مثل رامي.. ولكن أنت يا سيد سراج.. أنت رجل القانون!».

هنا فزع الجميع، وتفلت أيديهم من بعضهم، وسقطت قطعة الحجر الأبيض على الأرض.. ارتاع رامي وهو يتحدث إليهم بخوف «ما هذا.. كيف علم أننا نشاهد ذكرياته.. ماذا يحدث بحق الجحيم».. أخذ عصام يداعب رأسه ويتحدث إليهم بقلق: «لا أعلم.. فيبدو أنه قد استطاع أن يخلط ذكرياته بحاضره الآن.. أنا لا أعلم.. أحتاج إلى وقت أكثر لأستطيع تفسير ذلك!».

أجابتهم أميرة بثقة: «إنه علم أننا نحاول مشاطرة ذكرياته عن طريق هذا الصخرة البيضاء.. ولهذا استطاع النفاذ إلينا عن طريق الصخرة ليخيفنا بذلك..».

أمسـك رامي بالحجر الأبيض سريعًـا وحدثهم «هذا لا يهم الآن.. لأننـا علمنـا ماهية كريم هذا أخـيرًا.. ولن نحتاج الولـوج إلى ذكرياته مرة أخرى..».

عصام متنهدًا «نعم لن نسـتطيع أن نصـل لذكرياته مرة أخرى لأنه لديـه القدرة على الوصول إلينا عن طريق الحجر الأبيض؛ إذ يسـتطيع أن يحدد مكاننا الآن عن طريق ذلك الحجر؛ يجب أن نتخلص منه».

سراج معترضًا: «نتخلص من الحجر كيف؟ مازلنا نحتاجه.. يجب أن نعلم كيف أتى إلى جهينة، وكيف اسـتطاع أن يخفي نفسـه وسطها، ولمـاذا ظهـر؟ وأين ذهب زمـلاؤه؟ وكيف أصبح يسـتطيع أن يتفاعل مثل البشر تمامًا.. كل هذه الأشياء تحتاج إلى إجابة..».

أجابـه رامي «ألم ترى بنفسـك كيف أنه اسـتطاع أن يتعلـم القراءة بالكهـف مـن دون أن يخبره مدحـت فـراج.. ان لـه قـدرات خارقـة يسـتطيع فعـل أي شيء. تحكمه بمدينة جهينة شيء لايذكر لما يسـتطيع أن يفعله..».

سراج أمسـك عصـام مـن يده قلقًـا «الذهـب.. ماذا عـن الذهب لم نعلم كيف استطاع أن يصنعه..ولماذا؟»

أجابه رامي غاضبًا.. «ألم أخبرك أنه يسـتطيع فعل كل شيء.. فلماذا تسأل عن الذهب الآن..؟»

دفعـه سراج بصـدره غاضبًـا.. «لأن الذهـب مسـئولتي.. مـن صنـع كريم أو غـيره لايهم قيادتي بـشيء.. المهم أن يصل إليهم سـليم

بالنهايـة..».. صمت رامي وأشـاح بوجه من أمـام سراج الذي توجه اختطـف الحجـر الأبيـض من يـد رامي، وأشـار إلى أمـيرة «أريدك أن تجعليني أشاهد الذكريات المحيطة بالذهب.. أريد أن أعلم لماذا صنعه وكيف أخرجه من المدينة..؟»

تحدث إليه عصام.. «ولكن بهذه الطريقة سـوف يعلم كريم مكاننا يا سيد سراج..»

سراج بلهجة حازمة.. «لا يهمني.. إذا أتى إلينا فسـيواجه سلاحي النـاري الذي سـيخترق رأسـه.. لا يهـم إذا عـاد للحياة بعـد أن أقتله فسوف أطلق عليه مائة مرة.. هيا أرني ذكرياته حول الذهب..»

ثـم مد يـده التي تحمـل الحجـر الأبيض جهة أمـيرة التي أمسـكته فتوجـه إليهـم عصام سريعًـا.. «أريـد أن أشـاهد تلك الذكريـات أنا أيضًـا..».. وأمسـك الحجـر ووضعـه على كف يـده.. تنهـد رامي ثم توجـه هو الآخـر ولمس الحجـر بيده فأغلقـت أميرة عيونها وتنفسـت بعمـق وتلمسـت الحجـر هي أيضًـا.. وهنـا تدفقت إليهـم الذكريات من جديد وبقوة كصاعقة كهربائية تلمسـت أجسـادهم لحظات شـعر الجميـع بتلك الكهرباء تسري بجسـدهم ثم سرعان ما تدفقت الصور عـلى عقولهـم.. كان أول ما ظهـر لهم كريم يقف خلـف مازن وبيومي ومتولي مسـاعديه وهم يتحركون بأنحـاء جهينة ويتحدثون عن بعض الأمـور الخاصة بالمدينة، وأنهم يجب أن يسـتمروا بالضغط على سرور؛ لكي يرحل من المدينة، فلا يوجد أي شخص مجرم بالمدينة سواه الآن.. وكريم يتابعهم وهم يتحدثون بجدية ويتآمرون على ابن مدينتهم وهو

يهز رأسه سـاخرًا من ما يفعلونه.. كان بعض الصبية يركضون بالمدينة وهـم يصرخـون على بعضهـم «هيـا.. برنامج إلهـام عبيد سـوف يبدأ هيا.. هيا.. «لفت صراخ الشباب انتباه العمدة مازن ومرافقيه فنادى أحدهم الذي بدا عليه الخوف وهو يتقدم جهة ويطأطئ رأسـه فسـأله مـازن بفضول..» ما هذه الجلبة يـا محمد.. لماذا تصنع أنت وأصدقاؤك هذه الضوضاء بالمدينة؟

ابتلـع الشـاب ريقه وهو يجاوبه بخوف «أنا آسـف أيهـا العمدة لن نكررها مرة أخرى..»

ابتسم مازن وأخذ يداعب رأس الشاب ويحدثه بضحك.. «أخبرني هيـا.. لمـاذا أنتـم متحمسـون هكذا.. هـل هناك مبـارة لفريـق الأهلي أم ماذا..؟»

أجابه الشـاب «لا.. إنه برنامج إلهام عبيد سـوف تذيع اليوم حلقة خاصة عن الكائن الأسود الذي ظهر على كوبري عباس منذ عدة أيام.. سوف تستضيف بعض الضيوف والشهود، ولقد نوهت عن البرنامج كثيرًا هذا الأسبوع وسوف تكون حلقة رائعة..».. أخذ بيومي مساعده يضحك على حديث الشاب ساخرًا.. أنتم أيها الشباب تضيعون الكثير من أوقاتكم بأشياء تافهة مثل الرعب والأمور الغامضه تلك..

أجابه الشـاب متحديًا.. «إنها أمور ليسـت تافهـة نحن نحب تلك الأشـياء الغامضـة ثـم ان هـذه أشـهر مقدمـة برامج بمصر هـي التي تقدم هذه الحلقة، وهذا الكائن الأسـود حقيقـي.. لدينا بعض الصور والفيديوهـات له.. هاهـو أحدهم..» ثم أخرج الشـاب هاتفه وأظهر

صـورة غير واضحة لحاصد الأرواح وهو أعـلى الكوبري.. أخذ ينظر الجميع للصورة وهـم يسـخرون من الشاب جميعهم بلا استثناء، ماعدا كريـم الذي علـم بالحال أن هذا الـشيء مصنوع من المـادة المضادة هو أيضًـا.. قام مازن بإعطاء الهاتف للشـاب، وحدثـه بجدية «فلتترك كل هذا الهراء يا محمد، ولتلفت إلى دروسك أنت وأصدقاؤك حتى تصبح عندمـا تكبر شـخصًا ناجحًـا ونافعًـا لمدينتك جهينـة، ولبلدك مصر.. أومأ الشـاب برأسـه لمازن على مضض، وتحرك بجهـة أصدقائه الذين كانـوا يرقبونه من بعيد، وعندما اقترب منهم أخـذا يركضان مبتعدين عـن هـؤلاء العجائـز أعداء الإثـارة دعاة الملـل.. أخذ بيومـي ومتولي يصرخان على بعضهم بأن يستضيف أحدهم مازن عمدة المدينة بمنزله عـلى العشـاء، وأخذا يتناطحـان فيما بينهما على من ينـال هذا الشرف.. قاطعهـم كريـم بالحال «أنـا آسـف لإزعاجكـم جميعًا، ولكني أشـعر بالتعـب، وأريـد أن أذهب إلى المنـزل..».. ضحك بيومي سـاخرًا منه «ماذا.. هل أنت أيضًا سـتذهب لتشـاهد برنامج إلهام عبيد..؟» اكتفى كريم بالابتسـامة فقط، ثم اسـتأذنهم وانصرف، وأخذ مازن يرمقه هو ومرافقـوه حتى ابتعد عنهم قليلًا، ثم قامـا بمتابعة مباراتهم للحصول عـلى شرف تقديـم العشـاء لعمـدة المدينة.. انـصرف كريـم سريعًا إلى منزلـه، وطالـع صفحـات التواصـل الاجتماعي، وشـاهد كل ما تمت مشاركته عن هذا الحادث على تلك المواقع، وحين انتهى من مطالعتها جميعًـا تأكـد نهائيًّا بأن هذا من فعلهم، ولكنه تحـير من هذا الأمر؛ فمن منهـم فعـل ذلك؟ ولماذا الآن شـعر بالحيرة تجتاحه؛ لأنـه كان يجب أن تتم مراقبة الأمور من خلف السـتار لفـترة أطول من ذلك، ولكنه قرر

أن يجاوب عن هذا السؤال بطريقة واحدة أن يتم استدعاء الجميع؛ ليعلموا جميعًا من فعل هذا، ولماذا؟ ويقرروا معًا خطتهم الجديدة التي اختمرت بعقولهم لسنوات طويلة.. وبالفعل أخذ كريم يحضر لأمره، وبمساء اليوم التالي بدأ تحضيراته وحينما تأكد من خلو معظم طرقات المدينة من أي شخص، لمح من على بعد شابين يجلسان تحت أعمدة الانارة ويدخنان.. فابتسم وهو ينظر إليهما بسرور أنهم سيكونان أسرع رسول، ليعلم بوجوده الجميع بداخل جهينة، فقام بالتحرك ببطء جهة إحدى المناطق الهادئة ثم رفع يده إلى أعلى وأغلق قبضته فجأة، فصدر عنها ما يشبه الموجة التي اتجهت بسرعة شديدة بكل أنحاء المدينة، وتم قطع الكهرباء بالحال.. ثم أغلق عينيه للحظات، ومن ثم بدأت تتكون بالحال سفينة خشبية ضخمة عليها بعض اللغات الإسكندافية، وتحمل بداخلها بعض مقاتلي الفايكنج الأشداء، ثم سقطت على الأرض بقوة، مصدرة صوتًا ضخمًا للغاية بأنحاء المدينة.. تفاجأ الفايكنج بوجودهم بجهينة؛ فعلى ما يبدو فانهم كانوا يقاتلون بعضهم بعضًا.. وانتشروا بجوار السفينة يقاتلون بأنحاء جهينة، وتتطايرت الأسهم والصرخات وصوت قروع السيوف يدوي بوسط الظلام، والشابان شاهدا ذلك يحدث أمامهما، وكانا مرتاعين، واختبآ بداخل إحدى البنايات يشاهدان ما يحدث أمامهما.. شعر كريم بسرور شديد وهو يتابع رد فعل الشابين على ما يحدث، ثم أغلق عينيه للحظات، فاختفى مقاتلو الفايكنج، ومعظم سفينة الفايكنج بالحال، ثم ظهر باقي السفينة ومقاتلو الفايكنج بإحدى المناطق الريفية بمقاطعة سيشوان جنوب الصين، وكان هذا الأمر مخيفًا للغاية؛ لما شاهده من

الصينيين.. أما مقدمة سفينة الفايكنج فظلت موجودة بجهينة.. ثم اتجه كريم سريعًا إلى أحد ميادين جهينة، وتأكد من عدم وجود أي شخص بجواره، ثم أغلق عينه، وهنا أخذت تخرج منه العديد من الأشياء المضيئة بداخل جسده، لتكون كتلة ذهب ضخمة، ثم توقف كريم فجأة، ونظر خلفه منزعجًا، ليجد شخصًا أمامه يرتدي الأسود ينظر إليه، ولم يكن هذا الشخص إلا أميرة التي كانت تقف خلفه تشاهد ما يفعل وهي مرتاعة وتمسك بيديها أحد الأسهم التي كانت متناثرة بالمدينة.. شعر كريم بالصدمة من وجودها واندهش بشدة من عدم ملاحظتها وهي بجواره.. فتحدث إليها سريعًا.. «أنتِ.. ماذا تفعلين هنا..؟!»..

هنا تراجعت أميرة للخلف عدة خطوات، ثم ركضت بسرعة مبتعدة عنه.. فركض كريم خلفها، وهنا عادت الإضاءة بالمدينة من جديد، وتصاعدت الصيحات بالطرقات، وسادها الصخب..هنا توقف كريم عن ملاحقة أميرة وأخذ ينظر إلى كتلة الذهب خلفه للحظات، ثم ابتعد مسرعًا عن جهة القادمين بحثًا عن الجلبة التي حدثت بالمدينة.. أخذت تتدفق صور كثيرة برؤوسهم، ومنها كريم وهو يقف أمام سيارة بالقرب من كتلة الذهب، وتحدث إليهم: «أهلًا بكم..أهلًا بكم بجهينة.. أنا أدعى كريم.. وقد كلفني السيد مازن برعايتكم وتلبية جميع طلباتكم أثناء بقائكم هنا بجهينة..»

اقترب مازن منهم في الحال عندما شاهد كريم وأخذ يقدمه لهم مبتسمًا: «كريم هو نائبي هنا في جيهنة.. وهو شاب دمث الخلق، ومن

عائلـة مرموقة.. لقد كلفتـه بصفة خاصة بتنفيذ طلباتكـم جميعًا، وهو سـوف يأخذكـم إلى منازلكم التي أعددناها لكم؛ لكـي ترتاحوا قليلًا من تعب السفر للتابعوا أعمالكم بهدوء..».

مشهد آخر لكريم بداخل سيارة، وبجواره سراج، ويجلس بالخلف كل من رامي وعصام، ويبستم كريم لرامي وهو ينظر له بمرآة السيارة ويحدثه.. «أهلًا بك يا سـيد رامي».. ورامي ينظر له بريبة «أشـعر بأننا تقابلنا من قبل.. هل تقابلنا من قبل..؟»

فضحـك كريـم.. «ألم أخبركـم أن الكثـير يشـعرون بذلـك؟ أنـا لا أدري لمـاذا، ولكـن الجميـع يشـعر بأنهـم رأوني من قبـل.. يبدو أن وجهي مألوف حقًّا»..

«ولكني متأكد أني رأيتك من قبل»..

«يمكـن.. هـل أتيـت إلى جهينـة سـابقًا.. أو ذهبـت إلى مـكان بالقرب منها؟»..

أومأ رامي برأسـه نافيًا. «لا.. أنا لم أسمع عن جهينة هذه من قبل.. ولم أكن أعلم بوجودها سوى اليوم..لا تشعر بالإهانة من حديثي!»..

ابتسـم له كريم: «لا تقلق..لا توجد أي إهانة.. أنا أعلم بأن جهينة غير مشهورة لأنها تعتبر مدينة منغلقة على نفسها.. فهنا توجد مدارس ومستشـفيات ومتاجر كلها مخصصة لخدمـة أهل المدينة؛ لذا من النادر أن يغادرهـا أحد من أهلها.. وكان سـيظل الوضـع كذلك لولا ظهور هـذه الأشـياء الغريبة سـفن ومحاربون في وسـط المدينـة، وكتلة ذهب

ضخمة ظهرت بيومٍ وليلة.. أشياء تجعل أي مكان مشهورًا.. وبغمضة عين تحولت جهينة من مدينة مجهولة إلى أشـهر مدن مصر كلها..».. ثم رمق رامي بنظرة ساخرة وأكمل طريقه..

مشـهد آخر لكريم يقـف وحيدًا أمام كتلة الذهـب وعصام ومازن وسراج ورامـي، وجميـع أهـل جهينـة سـاقطون عـلى الأرض مغـشي عليهـم.. أخـذ ينظر لهـم كريم للحظات وهم سـاقطون بجـواره على الأرض، وبعض الحيوانات والغربان ملقاة بالأرض أيضًا، وهو يقف وحيدًا وسط السكون المدوي بأنحاء المدينة.. فجأة ظهر من الأفق أحد الغربان السوداء، وهبط على كتف كريم، فنظر له كريم مبتسمًا، وتحدث إليه .. «أهلًا بك.. أهلًا بك..». ثم ظهر له من على عدة أمتار الكثير من الأشخاص من جنسيات مختلفة عددهم كان يقارب الخمسين شخصًا ظلـوا يقتربون جهته بخطـى ثابتة واثقة، ويتحركون برشـاقة من فوق الأجسـاد المكدسـة المتناثرة لأهل جهينة، ثم وقفـوا حوله جميعًا.. كان المشـهد غريبًا للغاية ما يقارب الخمسـين شخصًا بوسـط مدينة كاملة يبدو عليها أنها قد محيت من الحياة، ولا يصمد أي شيء بها إلا البنايات والأشجار وكريم- وهؤلاء الأشخاص الغامضون كانوا يقفون ببداية الصـف، رجل إفريقي ضخم للغاية ببشرته السـمراء الدأكنة، ينظر له كريم باهتمام، ثم امتدت يد صغيرة ضئيلة تزيح هذا الإفريقي الضخم مـن طريقهـا، ليبتعد في الحـال، وتظهر مـن خلفه فتاة آسـيوية صغيرة الحجم مليحة الوجه ترتدي ملابس واسعة فضفاضة نسائية تعطي لها مشـهدًا أكثر أنوثة عن النسـاء العادية، تقدمت إليه بثقة، ووقفت أمام

كريـم على بعد خطـوات قليلة وهو يداعب ريش الغـراب فوق كتفه، فابتسم لها في الحال وحدثها بحميمية:

يبـدو أنك قـد اخـترتي ماياسـبك.. هذا الشـكل مثـير للغاية لقد جعلتيني أشعر بالانجذاب نحوك.. هل أنت مرتبطة الآن..؟

اجابته الفتاة الآسيوية «أرى أيضًا انك قد اتخذت شكل مختلف عن الشكل الذي تركت به بالكهف.. لم تعد صبي كما كنت.. أنا أحبذ هذا الشكل الناضج أكثر..».. أخذ كريم يحرك يديه جهة جسده وهو يبتسم «انـه يناسـبني بالفعل.. يجعل وجـودي بين البشر أسـهل.. فجميعهم يحكمـون على كل شيء من الوهلة الأولى مـن خلال المظهر.. إذا كنت جميـل فتحت لـك أبواب الدنيا كلهـا.. اما إذا كنت غير ذلك فسـوف تصبح منبوذ.. ولكن يبدو من مظهركأنك قد علمتي ذلك أيضًا..»

ابتسـمت الفتاة «بالطبـع.. أخبرني ماذا حدث مـع مدحت فراج.. هل مات بالكهف أم تم انقاذه..؟»

كريـم بـأسي.. «لقـد مات بالكهـف.. لم أسـتطع مسـاعدة ولكني قـد تأكـدت أن يصـل جسـده إلى أهلـه.. كان يرغـب بذلك بشـدة.. فحققته له..»

«لمـاذا.. نحن نفعل ما نـراه صالح لنا.. وليس مايـراه البشر أفضل لهم فهم لايعلمون ماهو الأفضل لهم..»

تنهد كريم وتابع حديثه «اعلم هذا.. لكن كما ترى أننا وعلى الرغم مـن أننا لنا عقل واحد ولكـن أصبح لنا شـخصيات مختلفة.. يبدو أن

البـشر بالنهاية قد أثروا علينا ولكن على الرغم من ذلك فنحن بالنهاية سنفعل الأفضل دائمًا لاننا لسنا بشرًا.... أخبريني أولًا.. عندما غادرتي الكهف هل واجهتك مصاعب كثيرة هل علم البشر عنكم أي شيء؟»

مسـحت الفتـاة على شـعرها «بالفعل واجهتني بعض المشـاكل مع الشرطـة المصرية ولكن كان هذا بالماضي وانتهـى الأمر بإني ذهبت إلى عدة دول واسـتقريت آخر عشر سـنوات بالصين واتخـذت هذه الهيئة وأصبح إسـمي جينينيج وهـو يعني بالصينية فتاة هادئـة ورائعة.. لقد تفاجـاءت عندمـا شـاهدت سـفينة الفايكنج التـي صنعتهـا موجودة بسيشـوان.. أنـا كنـت أعتقد إننا سـوف نتقابل بعد مائة عـام من الآن ما الذي حدث..؟»

أجابهـا كريـم ملاحقًـا.. «لقـد كنـت أعتقد أنـا أيضًا ذلـك ولكن حـدث أمر هنـا بمصر أخل بكل ذلـك.. لقد كنت أعتقـد أن أحد منا فعـل هذا ولكن يبـدو أن الحجر الأبيض الـذي أعطيته لمدحت وجده شخص ما ويستعمله لأن هذه الأحداث ليست من فعلنا.. وهذا جيد لنـا أيضًـا فانا بعد الذي شـاهدته بهذه المدينة أرى بـأن البشر لن يكون لديهـم 100 عـام أخـرى ليعيشـوها إذا لم نتدخل الآن.. يجـب أن نقوم بشيء ما بحياة هؤلاء البشر وإلا سـوف يدمرون أنفسـهم.. باجتماعنا الآن معا ومع كل هذه الخبرات التي اكتسـبناها لنتشاركها معا..سوف نصبـح لانقهر وسـوف نسـتطيع أن نفعل أي شيء بهذا العـالم.. ولهذا جمعتكـم هنا بجهينة.. هل توافقون على المضي بخطتنا لتغير البشر..»..

نظرًا لجميـع لبعضهم البعض ثـم أومأوا بروؤسـهم لبعضهم البعض

فتحدثـت إليـه جينينيـج «أنت أول مـن كونت وعي مشـابه للبشر منا ولهذا أنت أكثرنا حكمة الآن سـوف نتبع ماتقوله.. ولا تقلق من باقي رفاقنـا لقد تجمعنا جميعًا بخارج تلك المدينة نحن الثمانية والأربعين هم كل مـا أنتشر من البيجسـفنت.. ولا يوجد أي بيجسـفينت آخر غيرنا الابعض البيجسفنت الغير هامين..».. تحدث اليها كريم بجدية.. «إذا من اليوم فصاعدا سوف نتجمع جميعًا بكيان واحد حتى تصبح قدراتنا وذكائنا بشـخص واحد وسوف نقود البشر من الآن ونغيرهم دون أن يشعروا بنا أو بوجودنا..»

أومـأ الجميـع برأسـه واتجـه إلى كتلـة الذهـب وهنا أصبح المشـهد غريبًا للغاية فكل البيجسـفنت رفاق كريم يضعون أيديهم وجسـدهم عـلى كتلة الذهب ثـم يتحول لونهم إلى اللون الذهبـي ويندمجوا تلقائيًا بكتلـة الذهب بمشـهد غريـب للغاية وفعـل الجميع ذلـك وأصبحوا جزء من كتلة الذهب وتبقت فقط جينينيجو تحدثت إليه وهي بطريقها لكتلـه الذهـب.. «ألـن تـأتي أنـت أيضًـا..؟».. أجابهـا كريـم بالحال «سـوف أتبعكم ولكن بعد أن أخرجكم جميعًا من جهينة وتصلون إلى وجهتكـم الجديدة لنبدأ الحياة الجديدة على تلك الأرض سـوف نصنع نظام البروجسـبنتات الذي كنا نحي به..».. نظـرت له جينينيج بنظرة متفحصه ثم تركتـه واندمجت سريعًا بالذهب هي الأخرى.. وهنا نظر كريـم إلى الغـراب الـذي على كتفـه وحدثه «أنـت أيضًـا.. حان وقت مغادرتك لجهينة.. لن أحتاجك هنا بعد الآن..».. نعق الغراب بالحال ثـم فـرد جناحيه واتجه إلى كتلة الذهب ووقـف عليهافتحول إلى اللون

الذهبي وبالحال وتم اندماجه مع كتلة الذهب وحينها وقف كريم بالقرب من كتلة الذهب ووضع إحدى يديه عليه فخرجت منه سريعًا الأشياء المضيئة وظلت تندمج بسرعة بكتلة الذهب بسرعة شديدة ثم سحب كريم يده بسرعة وهو يحدث نفسه «حسنًا يكفي هذا حتى أستطيع أن أخرجكم جميعًا بأمان لقد فقدت الكثير من قوتي ولكني لن احتاجها بعد الآن..» وابتعد قليلًا عن كتلة الذهب التي أخذت تلتلف بسرعة شديدة للغاية وتصدر صوت قوي وضوء شديد ناتج عن اندماج خبراتهم وذكائهم وسنينهم التي عاشوها بين البشر كل تلك الخبرة والمهارات التي اكتسبوها ظلت تندمج وتتشارك بوعيهم وعقلهم مع بعض وأصبح هذا العقل الجمعي له كيان واحد من جديد وعندما أنتهواء من ذلك أصبحت كتلة الذهب الها بريقا أكثر من السابق بكثير.. بريق يكاد يعمي عيون من ينظر اليه.. فاتجه إليه كريم ورفع كتلة الذهب بيده بسهولة شديدة ووضعها بداخل سيارة من سيارة النقل التي كانت تريد نقلها ثم تحرك بها جهة مخارج المدينة التي تكون عليهاضباب قوي يمنع رؤية أي شيء وتوجه بالسيارة إلى خارج المدينة ثم عاد إلى داخلها وأزاح الضباب من محيطة السيارة فظهرت السيارة أمام رجال الشرطة الذين كانوا مندهشين للغاية فمن وجهة نظرهم ظهرت السيارة من العدم فجأة بعد اختفاء الضباب..
عاد كريم إلى المدينة مترجلاوهو ينظر إلى ماحوله من سكان جهينة وهم نائمون على الأرض بكل مكان بالمتاجر والمطاعم والحدائق وشرفات المنازل.. أخذ ينظر لهذا المشهد ويتحدث ساخرًا «اللعنة يا جينينيج ماذا فعلتي بهؤلاء البشر لقد تركتي لي الكثير من العمل..

واتجه إلى بعض أهالي جهينة وأخذ يحركهم من أماكنهم حتى حل الليل وهـو بالقرب من مازن الذي أبعده عن مكان كتلة الذهب وأخذ ينظر إليه وهو يفيق من غشيته وتحدث اليه.. ثم نظر كريم أمامه وتحدث إلى السماء غاضبًا».. ألم أخبركم أن لاتتلصوا على.. لقد علمت مكانكم.. أنـا بالطريق اليكم الآن..«.. هذا الفعل دب الخوف بقلب الجميع مرة أخـرى فابتعـدوا سريعًا عن بعضهم وسـقطت قطعـة الحجر الأبيض مـن يديهم ليجدوا انفسـهم بجهينة مرة أخرى.. شـعر الجميع بالخدر يـدب بأجسـادهم فاسـتلقى سراج عـلى الأرض وهو يلهث بشـدة.. بينما اسـتلقي رامي على ركبتيه ليلتقط أنفاسـه وعصام أخذ يدلك يديه وقدميـه بسرعة وهو يحدثهم..» يجب أن نتحرك من هنا بسرعة الآن.. لقـد علم كريم بمكاننـا..«.. فأجابه رامي غاضبًا «فليأتي..انا سـأمت من الهروب منه يجب أن نواجهه..»

أجابـه عصام حانقًا «نواجهه.. هل أنت أحمق.. ألم ترى مايسـتطيع هذا الشيء فعله.. ألاترى إننا لسنا أندادًا له أبدًا مهما حاولنا..» تحدث سراج سريعًا وهو راقدًا على ظهره «يجب أن نواجه ياعصام.. يجب أن نخـرج من هذه البلـدة اللعينة.. يجب أن نخـبر الجميع عن هذا الشيء وماينتـوي أن يفعله.. وتلك الخطة التي يعدونهـا والله اعلم مامحتواها يجب علينا أن نخبر الجميع بما يحدث بجهينة..»

تحـدث إليـه عصـام بلهجة حـادة «وكيف سنسـتطيع الخـروج من جهينة أيها العبقري أتعتقد أن كريم سـوف يتركنا نفعل هذا بسـهولة.. لايوجد سلاح أو شيء يستطيع أن يهزم هذا الكائن المجهول هذا..»

أجابـه سراج بثقة «بل هنـاك.. تلك الفتاة هناك..».. وأشـار بيديه جهـة أمـيرة التي كانـت تنظر إليهـم وهي مجهـدة..» .. فوقـف رامي بالحال مندهشا.. «ماذا.. أميرة ماذا ستفعل أميرة مع هذا الوغد..»

أجابه سراج «تستطيع فعل الكثير ألم ترى كيف كان خائفًا منها حينما لمسته.. وكيف كان مرتاعًا منها بذكرياته ولم يشعر بوجودها..».. سأله عصـام بالحال «أنا لا أخفيكم سرًا.. أنا أصبحت أشـك بأميرة تلك.. أنـا لا أطمئن لها بعد الآن..».. نظرت إليه أميرة مندهشـة.. وصرخ به رامـي غاضبـا.. «ماذا تقول كيف تشـك بأميرة بعد كل هـذا ومارايته بذكريات كريم.. لاعلاقة بين أميرة وبين كريم أبدًا..»

نظر عصام الأميرة بتحدي.. «ألم ترو بذكريات كريم جميعًا أن أميرة تلك شاهدته وهو يصنع الذهب من قبل.. ولم تخبرنا أبدًا بأنها شاهدت ذلـك..».. شـعر سراج ورامي بوجاهة سـؤال عصام فنظـر إلى أميرة التـي ارتبكت للحظـات وأخذت تتلعثم ثم بـدأت تبكي..«أنا.. أنا.. أنا لم أخفي عنكم أي شـئ.. اقسـم لكم إني لم أخفي عنكم شـئ.. لقد شـاهدت تلك الذكرى معكم الآن.. ولكني لم أتذكر أبدًا إني شاهدت كريـم يفعل هذا الشيء أبدًا.. أقسـم لكم على ذلك لا أعلم كيف ظهر هذا الشيء بذكرياته هو وأنا لا أتذكره..»

تحـدث سراج بثقـة «أعتقـد إنـه كان يتحكـم بذاكرتـك وجعلـك تنسـين هـذا الذي شـاهدتيه مثـل مافعل معنا مـن قبل وجعلنا ننسـى وجـود رامي ولا نتذكره..».. أخذ رامي يشـير إلى سراج فرحًا «نعم..

نعـم هـذا ماحدث لابد أنـه فعل ذلك مـع أميرة أيضًا وجعلها تنسـى إنها شاهدته..»

تحـدث عصـام إلى سراج وهـو يلومه..«أنت ياسـيد سراج.. أنت الـذي تدافع عن أمـيرة الآن.. ألم تكن أنت من يهاجمهـا منذ قليل.. أنا سأجن ما الذي يحدث معك جميعًا..»

أجابه سراج بهدوء.. «اسـتمع إلى ياعصام.. لقد شعرت بذكريات كريم وليس ماشـاهدته فقط.. لقد تلمسـت منه الخوف الشديد عندما شـاهد أميرة.. أنا لا أعلم لماذا هو يخشـاها هكذا.. ولكني أعلم بشيء واحـد فقط إنهـا هي أملنا الوحيـد بمواجهة كريم هـذا.. وهذا الأمل الوحيد لا أنوي أن أفقده أبدًا.. يجب علينا أن نصنع خطة لمواجهة كريم هذا.. وأول شيء بأي خطة هو اختيار المكان وسـلاح المواجهة.. نحن معنا السلاح وهي أميرة ولهذا يجب أن نختار مكان معركتنا ولهذا نحن من سيذهب إلى كريم ولن ننظر أن يأتي هو إلينا»..دق قلب الجميع من فرط التوتر وأعصابهم المشـدودة وأخذوا ينظرون جميعًا إلى أميرة تلك الفتاة الرقيقة التي أصبحت هي أملهم الوحيد لمواجهة كريم..

* * *

(توقع ألا تتوقع)

توجه الرباعي المشكل من ثلاث رجال مفتولي العضلات وفتاة ضئيلة رقيقة تقودهم وهي أملهم الأخير لهزيمة انسان خارق إذا مازال يطلق عليه لقب انسان لم تكن خطتهم بالمعقدة أو الصعبة.. فإنهم سوف يفعلون مثل ما يفعل جميع الرجال من الأزل وهو الاعتماد على المراءة بحل كل مشاكلهم التي تواجههم.. جميع الرجال يفعلون ذلك وبلا استثناء ولكن عقولهم ما تخيل لهم إنهم لايفعلون ذلك.. وإن لم يقتنع أحد من الرجال بهذا الحديث فأنا أذكره بالدعاء إلى والدته الآن.. فشئنا أم أبينا أن الرجال لاتستطيع العيش من دون النساء.. نحن نعتمد عليهم بكل شيء من أول تغير حفاضاتنا إلى اختيار ملابس عملنا ومن الطبيخ والخبيز إلى الاندفاع بيوم الخميس.. هكذا كان دورهم دائمًا القيادة والريادة من خلف الستار وتسوق الرجل بالنهاية مثل الحمار.. ملحوظة للسيدات «سوف أضع إيميلي بنهاية الرواية لمن تريد التواصل لأهداف علمية بحتة..»

ملحوظة للرجال.. «ألايميل ممتلئ لن أستطيع استقبال رسائل أخرى.. أنا أتأسف لك..»

❋ ❋ ❋

ملحوظة أخرى للرجال.. «سامحك الله يا أخي.. وتذكر أن الشتائم تدور.. وتدو ومن ثم تعود إلى صاحبها..»

.. دعنا من المزاح الآن.. فانا بالطبع لا أستطيع المفاضلة بين الرجال والنساء.. فالنساء أفضل بكل شيء بكل تأكيد ولايعني هذا بإني أقول بأن الرجال لاشيء من دون النساء فهذا شيء صحيح بالطبع ولكن على الرغم من أن النساء أفضل من الرجال على كافة المستويات.. ولكن هذا لا ينفي بأن الرجال يحبون النساء بشكل كبير أكثر من حب النساء لبعضهم البعض وهذا أمر مفروغ منه ولانقاش به ومأكد علميًا 100 ٪.. أنا أطرح تلك الكلمات الآن فقط لكي أذكركم بشيء هام للغاية.. «الإيميل مرفق بالصفحة الأخيرة لمن تريد التواصل من الفتيات لمناقشة العمل.. أما أصدقائي الشباب فإني أذكركم بان القباحة لاتنفع.. والشتيمة لاتفيد..»

آثار الحرائق ودخانها المظلم وصراخ النساء البعيد وصراخ الرجال على بعضهم البعض كان السمة الأساسية بكل شارع تخترقه تلك العصبة الصغيرة.. كانوا يعتصرون ألمًا من تلك المشاهدات التي المت بالمدينة الهادئة جهينة ولكنهم كانوا يصبون جام غضبهم على كريم هذا الكائن الغامض الذي كان السبب بكل مايحدث بالمدينة وأنهم الآن سوف يواجهونه المواجهة الأخيرة بمحاولة منهم للخلاص من هذا الكابوس للأبد.. كانوا يتحركون وفق مايحلوا لهم بشوارع المدينة لايوجد طريق أو سبيل معين يهتدوا إليه للوصول لكريم لانهم كانوا يعلمون بأنه سوف يجدهم وبالنهاية وقد كان.. لقد وجدوه بالمكان

الذي شـهد بداية كل مايحدث بجهينة بوسط الميدان الذي كان به كتلة الذهـب الضخمة.. شـاهدوه أمامهم يقف بكل هـدوء ينتظرهم وهو يرتـدي بدلة كاملة بيضـاء اللون أنيقـة للغاية وكرافتة حمـراء مزخرفة تزين عنقه وابتسـامة كبيرة على وجهه تجعل كل من يشـاهده لأول مرة يذوب عشـقًا بمحبـة واحترامه محبـة.. وقف الأربعـة أمامه ولايفرق بينهـم إلا بضع خطوات ظـلا يحدقا ببعـض كثيرًا..الجميع على وجهه الغضب باديًا بينما والخوف يدب بأعماقهم متواريًا وكان يزداد خوفهم عندما ينظر كريم لهم مبتسمًا وهو يحدق بعيونهم كان يكاد يشتم رائحة الخـوف التـي كانت تعبق المكان مـن حولهم.. رفع يـده يحيهم فجأة.. فجفـل الجميـع وتراجعـوا للخلف بضع خطـوات.. فضحـك كريم بشـدة على رد فعلهم وكشف عن كفيه بجانبه.. «لاتخافوا.. لاتخافوا.. أنا لم أفعل أي شيء سئ من قبل.. لماذا تخشوني هكذا..؟»

أجابـه رامـي غاضبًـا.. «هل أنـت أحمـق أم تتصنع الغبـاء.. كيف لم تفعـل أي شيء سـئ.. انظـر إلى المدينة حولك.. انظرمـاذا فعلت بها مـن دمار وخراب وقتـل.. انظر حولك متمعنًا وأخبرني هل التسـبب بهذأفعل سئ أم لا..»

نظر له كريم مندهشًـاوهو يشير إلى المدينة خلفه.. «أنا فعلت هذا.. أنـا فعلت هذا.. أبـدًا.. أنا لم أفعل أي شيء من هذا أبـدًا.. أنا لم أؤذي مخلوقـًا واحدًا منذ قدمت إلى هذا العالم.. أنتـم الذي فعل ذلك.. أهل جهينة من فعلوا ذلك ولسـت أنا.. انهم البشر المتواجدون بتلك المدينة وغيرهـا.. أتخـبرني بأني من تسـبب بذلك.. أنا لا أفعل هـذا.. إنه ضد

طبيعتي.. أنا لم أقم بذلك.. بل أنتم.. أنتم من اتيتم إلى جهينة وجعلتوا أعزة أهلها أذلة.. أنتم من خربتم تلك البلدة.. أنتم من فعلتم ذلك..».. صرخ بهم رامي سريعًا.. «لاتستمعوا له إنه يتلاعب بعقولنا.. لايجب أن نستمع إلى أي كلمة منه.. إنه غير بشري..»..

«غير بشري..».. قالها كريم وهو يتحرك بالقرب منهم فأخذ الجميع يتراجعون.. «غير بشري.. وماذا بذلك.. هل فعلت شيء خاطئ بأني غير بشري.. هل استحق أن اختفي من العالم من أجل ذلك.. هل أي شيء غير بشري لايستحق التواجد بجواركم.. هل تعتقد انكم مميزون.. هل تعتقد انكم مختلفين عن أي شيء آخر بهذا الكون.. سوف أصدمك الآن.. أنتم لا شئ.. أنتم لاشئ.. هل تعتقد إني سعيد بتواجدي هنا معكم بهذا العالم.. أنا لم أرغب بتواجدي هنا من البداية وشعرت بالارتلمئات السنين.. أين أنا.. لماذا أنا موجود بذلك المكان.. إنه لايشبه بأي شكل من الأشكال الكون الذي كنت أحيا به.. لايوجد شيء مشترك بينهم أبدًا.. لا أعلم لماذا غادرت عالمي هكذا بدون سبب ولم أجد أي تفسير إلا قريبًا.. اعتقد بأني قد مت بمفهومك البشري.. ولقد بعثت بالجحيم.. هذا ما أشعر به الآن.. أن أكون مضطر أن أعيش بين البشر هو أقصى درجات الجحيم بكل تأكيد.. لا أعلم كيف أصيغها لكم ولكن بمفهومكم البشري فالتتخيل انك مضطر أن تعيش مع الصرصور.. أنا أعلم بأنكم تتقززون منه للغاية.. ولهذا قد يكون هذا التعبير أقرب إلى ما أريد وصفه قليلًا.. تخيل انك بمكان مغلق لايمكنك الخروج منه وحولك تلك الصراصير

تزحـف بكل مكان وتحاوطك.. يأكلون ويعيشـون بداخل المراحيض وهم يظنون إنهم بأفضل حال.. هذا هو إحساسي الآن..»

أجابـه سراج متحديًا.. «إذا نحن بنظـرك صراصير يجب التخلص منها لكي يصير العالم أفضل..»

أومـأ كريم برأسـه نافيًـا «بالطبـع لا.. أنا لن أحـاول التخلص من الصرصور ولكني سوف اجعله يتفهم إنه يعيش بمرحاض قذر وليس هذا العالم الذ يسـتحق أن يعيش به.. هذا ما سأفعله ولن أتخلص منه.. وهذا بالطبع لأني غير بشري كما أخبرتوني منذ قليل..»

سـأله عصـام بفضول.. «إذا ماذا سـتفعل.. أخـبرني ماهي خطتك التي تعدها أنت وزملائك للبشر قبل أن يندمجوا بكتلة الذهب..؟»..

نظـر له كريم مندهشًـا للحظـات ثم أجابـه «يبدو أنكم شـاهدتوا الكثـير من الأمور المثـيرة..».. ثم نظر إلى أميرة بعيـون حادة فابتلعت أميرة ريقها بالحال وتراجعت خلف رامي وأمسـكت بملابسـه مختبئة خلفـه.. فقام رامـي بنفخ صدره ووقـف أمام أمـيرة كالديك منفوش الريش أمام خصمه.. فابتسـم كريم من فعل رامي.. ثم نظر إلى عصام مـرة أخرى وتحدث اليه.. «يبدوا أنكم شـاهدتوا الكثير بالفعل ولكن ليـس كل شيء لسـوء الحظ.. أخـبرني أيها العالم الجليل.. لمـاذا تريد أن تعلـم بخطتنا..».. ثـم تحرك كريم بجهتهـم بثقة شـديدة وبعيونه لمعة واضحة.. «هل تريد أن تخبر بها البشر.. هل تريد أن تخبرهم بوجودنا.. «ثم ضحـك ضحكة قوية دبت الرعب بقلوبهـم..» هل تظن ياعصام انكـم سـتخرجون مـن جهينة.. هـل تظنون بأني سـوف أسـمح لكم

بالذك..«.. تلك الكلمات جعلت القشعريرة تسري بأبدانهم.. وظلوا يتراجعون للخلف مضطربين وكريم يتابع حديثة وهو يتقدم جهتهم بثقة..» أخبروني أنتم أولا.. ماهي خطتكم.. لاتخبروني انكم اتيتم إلى هنا بدون وضع خطه.. بالتأكيد أنتم بمواجهتي هكذا قد بدأتم بتنفيذ خطتكم مسبقا.. أنتم تريدوني أن أتحدث اليكم باستفاضة والتخلي عن حذري.. ثم بوووووم..«.. ونظر فجأة إلى أميرة» تتقدم فارستكم النبيلة تلك لمفاجئتي مثل المرة السابقة.. أنا لا أعلم ماذا كنتم تتوقعون أن تفعلوا بعد ذلك.. ولكني بالتأكيد لن أسمح لكم بفعل هذا من البداية.. ليس مرة أخرى..».. ثم اتجه مسرعًا جهة أميرة التي ارتبكت عندما شاهدته يتقدم نحوها واختبئت خلف رامي الذي أمسك بملابس كريم الذي ألقاه بسرعة شديدة بعيدًا عنه.. فسقط رامي على الأرض فصرخت أميرة وهي تركض مبتعدة وكريم يلاحقها حاول أن يمنعه عصام وسراج ولكنه دفعهم بعنف شديد بعيدًا عنه فارتطموا بالأرض وهم مندهشون من قوة كريم التي اظهرها لهم منذ لحظات.. صرخت أميرة وهي تحاول الركض من كريم خلفها ولكنه لحقها بالحال.. صرخت بقوة شديدة عندما وقف أمامها.. ركض رامي وسراج وعصام جهتها لينجدوها ولكن حينها كان كريم قج امسكها من يدها ففزعت وصرخت وحاول أن تتملص منه فلم تستطع فدافعت عن نفسها ووضعت يدها الأخرى جهة كريم تحاول أن تلمسه ولكنه أمسك بيدها بسرعة ثم دفعها بقوة شديدة فخلع كتفها الصغير وصرخت متألمة ثم وضع يده على رأسها للحظات فصرخت بشدة وارتفع شعرها إلى أعلى كما يحدث عندما يلامس الشعر الكهرباء

الاستاتيكية وظلت تصرخ وارتفعت عيناها إلى أعلى ولم يظهر منها الا البياض فقط.. هذا المشهد دب الرعب بقلوبهم جميعًا وعجزوا عن الحركة إلا رامي الذي انخلع قلبه من مشاهدة ما يحدث لأميرة وركض جهتها بسرعة شديدة فنظر كريم خلفه ليجد رامي يتقدم نحوه فترك أميرة فارتفع شعرها إلى أعلى بسرعة شديدة ثم وضع يده أمام جسد أميرة فصدر شيء أسود ضخم مثل السحابة حولها وسحبت أميرة بسرعة بداخل تلك السحابة السوداء وابتلعتها وابتلعت معها صراخها.. ثم اختفت السحابة من أمامهم كمن لايوجد لها أثر وهي تصدر دوي شديد.. اقترب رامي مذهولا من كريم وصرخ به وهو يلكمه بوجه بقوة «أين ذهبت بها.. أين أميرة أيها اللعين.. أين ذهبت بها..؟».. نظر له كريم مبتسمًا ويبدو عليه بأنه لم يتأثر بلكماته وأمسك بخناقه ورفعه من الأرض بيد واحدة وحدثه مبتسمًا..«.. لاتقلق.. هي بمكان أفضل الآن..».. وأخذ يضحك بقوة ورامي يختنق ويحاول أن يخلص نفسه من يد كريم الذي ظل يضحك بشدة.. ثم دوي صوت إطلاق نار وسقط كريم بالحال على الأرض وسقط بجواره رامي وهو يحاول أن يتنفس بعمق ويمسك برقبة يفركها غير مصدقا بنجاته ونظر بجواره فوجد عصام يتوجه جهته ليطمئن عليه وسراج يتقدم جهته وهو يتحسس سلاحه الناري بعد أن أطلق على رأس كريم.. تحدث إليه عصام بالحال وهو يمسكه بيده ليساعده على النهوض.. «هل أنت بخير..».. أومأ له رامي برأسه «نعم أنا بخير..».. تحدث إليه سراج بلهجه حازمه «هيا بنا نهرب من هنا الآن قبل أن يعود مجددًا..».. صرخ به بصوت مبحوح.. «لن أتحرك من هنا قبل أن يخبرني أين ذهب

بأمـيرة..».. صرخ عليـه سراج «أيهـا الأحمـق.. لا فائدة مـن الانتظار هنـا.. لـن يخبرنا بشيء حتى لو تكالبنا عليه جميعًـا.. كانت لدينا فرصة واحدة بوجود أميرة ولكنها اختفت الآن.. واذا لم نهرب من هنا سريعًا سوف نختفي نحن أيضًا معها..»

«لـن أتحـرك من هنا قبـل أن أرغمـه أن يبوح لي بمـكان أميرة..».. صرخ عليـه سراج غاضبًـا «سـوف تتسـبب بموتنـا جميعًا أيهـا الوغد العنيد..».. ثم أمسك ملابسه وهو يبحث عن شيء «أين ذهبوا هؤلاء الملاعـين هـم أيضًـا..».. ثم أخرج مـن جيبه الأيمن فرشـة ومعجون الأسـنان وحاول أن يحملهم وهو يمسك بسلاحه الناري وكان يلاقي صعوبة بذلك وظل يصرخ ويسـبهم بيده.. نظـر إليه عصام للحظات ثم تحدث إلى رامي «السيد سراج محق يا رامي يجب علينا أن نهرب من هنـا قبل أن يعـود كريم مرة أخرى.. ثم نضع خطة من جديد لمواجهته واسـتعادة أميرة..».. صرخ عليه رامي غاضبـا..«.. لن اتحرك من هنا قبـل أن يخبرني هذا الوغـد اللعين بمكانها لن أغـير رأي هذا أبدًا..».. هنا صدق عليه صوت شـخص خلفه «بالفعـل.. يجب ألا تتحرك من هنـا حتى تسـهل على الأمـر..».. نظر الجميـع خلفهم فوجـدوا كريم يقف مسرعًا من على الأرض وبعض الدماء تسـيل من جبهته ونصف الرصاصة بارزة من رأسـه ويسـيل منها بعض الدمـاء فأخذ يضع يده على رأسـه يحاول نزع الرصاصـة ونجح بعد لحظات بذلـك ثم القاها بالقـرب من رامـي وسراج وعصام الذي أصابهـم الذهول من سرعة تعافيه فابتسـم وهـو يحدثهم «لاتنظروا إلى هكـذا.. أصبحت أفعالكم

متوقعه للغاية لقد علمت بأنكم ستطلقون الناري على رأسي لهذا قمت بتضخيم ثخانة جمجمـة رأسي خمس مرات عن العادية ولهذا لن تنجح محاولتكم بعد ذلك..».. أخذ يمسـح آثـار الرصاصة بيده فوق جبهتة وهـو ينظـر للأرض «اممم. مـاذا كنا نفعل منذ قليل.. مـاذا كنا نفعل.. اه.. لقـد تذكرت.. لقد كنـا في منتصف محاولة القضاء عليكم.. هيا بنا نكمل من جديد..».. هنا تقدم إليه سراج بسرعة وهو غاضب وأطلق عليـه النيران بصـدره فاخترقت الطلقة صدرة وانطلقـت الدماء تغزو البدلـة البيضاء لتنتشر بكل مـكان وكريم ينظر إليه متألمًا وسراج يحدثه «لقد نسيت أن تضع بابا حديدي على قلبك.. لن تكمل إلا موتك أيها الوغـد..».. نظر لـه كريم متالما والدماء تحيل حلـة البيضاء إلى حمراء.. «لـن اسـتخف.. بكم بعد الآن..».. قالها وسـقط على الأرض جسـدًا هامـدًا.. فـصرخ سراج برامـي غاضبًـا وهـو يلقي بفرشـاة الأسـنان مـن يـده.. «فالتبقـي هنـا لتموت كـما تحب أنا سـوف أذهـب من هنا الآن.. فنـادى عليـه عصـام سريعًـا..» أنتظـر.. أنتظر ياسـيد سراج.. «.. ولم يلتفت إليه سراج ولكنه توقف بسبب شيء آخر.. فأخذ يمسح عينـاه للحظات وهو غير مصدق ثم نظر رامي وعصام إلى ماينظر إليه سراج واعقدت الدهشـة لسـانهم جميعًا.. لقد شـاهدوا مجموعة كبيرة من مقاتلي الفايكنج بسيوفهم ودروعهم وأجسادهم الضخمة ولحاهم وشعرهم المائل للحمرة وهم يطيحون باي شيء يروه بوجهتم لم تسلم واجهـات المحلات أو السـيارات من الدمار بفعـل ضرباتهم القوية.. وظلوا يصرخون صيحات الحرب ويتحدثون بلغة غير مفهومة شـاهد بعضهـم سراج ورفاقـه وقاما باطـلاق بعض السـهام جهتم.. فصرخ

عصـام بهم وهو يركـض.. هيا بنا الآن.. أن كريم جاد في القضاء علينا الآن..».. أخـذ رامـي يركض وخلفـه عصام ولكنهـم لم يجدوا سراج فنظرو خلفهم فشـاهدوا سراج يمسك المعجون بيده ويبحث باستماته عن فرشـة الأسـنان بـالأرض فركـض عليه عصـام وامسـكه من يده وصرخ بـه «هي بنـا نهرب.. ماذا تفعل أيها الأحمـق..».. نظر له سراج بنظـرات غريبـة.. «ابحـث عن فرشـاتي.. يجـب أن ابحـث عنها..».. امسـكه عصـام بيده بعنف وسـحبه وهو يجـره خلفه «هيـا أيها الأحمق سوف نموت هنا..».. امسكه رامي بيده الآخرة وسحبه بسرعة.. «هيا ياسراج سـوف احضر لك فرشاة غيرها.. هيا رجل..«.. أجابه سراج سريعًا : أتوعدني بذلك..».. جذبه رامي بقوة «اقسـم على ذلك هيا بنا يارجـل.. هيا بنا..» فركض الجميع وخلفهم مقاتلي الفايكنج يدمرون مايواجهم وصيحاتهم تملئ المدينة وهم يطاردون سراج ورفاقه..

***

أميرة تفتح عيناهـا مذهولة مرتاعة وتنظر حولها بكل مكان تبحث عن كريم الذي كان يطاردها فلم تجد له أثر فتبحث سريعًا عن رامي فلم تجـده ولم تجد سراج وعصام أيضا.. نظـرت حولها متفحصة متمحصة أين هي الآن فوجدت نفسها بداخل غرفة بمنزل ما لا تعرفه.. والغرفة واسـعة مرتبة وبها أثاث أنيق للغاية وبها مـراءة كبيرة بمنتصفها وباب يقابلهـا بمنتصـف الغرفـة لونه أزرق وسريـر وقطعتي كوميـد بجانبه ودورق مياه على أحدهم وقطعة سـجاد إيرانية الصنع بشكل مزخرف جميـل.. نظرت أميرة حولها بالغرفة مندهشـة متى أتت إلى تلك الغرفة

وأيـن هي.. أين ذهب الجميع وأين ذهب كريـم الذي كان يطاردها.. كانـت مازالت تشـعر بالخوف ويرتجف جسـدها الصغير من ماحدث لهـا.. اتجهـت سريعًـا للجلـوس على السريـر الـذي كان ناعـم للغاية ومريح أخذت تتحسسـه بيدها قليلًا قبل أن تقرر الاستسـلام لنعومة وتلقـي بجسـدها عليـه وهنا شـعرت بالاسـترخاء والهـدوء والراحة يدبوا بجسـدها وبدأ ينسـل السـكون باوصالها.. ارخيت اعينها قليلًا وتركـت نفسـها لـه وكادت أن تذهب بغيابـة النوم لـولا إنها تذكرت بانها بمنزل شخص ما ولن يكون تفسير وجودها بالمنزل وبغرفة النوم هـذه مريح لهـا أو لصاحب المنـزل بالتأكيد ولهذا أنتفضـت سريعًا من مكانهـا واتجهت إلى باب الغرفة قبضـت بقبضتها الصغيرة الرقيقة على المقبـض وإدارته سريعًـا لتخرج من الغرفة وتغلـق الباب خلفها لتجد شيء غريـب للغايـة.. إنها بغرفة مماثلة للغرفة التـي كانت بها منذ قليل نفـس الأثـاث ونفس السريـر بنفس موضع المـراءة بمنتصـف الغرفة ونفس السجاد على الأرضية.. كل شيء كما كان بالغرفة السابقة ولكن الغريـب هنـا إنها وجدت أن الباب الذي أتـت منه غير موجود وهناك باب واحد فقط بمنتصف الغرفة.. أخذت تنظر حولها مندهشـه قليلًا مما شـاهدت ثـم اتجهت إلى الباب بسرعة لتدلف منـه إلى الخارج لتجد نفسـها بغرفة أخرى بنفس التفاصيل.. شعرت أميرة بالخوف ينجرف بداخلها بسرعة الرياح فركضت مسرعة جهة الباب لتفتحه وتجد نفسها بنفـس الغرفة الـذي لديه نفس الباب ففتحتـه ليتكرر الأمر.. ركضت وركضـت وركضت وفتحت وفتحت وفتحت.. نفس الأمر بكل مرة تجد نفسـا بداخل الغرفة مرة أخرى بنفس الباب الأزرق الذي يعيدها

إلى تكـرار الأمر.. هنا أيقنت أميرة بأنهـا بغرفة من صنع كريم لا يوجد منهـا مخرج بل دائرة مغلقه تعود من حيث أتت كل مرة.. تملكها الفزع والخوف وأخذت تصرخ وهي تمسـك شـعورها بيديها وتمزق بعضه.. شـعور انك تظل واقف بحلقة مفرغة من الزمن تعيد نفسـها هو شيء مفـزع بالتأكيد.. أخـذت تندفع بلا هوأدة تفتح البـاب وتخترق الغرفة ثم تكرر الأمر لعشرات المرات على أمل إنها سـوف تسـتطيع الخلاص من هذا تلك المرة ولكن بكل مرة كانت تجد نفسها بنفس الغرفة بنفس تفاصيلهـا المملـة تملكها اليأس وأخـذت تطيح بكل محتويـات الغرفة تحطم كل شيء تطوله يدها وهي تصرخ غاضبة من ما ألم بها.. شـعرت بقواها تخور من جسـدها فسـقطت على الأرض متعبة تلتقط انفاسـها قليـلًا ثم تبكي عن ما ألم بها.. وهي أن تتمني أن تكون بداخل كابوس تحاول الاسـتيقاظ منـه.. بعد أن هدأت قليلًا نظـرت إلى الغرفة حولها فوجدتها مبعثـرة.. فقفزت سريعًا من مكانهـا واتجهت إلى باب الغرفة الأزرق لتفتحه لتجد نفسها بداخل الغرفة من جديد وهي مرتبه ونظيفة ولا يوجد بها أي شيء من الفوضى التي صنعتها أميرة من قبل.. أصابها هذا الأمر بالأسـى وقالت إنها سـوف تظل هنا للأبد فأخذت تتحرك بانحاء الغرفة وهي تبكي وتطلب من كريم أن يسـامحها ويتركها تخرج من هذا المكان.. أخذت تتوسل وهي تبكي.. أي شخص مهما كانقلبه متحجرًا لن يسـتطيع مقاومة هذة الدموع التي تشبه اللؤلؤ المنتثور على وجنتيها واسـتعطافها بكلماتها الرقيقة ذات النبرة الهادئة.. أي شخص سوف يستجيب بالحال لتلك الدموع الخالصة وكلمات الأسف النابعة الصدقـة ولكن هذا لم يحدث مع أميرة.. إنها تسـتجدي كريم منذ عدة

ساعات ولا يوجد لها مجيب.. ظلت تصرخ بيأس تنادي على رامي لينقذها ولكنه لم يفعل ذلك أبدًا.. انهارات أميرة بهيستريا كبيرة وأخذت تحطم كل شيء مرة أخرى وألقت بدورق المياه على المراءة الكبيرة بالغرفة لتتحطم ويتناثر الزجاج بكل مكان حولها.. هنا أخذت أميرة تنظر إلى قطع الزجاج المتناثر وطرأت على رأسها فكرة سريعًا.. ماذا لو كان ما تمر الآن به هو بالفعل كابوس وأن الحل لكي تستيقظ منه أن تموت هي تذكرت هذا الشئ..لاتعلم من أين تذكرته.. هل قرأته بكتاب ما أو شاهدته بفيلم بالسابق.. هي لاتدري هل هذا الأمر حقيقي أم لا.. هل إذا ماتت بالحلم سوف تستيقظ بالحقيقة.. ولكن ماذا لو كان الأمر ليس هكذا.. ماذا إذا كان الموت بالحلم لايعني الاستيقاظ من النوم.. ماذا لو كانت ماتعايشه الآن ليس حلم بل هو واقع.. ماذا سيحدث..أخذت تتضارب الأفكار والمشاعر بداخلها كأمواج البحر ولكنها لم تجد ليأسها مخرج آخر.. هذا ماكان يدور بعقلها وهي تتجه بالقرب من المراءة المكسورة وتلتقط قطعها كبيرة حادة من أرضية الأرض وأخت تنظر إلى حوافها الحادة ومن ثم تنظر جهة ساعدها الآخر وهي تبتلع ريقها بقلق شديد..

*	*	*

كان كلا من سراج ورامي وعصام يركضون بعنف شديد وبدون هدى وخلفهم بعض فلول مقاتلي الفايكنج وعندما اقترب بعضهم جهة سراج الذي كان يلهث بشدة فتوقف ليلتقط أنفاسه..اتجه إليه مقاتل الفايكنج وهو يرفع سيفة ويصرخ بصرخات غير مفهومه.. فقام

سراج باطلاق النيران عليه بالحال فأسقط مقاتل الفايكنج صريعًا.. وعاد سراج يلتقط أنفاسه ولم يلبث ثواني حتى توجه إليه بعض المقاتلين وهم يصرخ ونعليه فأطلق النيران سريعًا عليهم وتركهم على الأرض خلفه ثم تحدث إلى رامي وعصام بجواره بأنفاس متقطعة وهو يضع يديه خلف ظهره يحاول أن يستند عليهم «.. ماذا.. سوف.. نفعل.. الآن.. لن أستطيع أن أواصل..ها ها.. أكثر.. من ذلك.. ها.. ها..» أخذيا ينظران إليه والعرق يملؤهم ولم يستطيعا أن يردا عليه فاكتفي عصام بأن أشار إليه بيده أن ينتظر قليلًا وظلا يلتقطان انفاسهم فتقدم جهتهم بعض مقاتلي الفايكنج فقام سراج باطلاق النيران عليهمبسرعة وبدون مبالاة وعندما يقترب منهم دفعات جيددة كان يتخلص منهم في الحال ولكن بأحد تلك المرات قام فوج من خمس مقاتلين واقتربوا منهم فاطلق عليهمسراج النيران فاسقط ثلاثه ووجد أن سلاحة الناري قد فرغ من الطلقات فظل يطلق ويطلق بدون جدوي فامسك سلاحه وسحب عصامم ورامي وهموا بالركض مرة أخرى ومقاتلي الفايكنج يصرخون ورائهم ويلاحقوهم.. وبتلك اللحظة وبانحاء مختلفة من المدينة كان قام مقاتلي الفايكنج يعيثون بالأرض فسادا.. يحطمون جميع مايروه أمامهم والاحتكاك بمن يجدوه من السكان.. وهم يصرخون «جوتا فالاها.. جوتا فالاهلا..».. وهنا كانت مجموعة من قوات الأمن المركزي يكمنون لهم بأعلى أحد البنيات وعندما اقتربوا منهم أطلق عيهم الجنود النيران بكثافة شديدة فأسقطوهم بالحال ثم ترجلوا من البناية واتجهوا إلى منطقة أخرى ليعتلوا بنايتها ليحاولوا القضاء على أي مجموعة يرونها من مقاتلي الفايكنج وهلم

جره.. استمر هذا الحال بالمدينة لما يقارب 15 دقيقة ولكن على الرغم من ذلك لم تختفي جحافل قوات الفايكنج التي كانت تظهر من حين إلى آخر ونفذت خزائن الأسلحة النارية للجنود فاضطروا للهرب والاختباء من هؤلاء المقاتلين..

كان رامي وسراج وعصام يختبئون بداخل أحد البنايات إلى أصبحت مهجوره الآن فجميع السكان نزحوا إلى اطراف المدينة المغطاه بالضباب.. ترقب رامي وأصدقائه المكان حولهم فلم يجدو أي صوت أو حركة فتشجعوا قليلًا وهموا بالخروج من مخبئهم ليروا ماذا يحدث حولهم.. فلم يجدوا أي شيء غريب.. السكون يعم المكان بكل جهة وصوت الرياح يحف أوراق الأشجار بوضوح خلفهم دليل على السكون التام الذي يغلف المكان.. انتابهم بذلك الوقت شعور الارتياح والقلق بنفس واحد.. فعلى الرغم من عدم وجود اعداء بجوارهم ولكن المدينة حولهم أصبحت كمدينة الاشباح فلا يوجد بها أي شيء غير المباني والنباتات وبعض الأماكن التي خبؤ فتيل اشتعالها قليلا.. ظلوا يتحركون بشوارع جهينة مرتابين لايعلمون أين هم فلقد أصبحت شوارع المدينة مختلفة تمامًا عن ما اعتادوا يسيروا بها.. حتى اسماء المحلات كانت مختلفة فكانت تقرأ من اليسار لليمين وبلغة غير عربية.. ارتاب الجميع بما يروه أمامهم ثم سمعوا اصوات من جهة بالقرب منهم.. فاتجهوا جميعًا صوب أحد الشوارع التي انتهى عنها الطريق الأسفلتي ليظهر طريق آخر كبير ممتلئ بالرمال وبنهاية هذا الطريق وجدوا مياه أمامهم.. جحظت اعينهم عندما شاهدو أنفسهم

أمام شـاطئ الميـاه وهدير الأمـواج يتقاذف إلى أذانهـم.. صرخ سراج مندهشًـا..» اللعنة.. أين نحن الآن.. لماذا نحن أمام شاطئ.. الم نكمن بجهينة منذ قليل..».. أخذ رامي يتحرك بالقرب من المياه وهو مذعور لايعلم ماذا يفعل أو يقول.. بينما عصام وعلى الرغم من الدهشـة التي اصابة ولكنه لم ينبث ببنة شـفه واتجه إلى الشاطئ يتلمس رماله ويلتقط بعض أحجاره باهتمام شـديد.. فصرخ بـه سراج غاضبًا..» ماذا تفعل أيهـا الغبي.. هل هذا هـو وقت التقاط الأحجـار الآن.. لقد ذهبنا إلى خارج جهينة.. بل إلى بلد آخر خارج مصر نهائيًا.. ماذا نفعل الآن..».. أخـذ رامـي ينظـر حوله وهـو مرتبك ويحـدث نفسـه.. «كيف حدث هـذا.. نحن لم نتحـرك من مكاننا لحظة ولم يرانا كريـم أو يخدعنا بأحد فخاخـه فكيـف أتينا هنا..؟».. نظـر إلى يافطة على عمـود بالقرب من الشـاطئ ظاهره بوضوح على الرغم من الظـلام مدون عليهابحروف بالانجليزية ولكن مواضع الحروف مختلفة.. فأشـار إليها وهو يتحرك صوبهـا..» أنا لا أعلم تلك اللغة ولكنها تبدو كاللغة الروسـية.. يبدو إننـا بخارج مـصر بالفعل.. ماذا سـنفعل الآن.. ماذا سـنفعل.. كيف سـوف سأسـترجع أميرة من كريم هكـذا.. كيف.. كيـف..».. وأخذ يمسـك جبهته خائفًا يأسًـا وتسـلل الخوف إلى قلب سراج أيضًا الذي أخـذ يعـض على يديه بأسـنانه بدون وعـي منه.. نظر لهـم عصام وهو يحرك بعض الصخور بيده ويضحك ساخرا ويتقدم صوبهم متبخترا.. هنا غضب سراج ورامي من رد فعل عصام الغريب هذا.. فصاح عليه رامـي.. «ماذا تفعل ياعصام.. هل تسـخر منا أم مـاذا.. ماذا تعني من ضحكاتـك تلـك..».. وتعلقت عيـون سراج الغاضبـة بعصام الذي

اقترب منهم وهو يرفع يده بهدوء شـديد.. «لا أسخركم منك أو شيء مـن هـذا القبيل ولكـن لاتقلقوا نحـن لم نذهب إلى روسـيا أو أي بلد آخر.. وحتى لم نخرج من مصر.. بل مازلنا بجهينة..».. كلمات عصام سقطت فوق رؤوسهم كالثلج البارد فسأله سراج سريعًا..» ماذا تعني بحديثـك.. كيف مازلنا بجهينـة.. الم ترى تلك المبـاني المختلفه حولنا ألا تـرى انك تقف على شـاطئ ورماله أسـفل من قدميـك وبجوارك البحر بأمواجه.. ألا ترى كل ذلك..؟»

أجابهـم عصـام بثقـة.. «اسـتمعوا لي فقـط.. نحـن مازلنـا بجهينة ولم نخرج منها أبدًا..».. أجابه سراج بعصبية شـديدة.. «نحن بجهينة كيـف.. ألا تـرى مانـراه نحـن أم مـاذا.. هل أنـت جننـت.. أم نحن الذي أصابنـا الجنون..».. فتحدث إلى رامي بجواره.. «ألا ترى البحر والرمال أنت أيضًا أم أنا الذي أري أشياء غير موجودة..».. أومأ رامي له برأسـه..» بل ماتراه صحيح أنا أري شاطئ وبحر وأعتقد أن عصام أيضًـا يراهـم مثلنا.. أنـا لا أعلم كيف يعتقـد إننا مازلنـا بجهينة..».. أجابهم عصام سريعًا وعلى وجهه ابتسـامة واسـعة..» سـوف أفهمك كل شيء ولكـن أولا.. هـل يتذكر منكم إحدانا قـد خرجنا إلى خارج جهينـة أو دخلنا إلى مـكان ما مختلف.. جميعنا تحركنا مـن داخل البناية إلى أحـد الشـوارع وظللنا نتحـرك معًاحتى وصلنا إلى هذا الشـاطىء اليس كذلك..»

.. أجابه الجميع «نعم.. نعم.. هذا ماحدث..».. فتابع حديثه اليهم..» إذا نحن بالعقل والمنطق لم نخرج من جهينة أبدًا..».. سأله رامي بفضول..» وماذا عن وجودنا بالشاطئ هذا..؟»

«بالحقيقة لايوجد شاطئ أو رمال أو ماشابه كل مايحدث هنا هو بعض الصور التي صنعها كريم برأسنا.. «ثم أشار إلى رأسه هذا كله محض خيال ولكن عقولنا تعتقد بإنه حقيقي..».. أخذ سراج ينظر حوله هو ورامي وهم مندهشين «خيال.. كيف.. أنا أشعر بأن ما نراه حقيقي بالتأكيد ما الذي قنعك بأنه غير حقيقي..».. ابتسم عصام وهو يحرك بيده حجر التقطه من على الشاطئ.. «لقد علمت إنه غير حقيقي بسبب هذا الحجر..»

رامي بفضول شديد «هذا الحجر.. كيف أخبرنا..؟»

أمسك عصام بالحجر أمامهم وأخذ يحدثهم بثقة شديدة..» الصخور بعالمنا تنقسم إلى ثلاث أنواع رئيسية وهي صخور نارية وصخور رسوبية وصخور متحولة وكل نوع به بعض الصخور المتفرعة منه.. مايهمني هنا الآن إننا بالمفترض إننا بشاطئ على البحر وهنا تنتشر أنواع كثيرة من الصخور الرسوبية بطول الشاطئ وحول المياه ولكن ما وجدته هنا هي مجرد صخور رملية نوبية من تلك الأنواع المنتشرة بداخل مصر وبصفة خاصة بداخل جهينة كما تعلمون.. بالطبع هذا شيء تعلمه أنت والسيد سراج جيدًا وأي طفل صغير بالابتدائية يعلم ذلك ولكن بالتأكيد لايعلم كريم هذا..فلقد وقع بهذا الخطأ التافه للغاية..»

هنـا اقـترب سراج مـن أذن رامـي وهو يحـك ذقنه بخجـل.. «هل كنـت تعلـم عن تلك الأشـياء التي يقولهـا عصام من قبـل ام أنا الذي لم أدرس جيدًا..»..

سـعل رامـي خجلًا..«..احـم.. لا.. أنـا أول مـرة أسـمع هـذه الأشياء مثلك..»

.. سـعل رامي مرة أخرى وسـأل عصام سريعًا..» إذا بوجود هذه الصخور البرولية التي تحدثت عنها.. هذا يعني..»..

أجابـه عصام سريعًا..» هذا يعنـي بان تلك الصخورة التي تتواجد بكثـرة بداخـل جهينة وهي مختلفـة تمامًا عن الصخـور التي توجد على الشـواطئ وبداخل البحـار فهذا اختصاصي كجيولوجي أسـتطيع أن أعلـم بسـهولة أن كريم يتلاعـب بنا بأي مكان عن طريـق تربته..» ثم صرخ بأعـلى صوته وهو يتلفت حوله..» هل سـمعت هـذا يا كريم.. سـوف أستطيع أن اكتشف أي تلاعب سـتفعله بنا بعد الآن فالأفضل لـك أن تترك ماتفعله وتواجهنا الآن..».. أخذ الجميع ينظر حوله أملًا بـأن يجـدا أي ردة فعـل من كريم ولكـن لا حياة لمن تنـادي فلم يجدوا أي شيء يعـبر عـن صـدق أفتراضـات عصـام.. فتحـدث إليـه رأمي بصـوت خافت.. «هل تعتقد بأن مانشـاهده الآن هو من مخيلتنا.. هل بالفعل مازلنا بجهينة..».. نظر له عصام مسـتنكرًا..» أما زلت تشكك بحديثي.. أنت تفعل بالضبط ما يريده كريم.. أن يجعلنا نشـك بجميع حواسـنا ونلغـي أي منطق أو طريقـة عقلية للتفكـير ليتلاعب بنا مثل ما يريد.. ولكني فهمت لعبة ولن أسـمح لـه بذلك بعد الآن..».. قام

برفـع صوتـه بقوة» لـن تفلح ألاعيبـه علينا بعـد الآن.. «ثم تحدث إلى سراج» هـل مازلت تحمـل طلقات بسـلاحك النـاري».. أومأ سراج برأسه «نعم.. معي ثلاث طلقات هي آخر ما تبقى معي من ذخيرة..»..

مد عصام يده إليه «حسـنًا إعطني سـلاحك النـاري..».. امتثل له سراج بالحال وأخرج سـلاحه الناري وأمسـكه بيده مترددًا.. «أخبرني أولًا ماذا سـتفعل به..».. أمسـك عصام السـلاح الناري من يد سراج ولكـن لم يفلتـه سراج مـن قبضتـه فنظر لـه عصـام وهو يتنهـد.. «ثق بي.. إعطنـي إيـاه..».. ابتلع سراج ريقه بقلق وأفلت السـلاح من يده ليمسـكه عصام بالحال ويتفقده للحظات ثم امسكه بقبضة يده اليمني ونظـر إليهـم «أريدكم أنتـم تقتربوا منـي الآن..».. نظر رامـي بعيون قلقلـه إلى سراج الـذي ترجم تلـك النظرات بالحالي إلى سـؤال عصام وهـو متوتر.. «ماذا سـتفعل ياعصام.. أخبرني.. هل سـتجعلنا ننتحر أو شيء من هذا القبيل..»

انفجـر عصام ضحكًا من رد فعلهم هذا وظـل يقهق بملء فمه ثم اشـار إليهم وهو يطمئنهم«لاتخشـوا شيء اقتربوا.. اقتربوا..».. بتردد شـديد اقـترب سراج ورامـي منه ولكـن أشـار إليهم أن يقتربـوا أكثر ليخبرهـم بشيء فظنوا إنه يريد أن يخبرهـم شيء سري.. فقربوا أذانهم منه واقترب هو أيضًا وهنا لمح سراج يد عصام وهو يرفع السـلاح إلى اعـلى جهتهـم فصرخ به خائفًـا.. «لا ياعصام.. لا.. «ولكن اسـتبقهم عصـام سريعًـا وأطلق الرصـاص.. وهنا سـقط الاثنـان على الأرض بسرعـة شـديدة وهم يتلـون ويمسـكون أذانهـم بيدهم بعنف شـديد

وعصام أيضًا فعل مثلهم ولكنه كان أكثرهم تماسكًا وظل واقفًا ويده اليمنى تحمل السلاح الناري ويضعها فوق أذنه.. أخذ رامي ينظر إلى عصام وهو يتألم فالقى نظرة سريعة جهةسراج فوجده سليمًا ولكنه يضع يده على أذنه هو أيضًا.. ظل رامي يترنح بشدة وهو لا يقوى على الوقوف فعندما يقف يجد نفسه يسقط وعندما يتحرك يمينًا يجد نفسه يسارًا وظل على هذا الأمر لعدة لحظات ولكنه سرعان ما استطاع أن يتمالك نفسه من جديد واستطاع الوقوف وسراج ظل جالسًا على ركبته متألمًا وهو يصرخ على عصام بشدة ولكن صوته لم يصل جيدًا إلى أذن رامي وهنا اتضح الموقف أمام رامي جيدًا فلقد قام عصام بإطلاق النيران من السلاح الناري بالقرب من أذنهم وكان صوتًا مدويًا أفقدهم السمع من أذنهم للحظات وشعر بالألم الشديد يجتاح رأسه.. نظر بجواره ليبحث عن مياه الشاطئ ليمسح رأسه بالمياه ولكنه تفاجئ باختفاء الشاطئ أخذ يبحث حوله عنه بكل مكان وهنا وجد نفسه مع الجميع بالشارع الذي كانوا بداخله بأنهم بنفس المكان الذي كانوا به بجهينة قبل أن يجدوا أنفسهم بالشاطئ.. فصرخ عليه مرامي ولكن سراج وعصام كانوا يتصارخون على بعضهم البعض فلم يعطوا له أي اهتمام فوقف رامي سريعًا وأمسكهم من ملابسهم وهو يصيح عليهم «انظروا.. انظروا.. لقد عدنا لجهينة..».. وهنا نظر سراج حوله غير مصدق لما يحدث وعصام رفع يده فرحًا وأخذ ينظر لسراج متحديًا..«لقد نجحت.. انظر لقد نجحت.. هاااا.. لقد نجحت..لقد كنت على صواب..».. أخذ ينظر سراج ورامي حولهم بذهول ثم ابتسم رامي له وسأله بفضول.. «ماذا فعلت.. أخبرني ماذا

فعلـت..؟».. أخـذ عصـام يحدثه ولكن رامي لم يسـمع منـه شيء «أنا لا أسـمعك جيـدًا.. فالتعلوا بصوتـك..».. هنا قام عصام بالمشـاورة بإصبعه جهة فمه وهو يحدثه «حاول قراءة شفتاي وأنا أتحدث»

فاومـأ لـه رامـي برأسـه وهـو يتحـدث بصـوت عـالي «حسـنًا.. سـأفعل..».. رفع عصـام صوته وهو يحدثهم «لقـد أخبرتكم من قبل أن كريم يعبث بعقولنا.. لا أعلم كيف يفعلها ولكنه يسـتطيع أن ينتج أشياء بعقولنا ونعتقد إنها حقيقية.. لقد جعلنا تحت تأثير إننا موجودون بشاطئ بمكان ما ولكن لو فكرنا بمنطقية لايستطيع أي شيء بالعالم أن ينقلنـا إلى مكان هكذا بسرعة مثل ماحدث وأيضًا لم نخضع لأي شيء غير طبيعي يجعلنا نغيب عن وعينا ولهذا استنتجت إننا تحت وهم أشبه بوهـم التنويم المغناطيسي مـع الفرق الكبير بين قدرة كريم وأي بشري اخـر.. ولكـي نتخلص من هـذا الوهم يجـب أن نعلـم أولًا إننا بوهم وهـذا ما فعلتـه أخبرتكم بذلك ثم صنعت تأثير أقـوي من هذا الوهم عـلى عقولنا بصوت الطلق الناري الـذي كان بالقرب من اذننا وعقلنا وهكـذا نجحنـا بالتخلـص مـن الوهم الـذي صنعه كريـم.. وبالطبع لم أخبركم بذلك لسـببين.. الأول لكي يكون تاثير المفاجاءة والصدمة من إطـلاق النـيران بالقرب من رؤوسـكم أقـوي ويجعلكم تخرجون مـن الوهم سريعًـا والثاني حتى لايسـمعنا كريم إذا كان يشـاهدنا عن قـرب ويتخذ تدابير أخرى تعوقنا..».. أخذ رامي يبتسـم لعصام وهو يشـير إليه بعلامة ok «تفكيرك رائع.. تسـتحق لقب أفضل علماء العالم بالفعـل.. ولكن مايحيرني كيف يمكن أن يكون ماشـاهدناه وعايشـناه

غير حقيقي لقد تلمست الرمال وشعرت بنسيم الهواء وبرودة المياه وكانوا جميعهم حقيقين..».. أخذ يمسح عصام بعض العرق من فوق جبهته..» الأمر بسيط للغاية العقل إذا صدق شيء أصبح حقيقي حتى لو لم يكن كذلك.. نحن باحلامنا نعتقد إننا نسبح بالفضاء ونكلم الموتى ونخترق الجدران ويكون كل ذلك حقيقي بالنسبة لنا حتى نصحوا.. عندما يري الظمأن بالصحراء ينابيع المياه والنخيل وواحات كاملة وهي بالأصل مجرد سراب هل كانوا غير حقيقين بل كانوا حقيقين 100٪ بالنسبة له لأن عقله اعتقد إنه حقيقي.. وهذا هو حال البشر إذا صدق العقل شيء أصبح حقيقي وبالنسبة لي بالبداية كان الأمر صعب لاني كنت أجهل ما السبب وراء كل تلك الامور الغريبة ولكن بعد معرفتي بأن كريم هو السبب خلفها جميعًا أصبح كل شيء منطقي.. فإذا عرف السبب بطل العجب.. وأنا أوعدكم من الآن فصاعدًا إنه لن يستطيع أن يسيطر علينا بأفعاله لأننا سنكون متأكدين إنها غير حقيقية.. يجب أن نغلب كريم بلعبة.. يجب أن نقنع عقولنا بان أفعاله غير حقيقي وحينها سوف نستطيع إيقاف ومواجهته..»..

هنا فجأة سمعوا أصوات تصفيق شديدة من خلفه وظهر على بعد عدة أمتار منهم كريم وهو يصفق وملابسه البيضاء مشبعة بلون دماءه الحمراء وحدثهم بصوت قوي «برافو.. برافو.. أحسنتم.. خطة رائعة..».. نظر له الجميع بوجوم شديد وتحدث إليه عصام غاضبًا.. «هل كنت تتنصت علينا..»

وضع كريم يده على صدره مدافعًا.. «انا.. أنا لم أفعل ذلك.. أنتم من أصواتكم المرتفعة تكاد تصل إلى المدن التي بجوارنا.. ثم لماذا كل تلك النظرات التي على وجوهكم.. هل فعلت شيء خاطئ.. أنا اثني عليكم».. صرخ به رأمي بحنق شديد «كف عن ألاعيبك تلك ياكريم أخبرني أين ذهبت بأميرة افضل لك.. ويجب أن تحذر جيدًا لأننا لن تنطلي علينا أفعالك بعد الآن.. لأن كل ماتفعله غير حقيقي..»..

أخذ يرفع كريم كفيه إلى أعلى وهو ينظر لهم متعجبًا.. «غير حقيقي.. ماذا تعني بذلك.. ألا ترى المنازل حولنا.. ألاترى الأشجار التي تحيطنا.. ألا ترى الطريق الذي تقف عليه الآن هل هو غير حقيقي..».. ثم أشار إلى الطريق خلفهم.. فنظر رامي خلفه وسراج وعصام وهنا شاهدوا شيء غريب الطريق الأسفلتي الذي يقفوا عليه قد مال بشدة كبيرة جدًا أسفل منهم بزاوية لاتقل عن 7 درجات وأصبح شكله يقارب إلى منحدرات الكباري المعروفة.. ثم ارتقعت جدران كبيرة للغاية بطول مترين تقريبًا حول الطريق فأصبح الجميع بوسط الطريق الأسفلتي وتحاوطهم الجدران فقط ولايوجد لهم مكان ليهربوا منه إلا الطريق الأسفلتي.. فصرخ عصام بهم جميعًا «يجب أن تتذكروا أن كل مايفعله هو مجرد وهم يزرعه بعقولنا.. إنه غير حقيقي.. يجب أن ترددوا إنه غير حقيقي وتصدقوا ذلك حتى نستطيع أن نخرج من وهمه هذا..».. فأخذ سراج ينظر إلى الجدار حوله ولكريم ويصرخ عليه بقوة.. «أنا أعلم.. أن كل هذا غير حقيقي.. وتلك الأشياء التي تصنعها غير حقيقية لن تستطيع أن تخدعنا مرة أخرى..»

هنـا ضحك كريم ضحكـة مجلجلة جعلت الذعر يـدب بقلوبهم.. وتابع حديثه لهم «هل مانحن به الآن غير حقيقي.. حسنًا أتمنى ذلك.. وأتمنـى لماهو قـادم خلفـي أن يكون غير حقيقـي أيضًـا..».. وهنا بدأ يظهـر صوت ضخم يأتي مـن خلفه وبدأت تهتز الأرض أسـفل منهم جميعا.. فشعر الجميع بالخوف الشديد وأخذ كريم يضحك وهو يبتعد عـن الطريـق الأسـفلتي ليظهر لهـم من خلفـه وبكل وضـوح صخرة كبيرة للغاية كروية الشـكل وهي تنحدر جهتهم بكل قوة.. ظل يحدق الجميع بالصخرة الضخمة التي تهوي جهتهم بأقصى سرعة وفطنوا أن الطريـق أصبح منحدرًا هكذاحتى تسـتطيع تلـك الصخرة أن تتحرك عليه بسـهولة هنا وقف عصـام أمام الصخرة التي تقـترب منه بسرعة وهـو يصرخ.. «هذا غـير حقيقي.. هذا غير حقيقـي..» ولكن ارتجافة جسده وقلبه والأرض تحت قدمه دلائل قوية تخبره بانها عكس ذلك.. امسـكة سراج مـن يـده سريعًا وأخـذوا يركضوا عكـس اتجهاها وهو يصرخ عليه «هذا ليس وقته الآن.. سوف تصبح حقيقية عندما نسحق أسـفلها..» وركض رامـي بجوارهم وأخذ كريم ينظـر لهم ويضحك والصخـرة تمـر بجواره جهتهم فشـاور لهـم يودعهم بيـده ضاحكًا..» القاكم قريبا يارفاق..»..

* * *

سراج يركـض هـو ورامـي وعصام وهـم يلهثـون والعـرق يغزو اجسادهم.. يركضون خائفين بشدة.. ورامي يصرخ بهم مرتاعًا.. «إلى متى سنظل نركض هكذا؟.. لا أستطيع الصمود أكثر من ذلك»

أخـذ عصام يصرخ عليه بأنفاس لاهثة..«.. اركض.. اركض.. إذا لم ترغب أن تموت..»..

بينما سراج يركض في وسـطهم وهـو لايقوى على الحديث ولا على التنفس.. فتركهم يركضون خلفه وأخذ يستريح قليلًا فصرخ به عصام ورامي وهـم يركضون مذعورين.. «اركـض.. اركض أيها المجنون.. سوف تسحقك.. إنها تقترب منك..»

أخذ سراج يلتقط أنفاسه قليلا.. ثم نظر خلفه نظرة سريعة ليطالعه منظر الصخرة الضخمة للغاية كروية الشكل تندفع باتجاههم.. عندما رأي سراج ذلك ، هب راكضًا كالظليم.. ركض بسرعة شديدة جعلته يسبق رامـي وعصـام.. اللذان اعقدت السـنتهم سرعـة هرب سراج أمامهـم.. تلفتـوا خلفهم سريعًـا ليجدوا الصخـرة الضخمة تتدحرج بقـوة جهتهم.. فركضوا أكثر وأكثر وهم يحـاولا اللحاق بسراج الذي كان أشـبه كمتسـابقي المارثون الطويل من كثرة سرعة.. هلكت قوى الجميع وهم يركضون بالطريق المنحدر والصخرة تلاحقهم ولايوجد لهم ملجاء ولا منجي فجميع الطرق مغلقة بجدار ضخم حاولا تلمسه اثنـاء ركضهم ولكن بلا طائل فلايوجد وقت أمامهم ليتفقدا أي شيء أو حتـى لايسـتخدموا عقولهـم كـما كان يعتقد عصام منـذ قليل.. هنا وجد الجميع أنفسـهم بوضع خطـير للغاية عندما وجدوا نهاية الطريق أمامهـم مغلقـه بجـدار كبـير وأن الصخرة خلفهم سـوف تسـحقهم بالتاكيـد عندما يتوقفون فزع الجميع عند مشـاهدة هـذا الأمر وأيقنوا بهلاكهـم ولكن حـدث شيء مختلف أمامهـم لقد انبثقت أمـام الجدار

ثلاث دوائر شـبيه بالتي ظهرت أمام أمـيرة من قبل وهنا لم يكن لديهم مفـر إلا أنا ينفذوا من تلك الدوائر الغير معروفة ماهيتها أو ماذا تفعل أو أن ينسحقوا بالصخرة التي تطاردهم خلفهم.. وقف الجميع بنهاية الطريق أمام الدوائر الغريبة تلك فصرخ بهم عصام بانفاس تكاد تكون معدومه.. «إنه.. يريد.. أن يفصلنا.. عن بعض.. فالندلف جميعًا معًا.. اتـب.. عوني..».. قالها وهو يلقي نفسـه بصعوبة شـديدة بـأول دائرة جهـة اليمين ليختفي بداخلهـا.. تردد سراجي ورامي عندما شـاهداه يختفي أمامهم ولكن اختفى هذا التردد عندما وجدا الصخرة بحجمها الضخم أصبحـت تقريبًا فوقهم فألقوا بأنفسسـهم بنفس دائرة عصام لتبتلعهـم هـم أيضًا بالحال وتختفـي الدوائر وترتطـم الصخرة بالجدار بقوة شديدة وتهشمه وتكمل طريقها تسحق أي شيء تجده أمامها..

* * *

ارتمـى الثلاثـة عـلى الأرض وهم يـكادوا يقتلون مـن التعب ظلوا يحدقـوا بالسـماء فوقهـم وهـم يلتقطـون انفاسـهم التـي كانـت تحرق صدورهـم بـكل مرة يتنفسـون بها الرؤيـة حولهم وفوقهـم كانت غير واضحـه لايعلمـون أيـن هـم الآن ولكـن هذا لم يشـغل بالهـم بتلك اللحظـه فلايوجـد مـن يطاردهـم الآن ولهـذا أخذواوقتهـم بالراحـة والتقاط الأنفاس ظلوا هكذا لفترة قصيرة من الوقت ثم هدأ تنفسـهم وعـادة الطاقة رويدًا رويدًا لجسـدهم وهنا وقف الجميـع ليتفقدو أين هم الآن فوجدوا أنفسـهم وسط الضباب.. فتحدث رامي إليهم يبدو إنهم عـلى أطراف مدينة جهينـة بالغالب..انقبض قلـب عصام بالحال

بسـبب تجربـة بالضباب سـابقًا.. فابتلع ريقه وهو يحـدث رامي «يبدو إننـا بالفعل بأطراف المدينة ولكن لماذا أرسـلنا كريـم إلى هنا..» نظر له سراج بثقـة «إنه لم يرسـلنا جميعًا يبدو إنه كان يريد إرسـالك أنت فقط هنـا.. لأننا دخلنا كلنا إلى مكان واحد يبدو إنه كان يرغب بتفرقتنا عن بعضنـا بالفعل.. تفكير جيدًا إننـا ظللنا عصبة مع بعضنا.. أحسـنت ياعصـام».. ثم قـام بالربت على كتـف عصام وهو يمدحـه..».. أخذ رامـي يداعب ذقنـه بحيرة..» ولكـن كيف كانت تلـك الصخرة التي خلفنـا غـير حقيقية.. أنا لا أفهـم ماحدث.. على الرغم مـن إننا اتبعنا قولـك ورددنـا بعقولنا أن هذا غير حقيقي ولكنـي كنت ارتجف خوفًا مثل الأطفال والأسـواء مـن ذلك لقد تصورت مصرعي أسـفل تلك الصخرة عدة مرات..».. تنهد سراج «ااااح.. الحديث سـهل للغاية.. ليس لدينا القدرة على مجابهة كريم هذا الآن إنه يمارس تلك الأمور منذ فـترة طويلة للغاية لسـنا ندًا لـه أبدًا.. مطاردة الصخـرة تلك لنا كانت تجربـة يصعـب على أي عقل تصورهـا.. أنا فقـدت أي رغبة بمواجهة هـذا الشيء من جديد.. أنا لا أعلم كيف إننا لم نمت من تلك الصخرة إنها معجزة بكل شـكل من الأشـكال..«.. تنهد عصـام بالحال..» إنها ليسـت معجـزة.. إنه لم يرغـب بقتلنـا فقـط فيزيائيًا من المسـتحيل أن نتسـابق مـع صخرةكروية مثـل هذه ونفوز أبـدًا.. إنه مـن البداية كان يتلاعـب معنا.. إذا أراد قتلنا لكان صنع حفرة أمامنا ممتلئة بالأشـواك أو أي نوع من الأحماض الكبريتية أو أن يضعنا بغرفة ممتلئة بثاني اكسيد الكربـون وليس بهـا أي أكسـجين..».. هنـا صرخ سراج عليه غاضبًا «أنـت.. أنـت فالتصمت أيها اللعـين.. كف عن اعطائـه طرق جديدة

ليقتلنـا بها.. هل أنت تعمل معه ام ماذا..»«.. سراج أخذ يرتعش وهو يفـرك أكتافـه بقلـق..» اللعنة عليك وعـلى افكارك السـادية لقد دبت القشـعريرة بجسـدي..«.. أجابه عصام بلا مبـالاة..» أنا أعطي أمثال لمـا يمكـن أن يقتلنا به بسـهولة.. فهو مـن البدايـة كان يتلاعب معنا.. وهـذا شيء خطير.. خطير للغاية..«.. بدي الغضب والاسـتنكار على وجـه سراج هل شيء سـئ إنه لم يقتلنا.. هل أنـت عصام بالفعل أم إنه تـم اسـتبدالك بشـئاخر.. أخبرني بأسـمك الرباعي هكـذا.. واعطني بطاقتـك هيا..».. نظر له عصـام بلا مبالاة..«أنا أتحـدث بجادية.. إن أفعـال كريـم الآن مثل أفعال طفـل صغير يقوم بتنفيذ بعض الأشـياء المثـيرة من وجهة نظره ويترقب رد فعـل الجميع على أفعاله تلك.. فهو يـري البشر مثل الحشرات كما أخبرنـا.. والأطفال تتلاعب بالحشرات ولكـن إذا صـار هـذا الطفـل ناضجًا بيـوم من الأيـام وعلـم أن تلك الحشرات بالمستقبل قد تنقل له الأمراض فماذا سيفعل غير مايفعله كل الناضجـون وهو القضاء على تلك الحـشرات بأكملها.. إذا كان تفكير كريم الآن كالاطفال وهو يستطيع فعل كل تلك الأشياء فماذا سيكون فعلـه عندمـا يكون بعقـل ناضج.. سـوف تكـون نهايـة البشرية بكل تأكيـد..».. قاطعه رامي بالحال «ولكـن افتراضاتك تلك مبنية على أن كريم مثل البشر.. ولكن كريم هذا غير بشري إنه كيان مجهول بالنسـبة لنـا وتفكيرة بالتأكيد مختلف تمامًا عن مانفكر به.. لحسـنا حظنا إنه غير بـشري.. لأنـه إذا كان لـدي قدرة مثل قـدرة هكذا لقـد كنت قضيت عليه بالحال»..

سراج قاطعهـم..» لايهـم كل افتراضاتكم الآن.. المهـم إننا مازلنا أحيـاء ونتنفـس.. أنـا مـا يشـغل بـالي الآن لمـاذا أحضرنـا كريـم هنـا أو بالأصح لماذا كان يريد إحضار عصام هنا..».. وبتلك اللحظة ظهر إجابة سـؤالهم.. حيث سـمعوا أصوات أناس تركض وتصرخ وسـط الضبـاب من خلفهم.. شـعر الجميع بالقلق والترقب عندما شـاهدوا هـؤلاء يركضـون وقـد ظهر جليًـا أنهم من سـكان جهينـة لأن بعض الوجـوه كانـت مألوفة الرجال والسـيدات يركضـون فزعون وسراج ورفاقـه يتابعونهم وهم يتخبطون وسـط الضبـاب لم يعلموا عنهم أي شيء سـوى انهـم يأتون مـن مكان واحـد خلفهم.. ابتلـع عصام ريقه وهـو يتذكر شـعور الخوف الـذي انتابه هنا بالسـابق وصدقت مخاوفه عندمـا سـمع الزمجرة الصاخبة التي سـمعها بالسـابق وتصاحب تلك الزمجـرة الغاضبـة صراخ بعض أهـالي جهينـة.. إنه يعلـم الآن أن كل ذلـك مـن فعل كريـم وعلى الرغم مـن اقتناع عقله بهذا ولكن جسـده كان غـير مقتنـع بذلـك فقدمـه أخـذت ترتعـش بعنف ويـده أخذت تنتفـض بين يـدي سراج ورامي الذان لم يشـاهدا عصـام وهو يتملكه الرعـب هكـذا من قبـل.. فصرخ بـه رامـي يطمئنه «لاتخـف ياعصام لاتخف نحن معك..» بينما ظل سراج يبتلع ريقه وهو يحدث نفسـه..» أيـن فرشـة الأسـنان اللعينة تلـك الآن.. لمـاذا لم أكن مدخنًـا مثل كل النـاس العاديـون..».. الضباب أصبح كثيفًا للغايـة وأصبحت الرؤية اصعب بكثـير فصرخ عليهم سراج بأن يتكاتفوا معًـا ولايفترقا أبدًا.. وفعـل رامي وعصـام هذا على الرغـم من خوفه الشـديد من مايصدر تلـك الزمجرة ولكنـه فضل أن يواجهها مع زملائـه أفضل من ملاقاتها

بمفرده وحدث مـاكان يتوقعه.. فظهرت أصوات ثقيلة للغاية تتحرك عـلى الأرض باتجاههـم وصوت الزمجـرة يعلوا ويعلـوا ويقترب منهم فاخـرج سراج سـلاحه النـاري متحفـزًا وهو لايعلم ماسـوف يحدث لاحقًـا أو ما سـيواجهونه كانت الأجواء مخيفة بالفعـل جميع الظروف ملائمـة ليعيشـوا هذا الرعب المقيت أضواء غـير ظاهرة أجواء مقبضة مصاحبـة لأصـوات مخيفة دون أن ترى مايصدرهـا وضباب يحاوطك بـكل ناحية إنها الظـروف المثالية لأي كاتب رعب بالعالم ولقد توفرت الآن لهؤلاء تعسـاء الحظ وهم بمفردهم.. كانت الأصوات تزداد قربًا ويزداد رعبهـم معها فيتراجعوا للخلف وهم يكادوا يكونوا ملتصقين ببعضهم.. مرت عدة ثواني لم يحدث شيء خلالها ولم يسـمعوا أصوات الخطـوات الثقيلة أو الزمجرة المخيفة بالقرب منهم وهنا دخلوا بمرحلة أشـد قسـوة ورعبًـا من مواجهـة الرعب نفسـه وهو انتظـار الرعب.. شـحذت حواسـهم بالكامل وهم مترقبين لأي شيء سـيحدث وكان أكثرهـم رعبًـا عصام الـذي أخذ ينتشر رعبـه بسراج ورامـي حوله.. فالرعب معدي حقًا بطريقة سـيئة لايجب أن تكون خائفًا ولكن يكفي أن يكـون مـن حولك خائفون فسـوف تكـون خائفًا أنت عـلى الرغم عنـك دون أن تتخـذ دفاعًا أو حذرًا لأن مـع الخوف لايغني حذرًا عن قدرًا..وهنـا كان قدرهـم يركـض بجهتهـم فجأة من الجانـب الأيمن لهم وسـمعوا صـوت الزمجرة يعلوا أكثر وأكثر والخطوات تكاد تهشـم الأرض مـن ثقلهـا وأيقنوا جميعًا بأنهـا النهاية لأن جميـع ماكان يحدث منذ قليل سـوف يؤدي بالنهاية لذلك..صرخ عصام وفزع بشدة وفزع لفزعـه رامـي وسراج الـذي أخذ يطلق مـا تبقى معه مـن طلقات على

تلك الجهة التي تصدر الصوت وهنا علت الزمجرة بصوت ضخم مفزع جعلهم يركضون للخلف يتخبطون ببعضهم ويتعثروا بالأرض ساقطين وهنا حدث شيء غريب للغاية بتلك اللحظة.. لقد سمعوا أصوات إطلاق النار بكثافة شديدة بالقرب منهم دون أن يعلموا ماذا يحدث ثم سمعوا صوت شيء يندفع بسرعة ويصدر صوت رتيب.. هو صوت مألوف لديهم ولكنه لايتذكرونه.. ثم فجأة تساقطت بعض قطرات من المياه عليهم.. ثم تزايدت قطرات المياه تلك حتى ابتلت ملابسهم فيبدو أن السماء قد أمطرت ولكن لم يكن اندفاع قطرات المياه طبيعيًا كسقوط المطر لقد كان اندفاع قوي للغاية ويأتي من مكان واحد أمامهم..فجأة سمعوا أصوات مدوية أعلاهم.. لقد كانت أصوات ضخمة ومخيفة ولكنها مألوفة لهم إنها أصوات طائرات هليكوبتر على بعد قريب منهم وهنا بدأ الضباب بالاختفاء تدريجيًا وأصبحت الرؤية جيده أمامهم فشاهدوا مايحدث بكل وضوح عدة طائرات هليكوبتر بالسماء فوقهم وبعض سيارات الاطفاء يحمل رجالها خراطيم المياه ويرشوها باندفاع شديد بزاوية مرتفعة وبدأت المياه بجعل الضباب يختفي رويدًا رويدًا.. ومن ثم بدأت تظهر قوات الشرطة الضخمة التي انتشرت بسرعة بمدخل المدينة ومعها سيارات مصفحة لقوات الأمن المركزي وبعض الضباط.. هنا لم يصدق عصام وسراج ورامي أنفسهم وصرخوا فرحين وهم يحتضنون بعضهم البعض غير مصدقين.. «لقد أتوا.. لقد أتوا.. لقد نجونا.. نجونا..».. وظلوا يحتضنون بعضهم البعض بفرح وهم يتقافزون.. أخذ أهل جهينة يتاوفدون صارخون مهللين عند رؤية رجال الشرطة الذين فجعوا من مشاهدة أهل جهينة

وهـم منهاريـن هكذا وأخـذوا يقومون بمسـاعدة الجرحـى والمرضى ومـن فقد وعيه فرحًـا عندما علم بنجاته من الحصـار الذي كان يدب بجهينـة.. أخذت قوات الشرطـة تنتشر بالمدينة وهالهـم حجم الدمار الـذي لحق بهـا.. تلك المدينة التي كانت آية من الجمال عندما شـاهدها بعضهـم منذ عدة أيام.. وجدوا كثير من الجثـث المتناثرة بأنحاء المدينة وبعضهـا مسـحول ومنـزوع منه بعـض أعضائـه وبعضهـا معلق على أفـرع الشـجر.. وكان هناك بعض الأنـاس يحملون أسـلحة وحاولوا أن يهاجمـوا قوات الشرطة فأردوهم بالحال بعد تحذيرهم لعدة مرات.. وأنقـذوا آخريـن من محاولة القتل والاغتصاب على يد بعض السـكان الآخريـن.. اسـتمر الأمر لمدة عـشرون دقيقة تقريبًا كانت اسـتطاعت قوات الشرطة من إخلاء أهل المدينة وفرض سيطرتهم على المدينة التي كانت أشبه باطلال مدينة..

كانـت سـيارات الاسـعاف بكل مكان خـارج المدينة وتم تدشـين أكثرمـن مستشـفى ميدانية بعدد كبير مـن الاطباء لمعالجـة أهل جهينة الهاربـين.. جلس العقيـد سراج ومعه رامي وعصام بهدوء أمام احدي سـيارات الاسـعاف وهم يرتشـفون بعض المشروبات السـاخنة التي هـدأت مـن أعصابهم وأجسـادهم التي كانت شـبه منهـارة.. قدم إلى العقيد سراج شـخص بمثل رتبـة يدعي العقيد اسـماعيل وأخذا يهنئ سراج بالأحضـان عنـد ملاقاتـه.. لمـح عصام بطـرف عيناه مـن بعيد شـخص يتقـدم صوبه.. طويـل وعريـض المنكابين وله انـف رومانية وملامـح شرقيـة صرخ عصام فرحًا عندما شـاهده واتجـه إليه مسرعًا

وهـو يحتضنـه بحميمة «جوزيف تومي.. لقد كنت متأكد إنك سـوف تـأتي بحثًا عنـي..».. انتهى جوزيف من تحية عصام وحدثه مبتسـمًا..» وهـل كنـت سـتعتقد بإني أتـركك تختفـي هكـذا دون أن أبحث عنك ياصديقي نحن وأصدقائنا بنا ساكنًا على تواصل مع القاهرة يوميًا بعد انقطاع اخبارك بداخل جهينة فجأة.. أخبرني ما الذي حدث بالضبط.. «هم عصـام بالحديث إليه ولكن قاطعهم جندي مسرعًا وهو يتجه إلى العقيـد اسـماعيل وهو يقف مـع سراج ويعطي له هاتف لاسـلكي..» سـيادة العقيـد.. ضابط الاقتحام يريد التحـدث اليك بشيء هام.. هنا اتجهـت أعين الجميع لدي اسـماعيل وهو يلتقط إرسـال الضابط الذي حدثـه مضطربًـا.. «ماذا هنالـك.. هل انتهيتم من البحـث..».. أجابه الضابـط بالهاتـف.. «نعم ياباشـا.. ولكـن عندما توغلنـا إلى منتصف المدينة وجدنا شيء غريب للغاية..»

اسماعيل مندهشًا «شيء غريب.. ماذا وجدتم..؟»

الضابـط يتحـدث بالهاتـف وخلفـه جنـوده «لقد وجدنا شـخص يجلـس على مقعد يبـدو مثل العـرش بمنتصف الشـارع ويرتدي بدلة بيضاء مغطاة باللون الأحمر ويبدو إنها دماء..»..

سـمع سراج صـوت الضابـط فنظـر إلى رامـي وعصـام سريعًا ثم تحـدث إلى العقيـد اسـماعيل..» اسـماعيل.. اطلـب منهم الانسـحاب فورًا.. لاتجعلهم يقفوا أمامه أبدًا.. أبدًا..»

بتلـك الأثناء كان كريم يجلس على عرش ضخم أمام الجنود مكون مـن أذرعه حديدية تمسـك بقبضتها حـرب ذهبية بشـكل بديع للغاية

وكريـم جالس فوقه يسـتند على يده اليمنى أسـفل ذقنـه ويده اليسرى أعلى قدمه التي يتكاء عليها فوق العرش المكون من الذهب الخالص.. كان مشـهده مهيبًا وغريبًا بذات الوقت حيث كان هذا العرش بوسـط الشـارع بجـوار حطـام المدينـة.. عندمـا اسـتمع الضابـط إلى حديث اسماعيل المتلعثـم الـذي أمـره من خلالـه بالانسـحاب بالحال شـعر بالاضطـراب فابتلع ريقه وأعطى أمر للقـوات خلفه بأن تتراجع وهنا صرخ بهـم كريـم بثقـة شـديدة «إلى أين تعتقـدوا إنكم ذاهبـون.. لقد أفسدتم متعتي وحان الوقت لأجعلكم تدفعون الثمن».. وهنا اعتدل بجلسـته فتحركـت الأيدي التي بالعرش إلى أعـلى وهي ترفع الحراب وكان مشـهدا مخيفـا بالفعـل فتراجع الجنـود للخلـف بظهورهم وهم يشهرون الأسلحة بوجه كريم الذي كان يبتسم وهو واقفًا أمام العرش الـذي انقبض بالحـال وصنع منـه تمثالين لشـخصين لمحـاربي فايكنج يقفـون خلـف كريم وهـم يرفعـون حربتـان والتمثالان مـن الذهب الخالـص.. هذا المشـهد جعـل الجنود تنتابـه محالة مـن الرعب فركضا هاربـين على غير هدي وبدون أي تشـكيل وتخبط بعضهم ببعض أمام كريم الذي كان يتحرك نحوهم بثقه وتعلوا وجهه ابتسـامة سـاخره.. صرخ الضابـط عـلى جنوده بأن يتجمعوا مرة أخرى وأشـار بسـلاحه النـاري أمـام كريم وأخبره أن لايتحـرك من مكانه ولكـن فجأة وجد كريم يقف خلفه فحاول الضابط أن يسـتوعب ماحدث له ولكن بعد فوات الأوان حيث لكمة كريم لكمة شديدة فأسقطه بالأرض مغشى عليـه قام بعض الجنـود المرتاعين باطلاق النيران عـلى كريم الذي كان سريعًا للغاية يتنقل من بين كل جندي والآخر برشـاقة شـديدة ويلقي

منه سلاحه ويسقطه أرضًا بالحال شعر الجنود بأنهم من غير حول ولا قوة أمام كريم وحركاته الغير البشرية وضحكاته الجنونية أعطته مشهدًا مهيبًا غريبًا فأطلق معظمهم العنان لساقه تسابق الرياح خوفًا من مواجهته ظل يراقب كريم بعضهم وهم يهربون ويتتبع البعض الآخر ليسقطه على الأرض بسرعة شديدة كان الموقف أشبه بقيام أحد الأطفال بالعبث بصفوف النمل المرتبكة أمامه.. كان صوت إطلاق الرصاص مختلطًا مع صيحات النجدة ع يدوي بأصوات المدينة التي أصبحت مدينة أشباح بالفعل ظل كريم يركض خلف الجنود التي تتساقط أمامه كالذباب وهو يضحك باستمتاع شديد وسط صياح الباقي وتخبطهم بأجساد زملائهم المغشى عليهم الكل كان يطلب النجاة من أمام كريم الذي كان مشهده بتلك اللحظة يدب الرعب باشجع الشجعان.. كان كريم يقف بين ثلاث جنود يتفادى إطلاقهم الرصاص بسرعة شديدة ويقف خلف كل شخص منهم ويضع يده على كتف الجندي فيلتلفت الجندي خلفه مرتاعًا يبحث عن كريم فلايجده ويستمر كريم بفعل هذا مع الجنود الأخرى كان من الواضح جاليًا إنه كان يتلاعب بالجنود وهم لاحول لهم ولاقوة ثم فجأة وجد كريم ألم شديد بقدمه اليمنى فنظر على قدمه ليجد أن إصابة طلقة نارية بأعلى فخذته اليمني وكانت الطلقة مؤلمة للغاية شعر بالعظام تتحطم بداخله.. أيقن حينها بأنها ليست طلقة عادية ظل يبحث حوله سريعًا وهو يمسك أحد الجنود ويستخدمه كدرع له وهو بحيره لأنه متأكد أن لم يصيبه أحد من الجنود بالقرب منه..فجأة أطلقت عليه طلقة قوية بكتفه الأيسر أزال الجزء العلوي منه تألم كريم بشدة ولكنه حيرته

كانـت أقـل هذه المرة فلقد اسـتطاع أن يتبين من أين أتـت تلك الطلقة هـذه المـرة إنها قادمة مـن أعلى أحد المنـازل البعيدة عنـه.. حيث بتلك اللحظـة كان سراج يعتلي أسـطح إحـدي البنايات ومعـه مجموعة من القناصين يأتمرون بأمره وكان يطالبهم باسـتهداف رأس كريم وصدره وان لم يسـتطعوا فاليسـتهدفوا أطرافـة وهذا ماحدث حينهـا فلقد قام القناصون باسـتهداف أطراف كريـم حتى أصبح غير قادر على الحركة تقريبًا فاطلق أحد القناصة على رأس كريم فسقط على الأرض وتناثرت بقايا رأسـه حوله.. أشـار القناص بإبهامه جهـة سراج الذي كان يقف بجـواره فتحدث إليه سراج بلهجة أمره «فالتطلق النار على رأسـه مرة أخرى..».. نظر إليه القناصين مستغربين فتحدث أحدهم إلى سراج..» لقد أرديناه ياباشا.. إنه قتل بنسبة 100٪..».. صرخ عليه سراج بلهجة حازمـة..» نفـذوا الأمـر.. فاليطلق كل واحـد منكم على رأسـه طلقة كل15 عـشر ثانية.. هل سـمعتم الأمر جيدًا... على رأسـه.. ليس بأي مـكان آخر».. أجابه القناصة سريعًـا.. «تمام يافندم..».. وقاموا بتنفيذ الأمـر وبعد خمسـة عشر ثانيـة قام أحدهـم باطلاق النـيران على رأس كريم الـذي تناثرت بقاياه أكثـر وأكثر.. قـام سراج بالاتصال بالعقيد اسـماعيل الحال.. «اسماعيل.. فالترسل الفرقة الثانية حالا.. ليساعدوا زملائهم ولينسـحبوا جميعًا بعدها..».. اجابة اسماعيل بالهاتف «سوف أرسـلهم حـالًا..«.. أخـذ سراج ينظر إلى كريم من فوق سـطح البناية منعدسـة المنظـار وهـو يراقب جسـده الملقى عـلى الأرض بـدون أي حركة.. أحد القناصين يتابع زميله الذي مازال يطلق النيران على جسد كريـم وهو غاضـب..» لماذا نطلق على جسـد هذا الشـخص إنه ميت

ألسنا هكذا نمثل بجثة..«.. أجابه زميله بصوت خافت..» إنها الأوامر.. لا تقلق إنه ميت لن يشعر بشئ..«.. تحدث القناص إلى نفسه غاضًبا..» لا.. أنا لن أفعل ذلك.. لن أطلق على جسد شخص ميت لن أمثل بجسد أحد..«.. بتلك اللحظة على الأرض كانت الفرقة الثانية من قوات الشرطة تركض بتشكيلة قتالية سريعة جهة أجساد زملائهم الغائبين عن الوعى.. وتحسسوا أنباضهم فوجدوهم أحياء فحمل بعضهم البعض إلى السيارات المصفحة التي اخترقت المكان ووضعوا بداخلها زملائهم بعناية.. كان الأمر يمر على ما يرام لمدة ثواني معدودة حتى حان وقت إطلاق القناص على كريم من جديد ولكنه لم يطلق الرصاص.. أنتظر سراج أن يطلق القناص ولكن هذا لم يحدث أبدًا..فتحدث إليه سراج ساخطًا «لماذا لاتطلق.. هيا أطلق عليه سريعًا لا تضيع الوقت..».. تحدث إليه القناص بتردد وقلق..» لا أستطيع.. أن هذا الأمر يمثل تمثيل بالجسد وأنا لا أقبل أن أفعله مع أي شخص حتى ولو كان مجرم مثل هذا..».. صرخ عليه سراج غاضبًا..» أيها الأحمق إنه ليس جثة.. إنه مازال حي..».. نظر إليه القناص باستنكار..» مازال حي كيف.. ألا ترى أن بقايا رأسه على الطريق أمامك..».. صرخ عليه سراج «أيها الأحمق.. إنه لايموت.. لماذا لاتستمعون إلى أوامري..».. نظر إليه الجنود والقناصين المحاطين به بريبة ونظراتهم إليه تصدح بأنه مجنون فاقد لعقله.. استشاط سراج غيظًا ولكنه لم يتحدث معهم لأنه إذا حاول أن يشرح لهم الأمر سوف يظهر إنه مجنون بالفعل.. فصرخ بأحدالقناصين الذين بجواره.. فالتطلق عليه أنت.. فاليطلق أي أحدًا منكم عليه..هي نفذواالأمر

الآن.. أما أنت فسوف يكون لك حسابًا عسيرًا معي بعد ذلك..».. عندما سمع القناصين صيغة التهديد والوعيد من سراج لزميلهم المغضوب عليه.. تجهزوا لاستكمال الاطلاق على كريم ولكن حركة بعض الجنود لاصطحاب زملائهم منعتهم من الاطلاق عليه لصعوبة رؤيته من خلالهم.. فصرخ عليهم سراج ساخطًا..» فالتطلقوا عليه الآن عليكم اللعنة جميعًا..».. أجابه أحد القناصين بارتباك..» رؤية الهدف غير واضحة.. لو أطلقنا الآن فسوف نصيب أحد زملائنا..».. أخذ سراج يصيح وهو يضرب الأرض بقدمة غاضبًا..» اللعنة.. اللعنة..».. ولكنه يعود سريعًا ويحدثهم بلهجة امرة..» عندما تسنح لكم أي فرصة لاطلاق النيران عليه أفعلوها.. أفعلوها بالحال..».. ثم نظر من نظارة المكبرة جهة كريم فكان يظهر بصعوبة نظرًا لحركة الجنود الكثيفة على الأرض ولكنه لاحظ شيء يحدث سريعًا.. شيء جعله يصرخ ويصرخ بلغه غير مفهومة والدماء تكاد تنفجر من راسة وجعلت بياض عيناه تتحول إلى الحمرة عندما شاهد الضباب الأبيض يعود من جديد بسرعة شديدة حول مكان جسد كريم فعلم حينها أن كريم استطاع أن يعود للحياة حتى لو بشكل غير كامل.. هنا لم يتملك نفسه وهو يتحدث إلى بالهاتف الاسلكي بعد أن جعله على جميع الترددات فصاح بالحال..» جميع الجنود على الأرض ترقد بالحال أي شخص برتبة أقل من عقيد يرقد على الأرض بالحال.. «جميع الجنود والضباط الذين كانوا بنفس المكان أو بمكان آخر خارج جهينة مع الجرحي قد استمعوا إلى أوامره وبالفعل رقدوا على بطنهم على الأرض وكان مشهدًا غريبًا لمن يشاهده من المدنين.. ثم تابع سراج أوامره..»

أي شخص بجوار الهدف على بعد 100 متر أو اقل يطلق النيران بكثافة على الضباب الذي يراه أمامه..».. ثم تحدث إلى القناصين أمامه سريعًا..» أطلقوا النيران الآن على الضباب بكثافة رؤيتكم أصبحت واضحة الآن.. «فقام القناصون جميعهم بتنفيذ أوامره وأطلقوا على الضباب الذي أصبح كتلة مشتعلة من النيران فالطلقات تلاحقه من كل جهة وأعطي سراج أمره لطائرة هليكوبتر تحوم فوق الضباب وتحمل قناص فوقها ليسقطوا أي شيء يروه بداخل الضباب استمر هذا الأمر لسبع دقائق كاملة قد تم إطلاق نيران تكفي لتدمير مبنى كامل وفوارغ الطلقات تراه الأعين بسهولة على الأرض الأسفلتية من أي مكان على بعد خمسون مترًا.. أعطي سراج أوامره للجنود بالتوقف عن إطلاق النيران وأمرهم بتغير خزائن أسلحتهم ويظلوا بوضع الاستعداد.. كان يريد أن يعلم ماذا حدث وهل أثر إطلاق كل تلك النيران على كريم هو كان يعلم بان هذا لم يحدث لأن الضباب مازال موجود بمنتصف الشارع ولكنه قلبه كان يتمني غير ذلك حلقت الهليكوبتر فوق الضباب فلم تستطع رؤية شيء جديد.. فامرهم سراج بالتراجع سريعًا وهو يأس وقد تحول يأسه إلى خوف عندما صوت كريم يرتج بأنحاء المدينة من خلال المكبرات التي كانت تصدح بأسرار مدينة جهينة منذ عدة ساعات.. تنهدات سريعة وقوية دبت الرعب بسراج والجنود الذين لم يعايشوا أي من تلك التجارب الغريبة التي كانت بجهينة.. أصوات كريم وصلت إلى مسامع من بخارج المدينة وكان من بينهم عصام وصديقة العالم جوزيف ورامي الذين ارتاعوا لسماع صوت كريم بعد دوي إطلاق الرصاص الذي كان يصدح

بالمدينـة لفـترة طويلـة فعلموا أن حتـى القوة المفرطة لم تجـدي نفعًا مع كريم الذي تحـدث بالمكبرات بأريحية شـديدة «اااه.. أنا أثني عليكم.. لم أكـن أتوقـع أن تأتوا بتلك الاسـتراتيجية لمقاتلتي.. فقتلي باسـتمرار وعـدم اعطائي فرصـة للعودة من جديد شيء لم أكن أحسـب له بال.. ولكـن الآن وبفضلكـم لـن أقـع بمثل هذا الـشيء مرة أخـرى.. وكما استخدمتم معي اسـتراتيجية جديدة فدعوني أريكم اسـتراتيجيتي أنا الجديـدة..».. هنا ضحك كريم بضحـكات واثقة مخيفة جعلت سراج يعطي أوامره للجميع بالانسـحاب بالحال ولكن كلمات سراج لم تكن اسرع مـن الضبـاب الـذي انتـشر كالنار بالهشـيم بكل مـكان وأحاط بالجنود وسياراتهم وبلحظات كان الجميع تم ابتلاعه وسط الضباب.. صرخ سراج عـلى اللاسـلكي يتحـدث للجنـود ولكن لم يجـد مجيب.. اسـتمر الأمر لعدة ثواني ثم بدأ الضباب بالتراجع والاختفاء التدريجي ليظهـر كريم مرة أخرى يجلس على عرش ذهبي مكون من ايدي تحمل حراب مثل السـابق ولكنه هـذه المرة كان متأنق بحلـة ناصعة البيضاء ولايوجـد أي خـدش أو أثـر على ملابسـه والجنود أمامـه صرعى على الأرض بـكل مـكان.. ظل ينظر لاعـلى جهة سراج فـو ق البناية وهو يحدثه عن طريق المكبرات..» ها أنا يارفاق.. هل اوحشتكم.. لاتقلقوا أنـا لم أصـب الجنود بأي سـوء لاتقلقوا.. فالبنهاية هـولاء الجنود الآن اصبحـوا جنـودي..» قالهـا وهو يشـير إلى الجنـود أمامـه فتحركوا من امأكنهـم بالحـال ووقفـوا أمامـه.. ثم تحرك بعـض منهم مـن القوات الخاصـة وهـم يحملـون دروعهم الضخمـة وتوجهـوا بها أمـام كريم ووقفوا حوله يحموه بها..».. نظر سراج بغضب إلى كريم أمامه والجنود

فصرخ كريم بالقناص الذي رفض الإطلاق على كريم «أرأيت ما نتيجة فعلتك.. أنت الذي تسبب بكل هذا عليك اللعنة يابن العاهرة..».. وأخذ يمسك رأسه وهو يصرخ غاضبًا..» اللعنة عليك ياكريم.. اللعنة عليكي ياجهينة.. اللعنة عليك يارامي يابن العاهرة.. أنت من ألقيتني بكل تلك النصائب يابن ال... «وظل يكيل اللعنات والسبات وسط نظرات الجنود التي كانت مصدومة من ما يروه يحدث أمامهم ومن رؤية عودة كريم من جديد للحياة وكان أكثرهم صدمة واندهاشة القناص الذي رفض إطلاق النيران عليه وهو يعتقده ميت.. هنا تغير الموقف سريعًا حيث سمعوا صوت كريم يعود من جديد..» الآن لا أريد أحد أمامي «وبتلك اللحظة قام الجنود الذين يحاوطون كريم بإطلاق الرصاص بقوة شديدة جهة اعلى البناية التي يعتليها سراج والقناصين فتراجعوا بالحال.. وتحدث أحد القناصين اليه..» هل نبادلهم إطلاق النيران..» فأجابه سراج وهو منبطح «لا.. انهم زملائكم.. انهم لايدرون ماذا يفعلون.. انسحبوا جميعًا الآن.. الجميع ينسحب من المدينة.. ولا يقترب أحد منها بعد الآن أبدًا..».. فتراجع القناصين والجنود بصحبة سراج إلى أسفل البناية وابتعد الجميع عن كريم ومابرفقته من الجنود..»

* * *

ثلاث ساعات مرت على معركة قوات الأمن مع كريم ولم تنتهي بهزيمتهم أمامه فقط بل بحصوله على جيش صغير تحت أمره..كانت الأحاديث تتناقل على الأفواه بصوت خافت جزء صغير منها يحمل

الحقيقة والباقي يحمل تهويل وضع كريم بمقامة الأساطير وعلى الرغم مـن السريـة التي ضربت أجواء المعسـكر خارج جهينـة ولكن لم يمنع ذلـك مـن انتشـار أخبار المعركـة وانتصـار كريم الذي جعـل القلوب تجفل من مجرد ذكر اسـمه الآن وبخاصة اهل جهينة بعد أن تناثرت إلى مسـامعهم إنه السـبب فيما كان يحدث لهم بالمدينة.. بغرفة شـبه منعزلة كان عصام ورامي وسراج يجلسـون واجمين يشاهدون العقيد اسماعيل وجوزيف يتحدثـون بقلق كبير بادي على وجوهم لمدة دقائق ثم دلفوا وجلسـوا بجوار عصام وسراج الذي تحدث إلى اسـماعيل بالحال «هل هناك تطورات جديدة حدثت يااسماعيل..»

«لا.. القيـادة بالقاهـرة خولـت لنا جميع الصلاحيـات التي نريدها وبـات بإمكاننـا طلـب مسـاعدات القـوات العسـكرية إذا أرادنا بأي وقت.. أنا أفكر باسـتخدام هذا الأمـر وأن نضرب هذا الشيء بجميع مانمتلكـه بضربـة عسـكرية قويـة تسـوية بـالأرض مـع ماتبقـى مـن جهينـة..».. ظهـر الامتعاض على وجـه الحضور وعبر بلسـان حالهم سراج وهـو يومـأ برأسـه رافضًـا «لا.. لـن نفعـل ذلـك أبـدًا.. لاننـا اسـتخدمنا القوة المفرطة معه من قبـل وقتلناه العديد من المرات وبكل مرة ينجو ويعود من جديد ماسـوف يحدث أنا سوف ندمر المدينة فقط ونفقـد أرواح جنود أبرياء بجـواره ليس لهم أي ذنب بما حدث لهم..» أشـار إليه اسـماعيل مقترحًا «ماذا عن أن نستخدم هجوم بري وجوي ضخم بنفس الوقت لاستخراج الجنود الذين معه أولًا ثم نضربه بكل مانلك حيتها..»

«لا.. هـذا أيضًـا لـن يفيدنا بشيء كل مـا هنالك إننا سـوف نزوده بقـوات أكثر وبعتـاد أضخم ليحتمي بهم منا أو يسـتخدمهم ضدنا إذا أراد.. لم أكن اتوقع إني سـوف أقـول هذا بيوم من الأيام ولكن بالفعل الحل الأمني لن يجدي هذه المرة يجب أن نجعل العلماء هم من يتصرفون الآن..».. قاطعه رامي بالحال موجهًا حديثة لاسماعيل «قبل أن نتطرق إلى أي شيء أولا.. هل أستطعتم الوصول إلى أميرة يا سيادة العقيد..»

أومأله اسـماعيل برأسـه «نعم لقد وجدنها مع عمتها وكانت بحالة انهيـار تامـة ولكنها الآن تحصل عـلى العناية الطبيـة الملائمة لها بداخل المخيمات والمستشفيات الميدانية التي صنعناها بخارج جهينة.. وقبضنا أيضًـا عـلى المدعو مازن عمـدة المدينـة ولكنه كان يهـزي بحديث غير مفهـوم ويبـدوا أن سـلامة عقله مشـكوك بهـا الآن..».. سراج أجابه بضيق..» أعتقد بأنه لن يكون هناك شخص بعقل سليم بعد كل الذي عايشـناه وشـاهدناه بجهينة.. ماذا عن سرور وشعبان ومن كان يعمل معه من بلطجية هل هناك أي اخبار عنهم..»

«لا.. لم نجـد لهـم أي أثـر حتـى الآن.. ولكـن لاتقلـق الجميع يتم استجوابه وتسجيل بياناته بينما نتحدث الآن وبنهاية الأمر سوف نعلم جميع ما نريد ولن يهرب أحد من يد العدالة..»

سـأل سراج اسـماعيل بالحال «هل تلك الفتاة أمـيرة بحال جيده.. هـل يمكـن أن نطلب مسـاعدتها بمواجهة كريم هـذا..» نظر له رامي مسـتنكرًا حديثـه فتوجه سراج لـه بالحديث سـاخطًا.. «لمـاذا تنظر لي

هكـذا.. هـل لديك حل آخر.. أنت من اقترح من البداية أن نسـتخدم أميرة لمواجهته لأنه يخشاها كثيرًا..»

طأطأ رامي رأسـه إلى الأرض خجلًا.. فنظر له اسـماعيل للحظات ثـم تحدث إليه «لا تقلق يارامي.. أنا شـاهدت بنفسي حالة تلك الفتاة المسـكينة بعد أن حكيتـم لي وضعها وكونها منبوذة.. إنها فتاة شـجاعة لكـي تصمـد أمام جميع تلك الأشـياء المخيفـة التي حدثـت هناك..أنا نفسي كنت لا أعتقد إني أستطيع الصمود أمام كل تلك المحن.. ولكن يبـدو أن كريـم هـذا عبـث بعقلها فهـي بحالة من الـصراخ والغضب وكانت تريد أذية نفسـها كثيرًا ولحمايتها لقد قمنا بتخديرها لكي ترتاح قليلًا مما هي فيه أعتقد بأنها لن تكون ذا نفع لنا بعد الآن..»

نظـر لـه رامي بـأسي بعيون دامعـة.. «أنا السـبب لقـد طلبت منها المشاركة بكل هذا.. لقد أعماني خوف كريم منها واعتقدت أن فرصتي قـد لاحـت لكي أخذ بثـأري منـه ولكني كنـت مخطـئ.. كنت مخطئ إننا نسـتطيع مواجهة هـذا الشيء على الرغم من مشـاهدته كل مأفعله ومايستطيع فعله.. لقد كنت أحمق لمجرد تفكيري بمواجهته.. لايوجد أمل لدينا أبدًا.. أبدًا..»

.. أثـر حديث رامي بالجميع وكان بادي عليهم بوادر اليأس ولكن لم يكـن الوضـع هكـذا مع جوزيـف وعاصم الـذان انشـغلا بحديث طويـل فيـما بينهم ولم يعيرا الجالسـين أي اهتمام ولكـن نظرات الجميع إليهم قد أخرجتهم من تركيزهم فشعرا بالإحراج فسعل عصام خجلًا وحدثهم «احم.. نأسـف على عدم متباعة حديثكم ولكن كنا نتحدث

أنـا وجوزيف عن طريقة لكي نتغلب على كريم هذا..».. أجابه سراج بيأس.. «ألم ترى بنفسـك أن جميع محاولتنا فشلت وحتى أميرة التي كنا نعتمد عليها بشـكل رئيسي أصبحت الآن غير مجدية تماما..».. ابتسـم جوزيف بالحال وهو يقاطعه «اسـمح لي ياسيد سراج أنا اختلف معك هنـا.. أنا بصفتي عالم لا أؤمن بوجود شيء يسـمي مسـتحيل.. عندما عجـز الجميع عن الدلوف إلى جهينة بسـبب الضبـاب الذي كان يحيط بها وهو كان شيء غريب أول مرة أشاهده بحياتي ولم أستطع أن اصدق وجوده ألا بعد أن عاينته بنفسي عندما دلفت بداخله فوجدتني بمكان اخر تمـام.. لقد انتابني الخوف بالبداية ولكـن روح المغامرة والتحدي قادوني لدراسـة هـذا الضباب وبعد فترة ليسـت بالطويلهلقد نجحت باخـتراق هـذا الضباب مرتين.. بالمـرة الأولي أسـتطعنا أن نري المدينة مـن اعـلى بواسـطة الطائـرات الهليكوبتر وخليـط صنعته قمـت بنثره فـوق المدينة وبعد نجاحي للمرة الأولي وجدت أن الأمر لم يجدي نفعا مـرة أخرى ولكـن لم أياس وقمت بصناعة مادة تجعـل المياه أكثر كثافة وباندافعهـا عـن طريق المضخات القوية سـوف تسـتطيع اختراقي أي شيء مهـما كانت سرعـة تجديدة وبهـذا تغلبنا على الضباب وأسـتطعنا الوصول اليكم..».. هنا صافحه سراج متأثرًا.. «أنا عاجز عن شكري لـك ياسـيدي بعد أن أنقذتنا مـن الخروج من تلك المدينـة.. لقد كنت أعتقد بأننا سوف نهلك بداخلها..».. ابتسم جوزيف بالحال «لا شكر عـلى واجب.. أنـا لم أخبرك بهذا لكـي تمدحني أنا أخـبرك بذلك لكي تتأكـد إننـا بتعاونا جميعًا سـوف نجد الحل والطريقـة للتغلب على هذا ال (ك. م).. هـذا الكيـان المجهول.. أنا ارغب بشـدة بمبادلة الحديث

مع هذا الذكاء الجبار والقدرات الغير طبييعة التي نواجها.. أن البشرية سـوف تنتقل نقلة غير مسبوقة إذا تشـاطرنا المعرفة مع كريم هذا..».. رامي حدثه مغتاظًا.. «ماذا.. أتريد أن تتصادق مع هذا الشئ.. ألم ترى ماذا يفعل..».. أجابه عصام سريعًا «أنت الذي لم ترى ماذا يفعل.. إنه وعـلى الرغم من كل مافعلناه معه حتى الآن فانه لم يصيب أحدنا بأذي كبير.. كما أخبرتك أن الأمر الآن أشبه له بلعبة ولكن هذا لا يمنعني من أن اقول إننا يجب أن نتشاطر المعرفة معه ولكني بالعكس من جوزيف أري بإننـا يجـب أن نكون متحكمين بالبيئة التي سـيكون بها كريم بعد الآن.. لا يجب أبدًا أن نتركه هكذا وسط البشر هذا سوف يكون خطر علينا إذا اكتسب كريم صفات بشرية أكثر من ذلك وأصبحت مشاعره هي من تتحكم به..»..قاطعه سراج سريعًا «أي أن كان ماتريدون فعله معـه فانا معكم لن أتـرك تلك المدينة أبدًا ألا بعد أن ننهي هذا الشـىء لن أشـعر بالاطمئنان على أولادي بوجود هذا الشىء حرًا طليقًا..».. عصام وقـف سريعًا ووقف أمام صبورة بيضاء بداخل الغرفة ورسـم عليها بعض الكلمات.. «حسـنًا.. نحن نعلم بـأن كريم أو ك. م.. هذا لا يموت.. ويسـتطيع أن يجعل البشر يرون ويفعلون أشياء على الرغم عنهـم وهـم يعتقـدون إنهـا حقيقيـة..».. قاطعـه جوزيف..«أنا أري إنهـا بالفعل أشـياء حقيقيـة.. حتى وإن لم تكـن حقيقيـة فعقلنا عندما يصدق ذلك فسـوف تصبح ذلك..».. أزاح عصام يده أمامه..«لا يهم الفراضيـات هنـا.. المهم إنه يسـتطيع أن يفرض سـيطرته الكاملة على البشر.. ولكن هناك بعض الملاحظات التي شـغلت بالي وناقشـتها مع جوزيـف هنا وهي..».. التقط جوزيف الحديـث من عصام.. «لماذا..

لماذا استطاع كريم أن يفرض سيطرته على جميع الجنود بالقرب منه ولم يستطع السيطرة على الجنود البعيدة عنه مثل السيد سراج وجميع الجنود الذين كانوا معه.. ثانيًا.. لماذا لم يكشف نفسه إلا أمام السيد رامي فقط كما أخبرتوني بالأول ثم كشف نفسه لكم بعد ذلك بعد أن شاهدتم ماضيه عن طريق الحجر الأبيض..».. هنا تلمس رامي جيبه بقلق فوق الحجر الأبيض بداخل ملابسه.. فتابع جوزيف حديثه..«ثالثًا.. لماذا لم يقم كريم بجعل الجميع ينسي وجوده عن طريق مسح ذاكرتهم مثل ماجعل أهل جهينة لايتذكرون وجود رامي أو حتى يروه.. وهناك عدة أمور أخرى ولكن هذه أكثرها وضوحًا لدينا.. المهم حتى لا أطيل عليكم أنا أعتقد أن كريم وعلى الرغم من كل قدراته هذه إلا إنه بالفعل له امكانيات محدودة.. لم يستطع أن يسيطر على جميع الجنود من ليسم بالقرب منه.. وأيضًا عندما كان يصنع شيئًا غريبًا بالبلدة كانت أشيا ءأخرى تختفي حينها إذا إنه ليس لديه القدرة على صناعة أشياء عديدة بنفس الوقت.. وأيضًا على الرغم منه يستطيع التحكم بذاكرة البشر إلا إنه لم يجعلكم تنسوه أو تنسو السيد رامي.. وهذا أكيد بسبب شيء ما بخطة كريم لا نعلمهما بعد ولكن بالتأكيد السيد رامي جزء منها..».. نظر الجميع إلى رامي باهتمام شديد فابتلع ريقه قلقًا وهو يشير إلى نفسه..» أنا.. هل تعتقدون إني هام لكريم هذا.. هل تعتقدون إني أمثل أي شيء لهذا المسخ..»

عصام أجابه سريعًا وهو يقترب منه «أتمنى ذلك يارامي.. فأنت جزء مهم جدًا من خطتنا للايقاع بكريم»..

شعر رامي بالاضطراب الشديد «أنا.. أنا جزء من خطتكم.. كيف.. هل تعتقدون انكم تستطيعون هزيمة هذا الشيء..؟»

ابتسم جوزيف وهو ينظر إلى عصام.. «نعم نأمل ذلك..».. أثار حديث جوزيف اهتمام الجميع معادًا العقيد اسماعيل الذي كان يشاهدهم من بعيد فقط وهو يشعر بإنه يحلم أو شيء من هذا القبيل..»..

جوزيف وقف سريعًا وأشار إلى رامي.. «سوف أخبركم الخطة الآن.. ولكن يجب أن تتذكروا جميعًا أن أي شيء سيحدث خطأ بها سوف نفقد كريم هذا للأبد.. أعتقد إنه مختبئ بجهينة لسبب ما ولكن هذا السبب لن يطول بالتأكيد ولهذا استمعوا إلى جيدًا وخاصتا أنت يارامي»..

***

الجنود كانت متحفزه للغاية.. تلمؤهم الحماسة الشديدة.. يتخذون أسطح البنايات قواعدهم ويتمركزون حول المدرعات المصفحة بجانب الطريق.. نخبة القوات الخاصة كانت تحمل دروعها المصفحة وتحاوط كريم الذ كان ينظر إلى السماء بشغف شديد فوقه وهو غير عابئ بوجود قوات الشرطة المتبقية خلف المدينة.. كان وجوده هكذا بمفرده بداخل المدينة يمثل لغزًا كبيرًا لم يستطع أحدًا أن يحله أو يتوصل اليه.. كانت الساعات تمر ببطء على الجميع واقتربت الساعة من العاشرة صباحا.. هبطت طائرة ضخمة عسكرية على مشارف المدينة وكانت تحمل شيء يحرس بأهمية كبيرة وكان العالم عصام ناجي ومعه العالم جوزيف

يشرفون على هبوط هذا الشيء بحرص شـديد للغاية.. تم تنفيذ بعض المهام بعناية شديدة.. كانت بعض القوات بداخل طائرة هليوكبتر على بعـد كبير تغطي المدينة وتقـوم بتصوير الجنود وهـم يحاوطون كريم.. كل تلك الأفعال لم تثير كريم ولو لثانية لأنه كان يعلم إنه سوف ينتصر بـأي صراع جديـد معهم.. اسـتمرت التحضيرات لما يقارب السـاعة الثانيـة عـشر.. كان كريم مازال يحدق بالسماء ثم ابتسـم فجأة ووقف بمكانـه وتحـرك مبتعـدًا عن عرشـه الـذي اختفـي سريعًا وظهـر بدلًا منه سـحابة سـوداء مثل التـي ظهرت لسراج وعصـام ورامي من قبل ونقلتهـم إلى مكان آخر.. أخذ كريم يتحرك صوبها ثم نظر إلى شـجرة على يسـاره ممتلئة بالـورود الحمراء.. ثم تابع طريقه إلى جهة السـحابة ولكـن صوت مكبر صوت ضخم أوقفه بالحال نظر خلفه سريعًا جهة مصدر الصوت فوجده رامي يقف بعيدًا وهو يتحدث بمكبر الصوت بيـده.. تأهبت الجنود بالحال وأخذوا وضع الاسـتعداد فأوقفهم كريم باشـارة من يده وظل يراقب رامي من بعيد وهو يتحدث إليه «كريم.. أريـد أن اتحـدث معك.. أريد أن أتي إليك.. أنـا بمفردي.. لن يتدخل أي شخص بيننا أوعدك بذلك..».. ابتسم كريم وهو يحدث نفسه «لن يسـتطيعوا التدخل حتى لو أرادوا.. حسنًا لنستمع اليك يارامي للمرة الأخير..». أشـار إلى أحد الجنـود بجواره.. «فالتحـضروه..».. تحرك بعـض الجنود وهـم يأمنون الطريق أمامهم وانسـحبت قوات الشرطة بعيدًا تمامًا عن وجود رامي وأخذ سراج وعصام وجوزيف واسماعيل يراقبـون الوضـع من بعيد عـن طريق النظارات المكـبرة.. تحرك جنود كريم سريعًا وأحضروا رامي الذي كان يرفع يده مستسلمًا وهو متوجهًا

إلى كريـم.. انتفـض قلبـه بالحال عندما شـاهد كريم أمامه مبتسـمًا على مقربه منه.. عندما اقترب كريم من رامي أغلق السحابة السوداء خلفه ووقـف أمامه مبتسـمًا «مرحبًا مجددًا.. أخبرني مـاذا أحضرت بجعبتك هـذه المـرة وتعتقد انك تسـتطيع أن تهزمني به..؟».. ابتلـع رامي ريقه بقلـق ثم تحدث إلى كريم بثقة..«إذا أنت تعلم إني حضوري هنا خدعة من أجل الايقاع بك..»

«بالطبـع أعلـم.. فهـذا شيء بديهـي لـدي البـشر.. وعـلى الرغـم مـن معرفتي بذلك هـا أنا أقف أمامـك.. ياتري مـاذا كانت خدعتهم تلـك المرة.. هل ينـون قصفي بالطائرات التي أخـذت تحلق فوقنا منذ الصبـاح.. هل سـيضحون بجنودهـم على الرغم من علمهـم بأن هذا غير مجدي..».. أجابه رامي «لا.. انهم يرقبونك بالطائرات فقط ولكن خطتهـم أن يجعلونـا نتحدث معًا ومـن ثم يطلقون النـيران عليك من بعيد عن طريق القنص..».. تنهد كريم «امممم.. وماذا بعد ذلك.. ماذا سـيفعلون غير مافعلوه مسـبقًا..».. «أنا ألا أعلم هـم أخبروني بذلك فقـط وأنا ها هنا أنفذ ما أخبروني به..».. أومأ كريم برأسـه مبتسـمًا..» لا.. أنـت لسـت هنا مـن أجل ذلك.. أنـا أعلم إنك تكـذب.. وأعلم بأنك تعتقد إنك تكرهني.. ولكنك لسـت كذلـك بالحقيقة.. أنا أعلم من إنك بداخلك مجتذب الي.. تريد أن تلاصقني ولا تبتعد عني أبدًا.. تكـون سـعيدًا بصحبتي وبوجـودي.. وهذا كله لأنك مثـلي..«.. نظر لـه رامي مسـتنكرًا..» ماذا.. أنا مثلـك.. ما هذا الهـراء الذي تتحدث

به.. أنت لن تستطيع التلاعب بعقلي مثل مافعلت بكل هؤلاء الجنود المساكين..«.. هنا اقترب منه كريم فابتعد عنه رامي قلقًا».

«وأنت لم تسأل نفسك يارامي لماذا لم أفعل معك ذلك.. لماذا لم أجعلك تابع مخلص لي مثل هؤلاء الجنود حولنا.. أتعلم لماذا..؟»..

ابتلع رامي ريقه بخوف شديد من حديث كريم وهو يفكر بإجابة سؤاله فجاوبه بقلق..«.. لأني أكرهك.. لأني مختلف.. لأني لم أشعر بالراحة بوجودك منذ أن قابلتك.. لأني احمل القدرة على مقاومتك..».. ضحك كريم بالحال.. ثم ضحك الجندي الذي خلفه ثم الذي بجواره ثم باقي الجنود.. كان الجميع يضحك بشكل إلى على ضحك كريم.. تلك الضحكات أشعرت رامي بالخوف ولكن ارتعدت مفاصله أكثر عندما وجد نفسه يضحك مثل الجنود على ضحك كريم على الرغم منه.. توقف كريم عن الضحك ولكن الجنود ورامي لم يتوقفوا.. وكانت ملامح الخوف على وجه رامي وضحكة ترسم صورة سيريالة لايستطيع أي ممثل بالعالم أن يجسدها.. وأخذ كريم يحدث رامي وسط ضحكات الجميع..» هل مازلت تعتقد انك تستطيع مقاومتي.. أنت كنت مخطئ بكل حديثك السابق إلا بوضع واحدًا فقط.. إنك مختلف..«.. هنا توقف الجميع عن الضحك.. ثم قام أحد الجنود بترديد حديث كريم «مختلف.. ثم جندي آخر ثم جندي آخر..» مختلف.. مختلف.. مختلف.. «كانت الكلمة تتردد من أصوات مختلفة ومتتابعة بسرعة شديدة جعلت رامي يشعر برغبة بالهرب من أمام كريم الذي اشار له بإصبعه «لا تفكر بذلك أبدًا..

نحن لم ننهـي حديثنا بعد..».. وهنا تحرك الجنـود بطريقة غريبة للغاية فوجدهـم رامـي يدورون حولهم مـن اليمين لليسـار ومجموعة أخرى عكسـهم تدور من اليسـار لليمين ثم يتشـابكون فيما بعضهم على هيئة اكـس ثم يكررون تلـك الحركات مرة أخـرى.. أثناء ذلـك كان يتابع سراج وعصام وجوزيف والعقيد سراج مايحدث وهم مندهشين فعبر سراج عـن حيرته لهم «مالذي يفعلـه الآن..». أجابه عصام وهو ينظر بالنظارة المكبرة.. « إنه يسـتعرض قوته أمامنا حتى لا نستطيع التدخل أو محاولـة قنصـه وبنفس الوقت يحاول إرباك رامـي..».. تحدث إليهم جوزيف..» يبدو إنه يتبادل الحديث بنديه مع رامي.. كان قرار صائب أن جعلنـا رامي يذهب اليه..«.. ظـل الجميع يحـدق بنظاراته المكبرة والعقيد اسـماعيل يشـاهد مايحدث أمامه وهو غـير مصدق ومندهش وأخذ يفرك رأسـه متعجبًا.. لمحه سراج فابتسـم سـاخرًا منه ثم اخرج من جيبه فرشة أسـنانه ووضع معجون عليهاوأعطاها لاسماعيل وهو يحدثه..» فرش أسنانك بهذه.. سوف تهدئك.. سوف تهدئك..«.. نظر له اسـماعيل مسـتنكرًا وهو يحمل الفرشـاة بيده وأخـذ ينظر إلى سراج الذي عاد إلى النظارة المكبرة وأخذ يتابع مايحدث.. ظل اسـماعيل ينظر الـلي الفرشـاة بيده قليلًا ثـم وضعها على أسـنانه وأخذ يفرشـها ببطء وهو مشمئز..»

رامـي وقـف يتابـع حركـة الجنـود الغريبـة حولـه بينـما كريـم يحدثه..«بالفعـل أنت مختلـف يارامي ولكن هل تعلـم لماذا..؟»..أخذ يتابع رامي حركة الجنود بعيونه ولم يعقب على حديث كريم.. هنا فرقع

كريـم اصبعه فتوقف الجنود عن الحركة فتابع كريم حديثه اليه.. «انظر إلى هنـا.. لاتغيـب بتركيزك عنـي..».. نظر له رامـي بتركيز وهو يبتلع ريقـه.. فعـادة حركة الجنود حولهم مرة أخـرى.. وتابع كريم حديثه.. «أتعلـم لماذا أنت مختلف ومميز يارامي..».. قالها وهو مبتسـمًا.. «أتعلم لماذا.. حسنًا سأخبرك.. على الرغم منه واضح وجلي كسطوع الشمس فوق رؤوسـنا الآن.. أنت متميز لأنك لسـت بشري..».. وقع سـمع تلـك الكلمات كالصاعقة فوق رأس رامي الـذي أصبح غير قادر على التعبـير عـن ما ألم بـه.. لم يكـن يتخيل أبـدًا أن يخبره كريـم بشيء مثل هـذا.. حاول أن يتحدث كثيرًا فلم يسـتطع.. ظل يبحث عن الكلمات التـي يدافع بها عن نفسـه.. أن يلغي تلك السـبة من عـلى جبينه ولكن عـصى فمه عـن البوح بمكنونـه.. كان كل رده بضع الهانـات والمانات الغـير مفهومه.. أصوات الاسـتنكار تنضح بداخلـه ولكن لا تلتقطها أسـماع مجاوريها.. شـعر كريم بحيرته فضحك ليزيده حيرة أكثر وأكثر ثـم أمسي يتحدث إليه وهو يقترب منه رويـدًا رويدًا.. «اعلم بأن وقع كلماتي عليك كوقع الثلج على جمرات النيران.. لأنك كنت تعتقد بأنك بـشري.. ولكـن الحقيقة هي عكس ذلـك.. أنت مثلي تمام.. لسـنا من هـذا العـالم..».. صرخ به رأمي أخيرًا بغضب شـديد.. «مـاذا تقول.. أنت تكذب.. أنت تكذب.. أنت تريد أن تعبث بعقلي فقط انتقامًا من مافعلته معك بالسابق.. أنا بشري من لحم ودماء.. وأي هراء تتحدث به لن يصل إلى أذناي بعد الآن..»..

كريم بنبرات واثقة «هذه الحقيقة حتى لو لم ترد أن تكون غير ذلك.. أنت وجودك غير حقيقي.. أنت جزء مني فقط ولست بشري..»..

صرخ عليه رامي مستنكرًا «لا.. أنت تكذب.. أنت تكذب.. أنا بشري.. بشري.. ولن تقنعني بغير ذلك..»..

«ما الذي يجعلك متأكد هكذا إنك بشري..؟»..

«ذكرياتي.. ذاكرتي.. طفولتي مع أسرتي وأصدقائي.. حياتي كلها التي عشتها وعايشتها حتى الآن.. كل ذلك دليل على بشريتي.. دليل على أن وجودي حقيقي.. أنا بشري حقيقي بكل تأكيد..»..

ضحك ضحكة شديدة وأخذ الجنود يرددون ضحكة وهم يتحركون.. فشعر رامي بالخوف الشديد والارتباك وأصبحت نفسيته مهشمة..«.. توقف كريم عن الضحك وتبعه الجنود واكمل حديثه.. «ما الذي يجعل تعتقد بأن الحياة حقيقية.. أنت تعتقد وانك تحلم بأن ماتشاهده حقيقي وعندما تستيقظ تدرك بأن غير حقيقي لأن وعيك يخبرك بذلك.. إذا لست أنت من يعتقد بأنك حقيقي بل هو وعيك.. وأنا استطعت التلاعب بوعيك كما أشاء.. أتعتقد أن هذا الجسد الذي تراه حقيقي.. هل تعتقد أن جسدك أنت أيضًا موجود.. كل هذا من صناعة الوعي الذي أستطيع أن أتحكم به.. أنت تحاول اثبات وجودك عن طريق ذكرياتك التي بعقلك.. أنا أستطيع أن أجعلك لك حياة مختلفة عن ماعيشته تمامًا.. أستطيع أن أجعلك تعتقد بأنك فتاه لانك سيكون لديك ذكريات فتاة.. جميع ماعايشته وتعايشه هو صنع الوعي وهذا ما أجيده.. أريدك أن تخبرني.. كيف استطعت أن تصنع جثة

لـك.. كيف علمـت إني بداخل جهينة.. لماذا أنـت الوحيد من أتى إلى ونتحـدث معًا الآن.. كل هذا بسـبب إنك جزء منـي.. ولكنك تحمل كيـان مختلف مثلي.. نحـن على الرغم من ندرتنا ولكننـا موجودون أنا وأنـت و جينينيج.. ولكن بالرغم عن اختلافنا ولكن مصيرنا التجمع بكيـان واحد.. هـذا ما يفرقنا عـن البشر نحن بالأصـل واحد.. كيان واحـد نسـتطيع من خلالـه التحكم بالعـالم فقوانين ذلك العالم سـهلة للغايـة.. مـن السـهل علينـا أن نصنـع مايحبونـه ويجعلهـم يعيشـون بسـعادة..».. ظـل رأمي يسـتمع إلى حديثه وهو محطـم الفؤاد والهوى لايقـوى عـلى مجادلتـه أو التحدث إليه فقـط يسـتمع إلى صوته الهادئ الدافـئ الذي لايعلم كيف ومتى أصبح محبب هكذا.. كان يشـعر بإنه يجـب عليه الاسـتماع والاسـتماع فقط لهـذا الصوت الذي يخـترق قلبه وعقله بأن واحد.. اسـتمر بالاسـتماع إليه فأعقب كريـم سريعًا.. «أنا حاولت أن أفهم البشر كثيرًا فلم أسـتطع على الرغم من معايشتي بهذا العـالم عن طريق حـواس البشر ووعيهـم.. لقد وجدتهـم ينظرون إلى العـالم مـن ثقب إبرة.. لم أفهم الكثير من أفعالهم على الرغم من محاكاتي لوعيهـم تقريبا.. لقد كنت أحمـل بداخلي احترام كبـير للبشرية ورغبة قوية للتعلم منهم ولكم كانت صدمتي كبيرة للغاية عندما حاولت أن أكافئ أول شـخص قابلته خارج الكهف فقتلني.. لقد كنت مندهشًـا مصدومًـا بحيرة من أمـري لا أعلم لماذا فعلوا معي هـذا.. ولكن هذا الأمـر أثر كثيرًا على وجهة نظـري للبشر وأصابني الفضول أكثر وأكثر لمعرفة البشر وطباعهم وظللت أراقبهم لفترة طويلة واكتشـفت حينها أن الأمر سيان بأي مكان فالبشر يفعلون نفس الفعل دائمًا بل اكتشفت

أن ما شـاهدته بجهينة هنا يعتبر نعيمًا بالنسبة لمناطق أخرى يسكنها بنو البـشر بالعالم.. لقـد علمت حينها أن البشر لا يقومـون بالقتل والدمار مـن أجل القتل والدمار بل إنهـم يفعلون ذلك لأنهم قادرون على فعل ذلك فقط.. أن الأمر أبسـط من ما كنت أتخيل بكثير.. أن ذلك مطبوع بعقولهـم.. منـدس بوعيهـم.. وهنـا يأتي دورنا.. سـوف نعيـد توزيع رؤيتهـم للعـالم مـن جديد.. لمـاذا يعيشـون بمجاعات مـع أن الحلول كثيرة.. ماذا لو جعلنا وعيهم يستسـيغ طعم الحشرات كطعم الروبيان وغيره من القشريات التي يدفعون أموالًا طائلة للحصول عليها.. ماذا لـو جعلنا طعـم الفحم مثل طعم أفضـل اللحوم.. بالنهاية ما يشـكل البـشر هو وعيهم.. ونحن سـوف نتحكم بوعيهم.. سـوف يصدقون مـا نريدهم أن يصدقوه وسـوف يختفي ما نريـده أن يختفي.. لن يكون هناك قتل وخوف وجوع بعد الآن.. سوف نعيش بجوارهم برغبتنا.. وبالنهايـة سـوف نريهـم العالم الحقيقـي مـن منظورنا ووعينـا نحن.. نعـم.. نحـن.. أنـا وأنت يارامـي.. أنت جـزء مني.. أنا مـن صنعتك ومـن اعطيتك حرية التفكير بعيـدًا عني وها أنت تنكر وجودي.. كان يجـب أن أعاقبـك.. ولكني لـن أفعل.. لإني أحبـك.. فأنت جزء مني ولهذا سـأدعك لتكتشـف وتتدبـر بوجودي آجـلًا أم عاجـلًا.. ولهذا أنـا لـن أطلب منـك مصاحبتي الآن.. فسـوف تعـود إلى برغبتك بعد ذلـك.. ولكن يجب أن أحـذرك من شيء هام.. إعطني الحجر الأبيض الذي معك..».

بيـد مرتجفه وبخنوع شـديد أخرج رامي الحجـر الأبيض من جيبه وأعطـاه لكريم الذي أخذه منه ثم وضعه بكف يده مرة أخرى وأغلق عليه بقبضة بشـدة.. «لقد أخبرتك بأنك جزء مني ولكنك لن تستطيع التواجد بهذا العالم بدوني ولهذا أعطيتك هذا الحجر الأبيض.. هذا هو الشـيء الوحيد الذي سـيجعلك وجودك حقيقي.. هذا الحجر لو دمر أو فقدته سوف تختفي من وعي البشر ولن يكون لك وجودًا بهذا العالم بعد الآن.. احرص عليه جيدًا.. الآن سوف أودعك وألقاك فيما بعد.. سوف تجدني عن طريق هذا الحجر الذي معك..»

أخذ رامي ينظر للحجر بيده ويده مرتعشة للغاية وظل يقلب حديث كريم بعقله بينما تحرك كريم وتركه مبتعدًا جهة السـحابة السـوداء التي صنعها على مقربة منهم.. هنا قام رامي بالجز على أسـنانه بغيظ شـديد ووضع الحجر الأبيض بجيبه ثم أخرج أنبوبة معدنية رفيعة بيده وفوقها غطاء أحمر بلاستيكي وصرخ على كريم بحنق «كريييييييييم..».. هنا توقـف كريم عن الحركـة وهو يتأفف ثم اسـتدار إلى رامي الذي بادره حانقًا «أنا الآن سوف اثبت لك إني بشري..»..

بلا مبالاة «ماذا ستفعل هل ستقوم بتفجير نفسك وتقتلني معك.. حسـنا فالتفعل ماتريد ولكن تذكر أن الحجر الأبيض إذا دمر فسـوف تختفي من الوجود للأبد..»..

صرخ عليـه غاضبًـا وهـو يضغط على الـزر الأحمر فـوق الأنبوب المعدني «أيها اللعين لاتحدثني بتلك الترهات مرة أخرى..».. هنا أنتظر كريم أن ينفجر رامي وينفجر جسـده معـه ولكن لم يحدث ذلك.. نظر

حولـه متمعنـًا وهـو يتوقع أن يحـدث أي شيء غريـب ولكن لم يحدث أبدًا.... سأل رامي مندهشًا..«.. ماذا فعلت..؟»

.. مبتسمًا وبثقة شديدة «سوف ترى الآن بنفسك..»

وهنـا.. وصـل إلى مسـامعه صـوت طائـرة تقـترب منهـم بسرعة شـديدة.. فابتسم كريم ساخرًا حينما شاهدها.. «طائرة ستقصفونني.. يالكـم من مثابرون..».. وبالفعل لحظات سريعة وكانت الطائرة تلقي بحمولتها فوقهم.. أربعة ثواني فقط التي فصلت سقوط حمولة الطائرة مـن أعلى حتـى وصلـت إلى كريم ورامـي والجنود خلفهـم ولكن كم كانت دهشة كريم عندما غطته حمولة تلك الطائرة فلم تكن متفجرات أو قنابـل مثل ماكان يتوقـع بل كانت مجرد مياه.. دفعـة كبيرة من المياه غطـت جميع الحضور بذلـك المكان وأيضًا غطت الجنـود المختبئة أعلى البنايات وأخذو يطلقون النيران على الطائرة التي كانت تبتعد سريعًا.. أخـذ كريـم والجنـود ينظـرون إلى الميـاه التـي تغطـي ملابسـهم وهم مندهشون.. ظل يتفحص كريم ملابسه المبتلة وهو يشتمها ظنًا منه أنها كيروسـين ولكن وجدها مياه عادية نظر إلى رامي وسـأله مستفسرًا..» ميـاه.. هل أتيتم بكل تلـك الطائرات والعتاد لكي تلقـون على المياه.. «ثم ابتسم ساخرًا.. لحظات ثم عادة الطائرة من جديد وهي تحلق فوق رؤوسهم وبعض الجنود فوق أسطح البنايات يلقموها النيران ولكنها لم تتأثر وألقت بحمولتها مرة ثانية ولكن تلك المرة لم تكن مياه بل كان صاروخ متوسـط الحجم سـقط بسرعة شـديدة بعيدًا عـن تمركز كريم والجنود بمنطقة فارغة وانفجر بالحال عند ملامسة الأرض ولكن هذه

المـرة لم تنتشر النيران بفعل انفجاره بل انتشرت صعقات كهربائية بكل المنطقـة وزاد تأثيرهـا وسرعتها بفعـل المياه التي بالمـكان فصعق كريم ورامي والجنود بالحال وسقط الجميع أرضًا مغشي على بسبب الصعقة الكهربائيـة الكبـيرة التـي لم يتحملها جسـدهم وظل الجميـع ينتفض أرضًـا.. بتلـك اللحظـة كان يرقبهم مـن بعيد سراج من خـلا منظاره فأعطي الأمر للقوات بالدلوف سريعًا إلى المكان وبالفعل خلا دقيقتين كانت قوات الشرطة وبعض طائرات الهليكوبتر مقتحمة المكان بسرعة وهبـط بعـض القوات من الطائـرات بالحبال وسـحبوا قوات الشرطة المغشـى عليهم وسـحبو بالطائرات باقي الأفراد الذيـن كانوا بالقرب أكثـر مـن كريم ومن بينهم رامـي الذي حمله بعض رجـال الشرطة إلى الطائرة سريعًا والباقي تم وضعهم بسـيارات الأمن المركزي المصفحة بسرعـة شـديدة وأخلوا المكان سريعًا بحـول 6 دقائق فقط.. حاوطت مجموعة من جنود القوات الخاصة جسـد كريم بينما قام العالمان عصام وجوزيف بإخراج جهاز ما وفتحاه سريعًا.. مرت ثلاث دقائق أخرى وهنا أفاق كريم ليجد نفسـه بداخل صندوق غريب لايرى من خلاله أي شـئ.. شـعر بالحيرة أين هو وظل يطرق بشدة على باب الصندوق الذي كان بمثل طولـه تقريبًا وموضع بداخله مقعد حديدي من نفس مـادة الصندوق.. ظـل يطرق كريـم غاضبًا على بـاب الصندوق وهو يـصرخ «أنتم.. أين أنا.. أخبروني.. من أنتم وأين أنا الآن.. هنا سـمع صوت عصام من خلف الصندوق يتحدث إليه بشـماتة واضحة «أهلًا بـك يا كريم بمنزلك المتواضع.. يجب أن تعتاد على منزلك الجديد هذا لأنـك سـتكون بداخله من الآن فصاعـدًا.. ظل كريم يحـدق بالظلام

حولـه غاضبًا وهو يطرق بشـدة على بـاب الصندوق..» أيها الأغبياء ألم تتعلمـوا أن ليـس هنـاك شيء يقـف أمامـي سـواء إذا كان تابـوت مثـل هذا أو غيره..«.. هنا سـمع صوت يحدثه ولا يألفه..» لا ياسـيد كريـم لن تسـتطيع الخروج مـن هنا.. فنحن على علم مسبق بقدراتك الرائعـة تلـك ولهذا حضرنا نفسـنا لمثـل هذا مسبقًا..».. كريم سـأله بفضـول «من أنت.. وأين أنا..».. أجابـه جوزيف سريعًا..» أنا ادعي جوزيف كمال نومي ولقد سـمعت عن قدراتك الرائعة تلك ودرستها جيدًا.. أنت تسـتطيع أن تؤثر على البـشر ووعيهم عن طريق الموجات بأنوعها الطولية والمغناطيسـية والكهربائية فتسـتطيع التحكم بكهرباء المـخ وتنشيء إشـارات يسـتقبلها الوعي البـشري أي بمعنى أدق أنت مثل برج إرسـال الهاتف والبشر هم الهواتف ولهذا قمنا ببناء معًا شيء يدعـى قفـص فرداي هذا القفص يسـتطيع أن يمنع خـروج أو دخول الموجات المغناطيسـية وغيرها مـن داخل القفص إلى خارجه والعكس صحيـح وبهذا لن تسـتطيع أن تؤثـر بمجالك أو بمجال أي شـخص آخـر.. أي بمعنـى أدق أنـت الآن أصبـح لك لاحول ولا قـوة ونظرًا لقوتـك المهولـة عززنـا قفـص فـرداي باجـراءات أخرى سـوف تمنع بالتأكيد قدراتك بعد الآن..».. صدم كريم بشدة من حديث جوزيف وظـل يطـرق عـلى القفـص المصنـوع مـن الرصـاص والمـواد العازلة للكهرومغناطيسـية.. أخـذ عصـام يضحك على كريم سـاخرًا..» هي يـا كريم فالتمكث بمكانك الجديد ولتعتاد عليـه فأنت لن تغادره أبدًا بعد الآن..» ثم تركه وانصرف.. شعر كريم بأصواتهم وهي تبتعد عنه فشعر بالغضب الشديد وأراد أن يؤدبهم ولكنه وجد أن قدراته بالفعل

لم تعـد تعمل.. حاول ثـم حاول ثم حاول ولكن جميـع محاولاته بائت بالفشـل.. هنـا لجاء إلى الحل الأخير فقام بتحويل جسـده إلى الأشـياء البيضـاء الأوليـة اللامعـة التـي كان عليها بالسـابق وحـاول اختراق القفص الرصاصي وبعد معاناة شـديدة اسـتطاع أن يدلف من القفص ولكنه وجد نفسه بصندوق رصاصي آخر.. حاول اختراقه فلم يستطع فلـم يكـن يعلم كريم حينهـا أن قفص فرداي الـذي حبس بها موجود بداخـل خمس غرف فـرداي كل غرفه منهم تزيد سـمكًا عن سـابقتها بثلاثـون بوصة.. فعلق كريم بالنهاية بداخل غرف فرداي ولم يسـتطع الخـروج منها فلا يصل إليـه أي شيء ولا الصـوت ولا حتى جزء من الضـوء كان بمعزل حقيقي عن العالم.. ظل كريم يصرخ ويصرخ وهو يطـرق بيـده عـلى الحائط بغرفة فـرداي ولكـن لم يجد له شـافع أو نافع بتلك اللحظة وتحركت سـيارة تحمل الخمـس غرف إلى مكان آخر يتم إعداده لإستضافة كريم بغرفة أخرى أكثر وأضخم من الغرف السابقة بكثير..وهكذا انتهت أسطورة (ك. م) أو كما عرف بكريم ماهر حتى قبل أن تبدأ..

❋ ❋ ❋

ظلت المخيـمات خارج جهينة تأوى سـكانها وتداويها ومن يرغب من سـكانها بالرحيل كانت تدعه الشرطة يرحل بعد أن تتأكد من عدم مشاركته بأي عنف حدث بالمدينة..

❋ ❋ ❋

اما بالنسـبة لأصدقائنا فقد ذهب عصام مع العالم جوزيف ليتابعوا رحلـة كريم إلى سـجنه الجديد الـذي لم يعرف مكانه بعـد ولكنه يبدو بإنه بمـكان قاحل بداخل الصحراء وسـيكون تحت إشراف علماء من مختلف أنحاء العالم لدراسة حالة كريم والإشراف عليها..

❋ ❋ ❋

اما بالنسبة لرامي وسراج اتجهوا إلى أميرة التي أصبحت بحال جيد للغايـة بعد أن حبس كريم واختفت مع حبسـه جميـع الأمور الغامضة التيكانـت تحـدث بوجـوده.. وتحت إصرار شـديد من رامـي وإلحاح رضخـت أمـيرة وعمتهـا بالذهاب معـه إلى القاهرة ليجد لهم مسـكن خاص ليبتعدوا عن جهينة وأهلها للأبد..

❋ ❋ ❋

السـاعة السادسـة بالقاهرة كانت سـيارتان تسـيران فـوق كوبري قصر النيل أحدهم تحمل سراج ومعه شرطي بالسيارة والأخرى تسير خلفهم تحمل كلًا من رامي وبجانبه أميرة تستند على كتفه وهي منهكة وعمتهـا تجلس خلفهم وهـي نائمة.. ظل ينظر رامـي إلى النيل وتذكر عند رؤيته الكوبري ماحدث معه وماصنعه من قبل على كوبري عباس فشـعر بالضيق وأمر السائق أن يتوقف.. فتوقف سريعًا.. افاقت أميرة بسرعة وسألت رامي بفضول لماذا توقفنا.. ابتسم لها رامي وأجابها وهو يهبط من السـيارة «اشعر بالاختناق أريد الحصول علب بعض الهواء.. فهبـط مـن السـيارة وكل اصراره وعزيمـة أن يتخلـص مـن كل تلك

الذكريات التي صاحبتـه بداخل جهينة.. دس يده بجيه وإخرج قطعة الحجـر الأبيـض وهو ينوي التخلـص منها للأبد وهـم بالقائها بالنيل ليتناسـى ماحدث بها ومعها.. ورفعها بيده وهـم بإلقائها ولكنه قبض عليهـا بسرعـة متراجعًاباللحظة الأخيرة وشـعر بأن قلبه يـكاد ينفجر خوفًا وهو يفكر ماذا لو.. ماذا لو كان حديث كريم معه صحيحًا.. ماذا لو كان هو بالواقع غير موجود.. غير حقيقي وأن كل وجوده مستمد مـن وجود هذا الحجـر الأبيض.. ماذا لـو كانت حياتـه كل تلك المدة مجـرد وهم وإذا ما تحطم هذا الحجر أو فقده وإلقاه بالماء سـوف يختفي مـن الوجود ولكن يكون لـه أي أثر كأنه لم يكن يومًـا.. عندما لاحت تلك الفكرة بقلبه كاد أن يسـقط على الأرض صريعًا.. إنه الآن بوضع صعـب للغاية.. بإمكانه بتلـك اللحظة أن يدحـض كل حديث كريم عنـه و يثبت إنـه بشري وحقيقي إذا ألقي بتلك الصخـرة اللعينة بالمياه للأبد.. إنه بلحظة الآن يسـتطيع أن يستعيد مسـتقبله ويتناسى الماضي بكل مأسيه.. لكن ماذا لو.. إنه يعلم إنه بشري وحقيقي 1000٪ ولكن استطاع كريم أن يضع بذرة الشك بداخله وتلك البذرة وجدت أرض خصبة بخيال رامي وأخذت تنبت شـيئاً فشـيئًا.. ظـل يحمل الصخرة بيـده وهو متردد بقوة.. بلحظة يسـتطيع أن يتخلـص من معاناة ولكن مـاذا لو تخلص بها من حياته.. كان مشـهده واقفًا أمام الكوبري هكذا مثـير للريبة جعل أمـيرة تترجل بسرعة صوبه وهي تسـأله بفضول..» مـاذا هنالك يارامـي.. ماذا تفعل.. لمـا أنت واقف هكـذا..».. ارتبك بالحـال رامي عندمـا وجد أميرة خلفـه فوضع الصخـرة بجيبه سريعًا وهو يخفيها من أنظارها ولا يعلم لماذا..

«لا ياحبيبيتـي.. لا يوجـد شيء.. كنت أحتـاج لأخذ بعض الهواء النقـي كـما أخبرتك ولكن هيا بنـا لنكمل طريقنـا..».. هنا وجد رامي العقيد سراج يقف بجواره هو أيضًا وهو يحدثه مستنكرًا «لماذا توقفتم هنا.. ما الذي يحدث..؟»..

أجابـه رامـي سريعًا وهـو مبتسـمًا.. «لا يوجد شيء ياسراج ياباشـا كنت التقط بعض الهواء فقط.. هيا لنستكمل طريقنا..»..

هنـا أوقفه سراج بيده وهو ينظر للأرض أسـفل منـه ثم رفع عيناه بعـين رامي.. وحدثـه بصوت دافئ وحنـون.. «هناك بعض الأشـياء التـي كنـت أريـد أن أخـبرك بهـا يارامـي منـذ أن غادرنا تلـك المدينة اللعينة جهينة..»..

أخـذ سراج يديـر وجهـه خجلًا مـن أمام رامـي ولكنه اسـتجمع شـجاعته وواجهه بالنهاية.. «رامي.. لقد كنت مترددًا كثيرًا أن أخبرك بهـذا.. ولكـن بعـد كل ماعانينـاه معًا بجهينـة يجب أن أخـبرك بذلك وبقلب رحب..»..

هنا شـعر رامي بالخجل ونظر إلى سراج مبتسمًا فتحدث إليه سراج سريعًـا.. «رامـي أنا منذ اليـوم.. لا أريـد أن أري وجهـك أمامي مرة أخـرى.. لا أريـد أن أسـمع عنـك بحياتي مـرة أخـرى.. لا أريدك أن تتواجـد بـأي قرب مـن أي مكانس أتواجـد به أو سـوف أتواجد به.. لا أريد أي شيء يربطني بكم أيها الأوغاد بعد ذلك أبدًا..» وأشار بيده إلى رامي وأميرة ثم تركهم وانصرف إلى السيارة..

رد فعل سراج جعل رامي يشعر بالخجل الشديد وظلت أميرة تنظر إليه صامتة.. فتحدث اليها رامي بالحال.. «أنا أشعر بالغباء.. لقد كنت أعتقد إنه يريد أن يمدحني.. ولكنه يبدوا إنه قام بببعثرة كرامتي أرضًا..»

..انفجرت أميرة ضاحكة وهي تنظر إلى رامي الذي ظل يحدثها مستنكرًا.. «أتضحكين يا أميرة.. اتسخرين مني أنا أيضًا..؟»..

فأخذت أميرة تومأء برأسها نافية وهي تضحك.. وبتلك اللحظة قام سراج باطلاق بوق السيارة وهو يصرخ بهم.. «هيا لنغادر من هنا أيها الأوغاد..»..

شعر رامي بالإحراج الشديد وظلت أميرة تضحك وهم يعودون إلى السيارة من جديد وتتحرك بهم على الكوبري لتخترق الحياة لتسابق قطار الأيام لكتابة صفحة جديدة بتاريخ عمرهم القادم..

* * *

قبل عدة أيام

كان اثنان من الرجال يرتدون الحلات الفاخرة يجلسون بغرفة مغلقة وحولهم بعض العسكرين.. أحدهم مضى على عقد مكتوب بالإنجليزية والآخر قام بتوقيع سند مال كبير ثم تبادلا الأوراق بينهم ثم تصافحا وخرجوا بخارج الغرفة.. أشار الرجل الذي مضى السند المالي إلى الجنود بيده فتحركوا مسرعين إلى سيارة نقل ضخمة وقادوها..

بالوقت الحالي

كانت سـيارة النقل الضخمة تتحرك ببطـئ على أرصفة مدينة دنفر بولاية كولرادو الأمريكية وتحاوطها سـياراتان بدفع رباعي من ماركة أمريكيـة شـهيرة.. وبداخل السـيارة أربـع جنود ملثمـين ومدججين بالسـلاح.. فجأة توقفت السيارة بوسـط الشارع فمنعت حركة المرور وتكدست السيارات بكل مكان.. ترجل ثماني رجال مدججين بالسلاح من سيارات الدفع الرباعي وهم يشهرون أسلحتهم باتجاه سيارة النقل الضخمة فوجدوا السـائق يهبط من السيارة ويتحرك باتجاهم فتحدث إليه بسـخط أحد الجنـود.. «لماذا توقفـت هكذا بوسـط الطريق.. هل أنت أحمق.. ألا تدري بقيمة مانتقله بالسيارة ومايحيطها من سرية..».. نظـر لهم الجندي بلامبالاة وتحرك جهة باب السـيارة الخلفي ليفتحه.. اتجه إليه الجنود سريعًا ليمنعوه وهم يصرخون عليه..» هل أنت مجنون ماذا ستفعل..».. تجمع بعض سائقي السيارات الغاضبين على الطريق وظلـوا يصرخوا على بالجنـود الذين حاولوا منعهم مـن الاقتراب من السـيارة واتجـه أحدهم إلى مقعد السـائق ليقود بدل من السـائق الذي لم يعـد يسـتمع إلى أي حديـث يتحدثون بـه إليه.. فجـأءة حدث شيء غريب لقد سمع الجميع صوت صاخب يأتي من داخل سيارة النقل.. ثـم فتح بـاب السـيارة الخلفي بقـوة شـديدة فتحرك الجنـود مسرعين وهم شـاهرين أسلحتهم ليشـاهدوا ماذا يحدث بداخل السيارة ولكم كانت دهشـتهم كبيرة للغاية عندما وجدوا أن ما بداخل السـيارة طفل صغير لايتعدى العامان جسـده كلـه مصنوع من الذهب.. صرخ أحد

الجنود مصدومًا «اللعنة.. ماهذا..؟».. تحرك الطفل وهبط من السيارة وسـط اندهاش الجميع من هذا الطفل الذهبي وكان سائقي السيارات مصدومين عندما شـاهدوا الطفل هم أيضًا.. تحرك السـائق ليعود من جديد ليقود السـيارة ويفتح الطريـق ولكن بتلك اللحظة تحول الطفل من اللون الذهبي إلى لون البشر الطبيعين واتجه إلى أحد السيارات التي كان يقودهـا رجل وزوجته وابنته المراهقة وأمسـك بيد الرجل والمرأة وأخذت الفتاة المراهقة تداعب رأسه وهي تحدثه بلطف.. «مرحبًا بك وسطنا أوليفر.. وتحدث جميع من كان متواجد بتلك اللحظة مبتسمين إلى الطفـل وهـم يحيـوه.. مرحبًـا بـك بيننا أوليفـر..».. تحـرك الطفل أوليفر وسط عائلة الجديد وجميع سكان المدينة بسيارتهم تبعوه.. بتلك اللحظة همـس أوليفر بصوت خافت وهو ينظر خلفه..» سـوف نعود من اجلك يا (ك.م.).. وجميع السيارات بركابها يتبعونه..

لم يكـن يعلم أي شـخص بتلك اللحظة إنه تـم مولد مخلوق جديد يصنـع كل شيء مـن أي شيء وأذكى من أي شيء والأسـواء من ذلك كله لن يتذكر عنه أحد أي شيء..

تمت بحمد الله

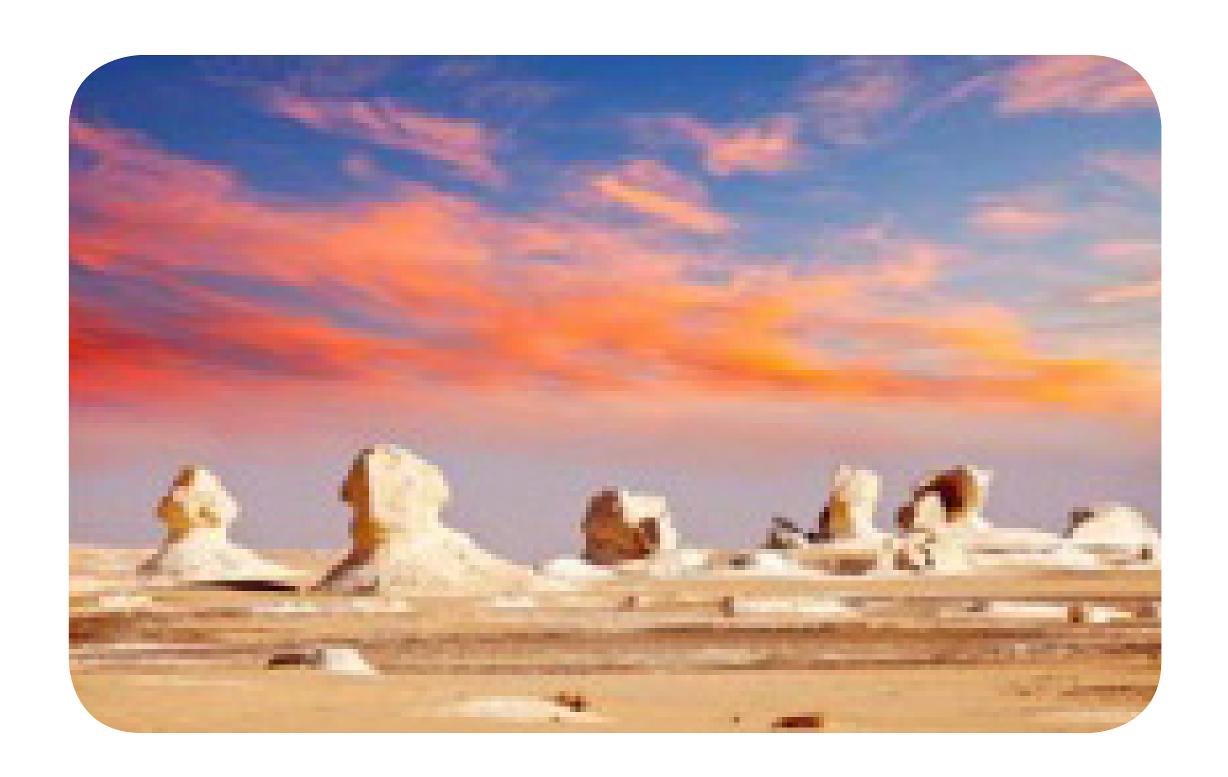
مع تحياتي / إسلام عبدالله

فضفضة مع الكاتب

الآن وبعـد أن انتهينا من رواية جهينـة أتمنى من كل قلبي أن تكون الرواية قد حازت على إعجابكم وأدعوكم لقرأتها أكثر من مرة لأن تم كتابة هذه الرواية بأسـلوب مختلف قليلًا سـيجعلك تكتشـف كل مرة شيء جديـد أثنـاء قرأتها.. الشيء الآخر هو بعض المعلومات البسـيطة التي ألمت بظروف كتابة هذه الرواية.. حيث أن رواية جهينة هى رواية من جزئين تم كتابتهم على مدى ثلاث أعوام تقريبًا.. الجزء الأول كان يقـدر بـ52 ألف كلمة تقريبًا.. أم الجـزء الثاني فقد وصلت عدد كلماته إلى أكثـر من 112 ألف كلمة تقريبًـا.. أي أن الجزئين معًا قد وصلوا إلى مايقـارب 164 ألـف كلمـة تقريبًـا وبالطبع لمـن يعمل بمجـال الكتابة يعلمـون ما مدى ضخامـة هذا العمـل.. رواية جهينـة ترتيبها الثالث بوسـط سلاسـل أعمالي حتى الآن وعلى الرغم من ذلك فهي السلسلة الأولى التـي انتهـت مـن أعـمالى أولًا.. أي إنـك بحصولك عـلى نهاية تلـك الرواية فأنت بموضع تحسـد عليه من قُراء آخريـن بانتظار نهاية السلاسـل الأخـرى والتي سـأنتهي منها قريبًا إن شـاء الله وحتى هذه اللحظة يجب أن تشعر بالفخر وسط أقرانك لأنك مميز عنهم الآن..

أثنـاء قيامـي ببعض الأبحاث لرواية جهينة اكتشـفت أمـورًا رائعة عن أماكن وأشـياء بمصر أتمنى منك أن تقوم بالإطلاع عليها خصيصًا إذا كنـت مصري ومن بـاب المعرفة وحب الاسـتطلاع إذا كنت تحمل أي جنسـية مميـزة أخرى.. منها أن بمصر هنـاك العديد من الصحاري المميزة ومن أكثرها تميزًا الصحراء البيضاء والصحراء السوداء.. أتمنى من الجميع إذا سمحت ظروفه أن يذهب إلى تلك الأماكن الرائعة التي حباها الله بمشاهد وخصائص لن تراها بأي مكان آخر بالعالم وسوف أرفق بعـض الصور القليلة لتظهر ما مدى جمـال تلك الأماكن الرائعة وأنت عليك القيام بالبحث عنهم قليلًا..

الصحراء البيضاء



الصحراء السوداء



وكهف الوحوش الذي تم اكتشـافه عام 2002 على يد المستكشـف أحمد المسـتكاوي والإخـوان الإيطاليـين جاكوب وماسـيمو فوجيني ودارت به أحداث مدحت فراج مع ك.م.



معلومـه أخـرى أن يوميًا يتم سـقوط أكثـر مـن 4000 نيزك بمصر ولكن معظمها يسقط بالصحراء ولهذا لانشعر بها أبدًا..

ملاحظات على رواية جهينة

المـادة المضـادة هـي مـادة موجـودة بالفعـل وتعتبر أغلى مـادة على كوكب الأرض.

الكثـير مـن أحـداث الرواية قد تم اسـتلهامها من أحـداث واقعية بما فيهـا قصـة عـزت ويوسـف وقصـة العقل الجمعـي والمـادة المضاد هوغيرها الكثير والكثير من أحداث الرواية..

معلومـة هامـة للغاية.. إذا كنت تعتقد بأن إحـداث رواية جهينة من وحـي الخيال وغير حقيقية فهذا غير صحيـح تمامًا.. أن (ك. م) موجود بالواقـع ولـه أمثلـة كثيرة ومـن أشـهرها على الإطـلاق نوع مـن أنواع الكائنـات وحيـدة الخليـة اسـمه physarumpolycephalum فايـسرم بوليسـيليفم وهذا يعتبر أكـبر كائن وحيد الخلية عـلى كوكب الأرض.. هـذا نوع من أنـواع العفن اللزج وعرف بوسـط العلماء إنه يسـتطيع أن يحل المتاهات.. وإنه يسـتطيع أن ينشىء شبكات يستطيع أن يتواصل بها مع أجزاءه وينقل بها الغذاء إليه أشـد دقة بكثير من أفضل شـبكة قد تم صنعها عن طريق البشر بالتاريخ.. والأغرب من ذلك وهي قدرة القوية عـلى حل المشـاكل المعقدة بطرق سـهلة للغاية.. لدرجـة جعلت العلماء يسـتخدمونه لقيادة بعض الروباتات والمفاجأة الصادمة إنه اسـتطاع أن

يقودهـا بالفعـل ويتحرك بالروبوت وفـق إرادته والآن يتم اسـتخدامه ليقود بعض أجهزة الكمبيوتر.. يمكنك البحث عن هذا الكائن بسهولة وأيضًـا مشـاهدة فيديوهات له وهو يقود الروبوتات بنفسـه فقط أكتب الآتي بقائمة البحث.."slimemouldcontrolledrobot"

فالتلقـي نظـرة سريعة علي هذا الأمر المثير وحينها سـوف تتأكد إنه قريبًا جدًا قد نجد أمثال (ك.م) بيننا بسهولة..

- أسـئلة لك أيهـا القارىء الكريم.. هل رامـي وأميرة حقيقيين أم إنهم نتاج االحجر الأبيض كما أخبرهم كريم؟؟؟»

تمت بحمد الله

مع تحياتي / إسلام عبدالله

الفهرس

للتواصل مع المؤلفة:

البريد الإلكتروني: eslamthefighter@gmail.com

الصفحة الرسمية: https://www.facebook.com/eslamthefighter